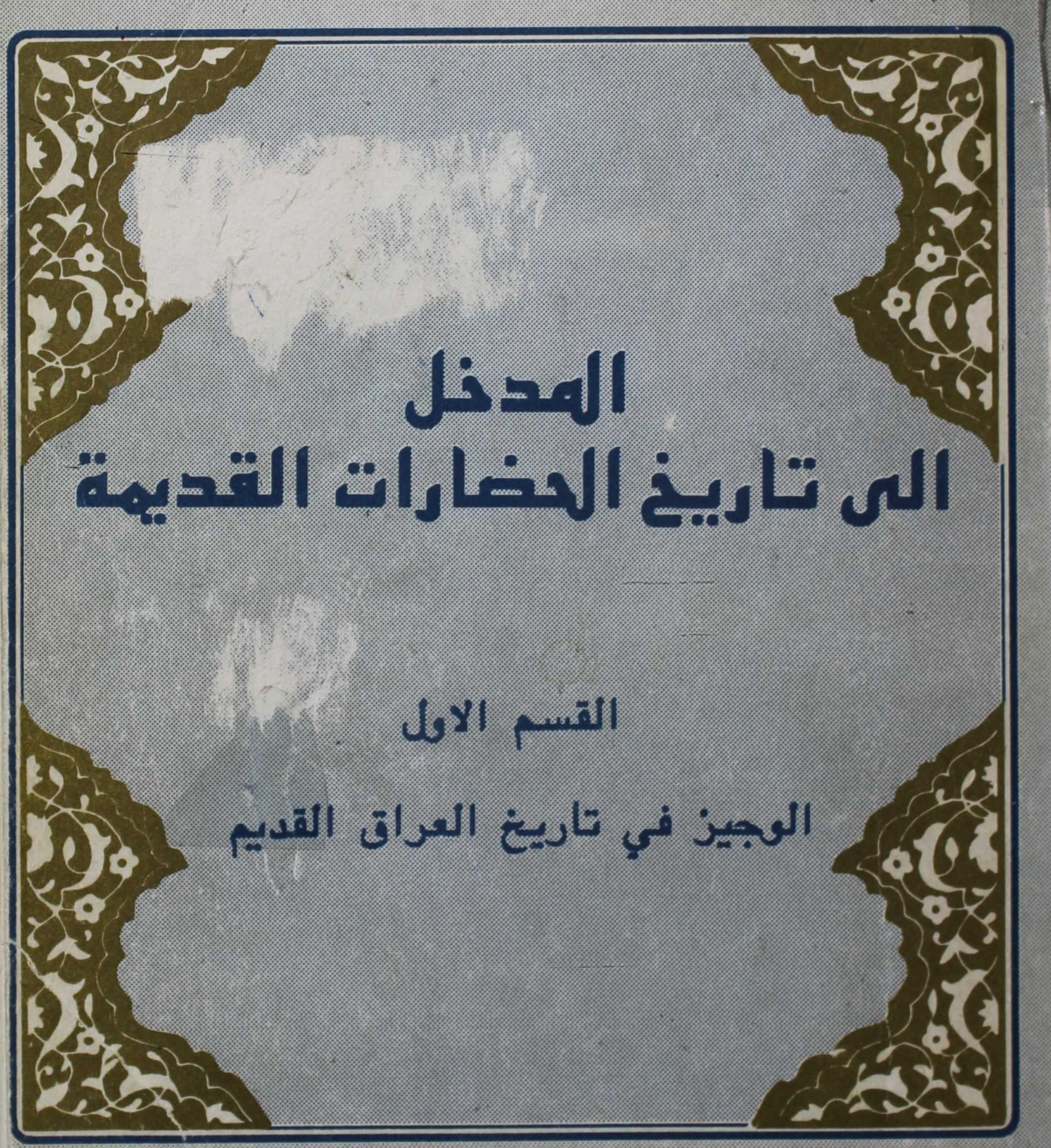
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد



المدخل الى تاريخ الحضارات القديمة

القسم الاول

الوجيز في تاريخ العراق القديم

تاليف
الدكتور عبد القادر عبد الجبار الشيخلي

المدخل

إلى تاريخ الحضارات القديمة

القسم الأول

الوجيز

في تاريخ العراق القديم

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد

المدخل

إلى تاريخ الحضارات القديمة

القسم الأول

الوجيز

في تاريخ العراق القديم

لطلبة الصفوف الأولى - لأقسام التاريخ والجغرافية واللغة الكردية

كلية التربية الاولى

تأليف

الدكتور عبد القادر عبد الجبار الشيخلي

١٩٩٠

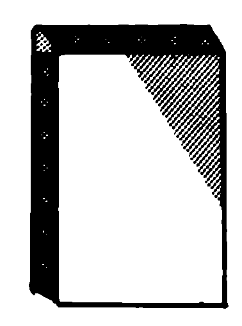
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تنفيذاً لتوجيهات قيادة الحزب والثورة في القطر العراقي في مجال التعليم العالي والبحث العلمي / فقد تبنت وزارة التعليم العالي سياسة تعريب الكتب وتوفيرها لطلبتنا الاعزاء في مختلف دراستهم الجامعية لذلك اخذت على عاتقها تكليف اساتذة الجامعة كل حسب اختصاصه بوضع الكتب المنهجية بموجب المفردات المقررة لكل مرحلة دراسية من قبل جامعات القطر .

وقد كلفتني الوزارة مشكورة بتأليف هذا الكتاب الوجيز في تاريخ العراق القديم وهو القسم الاول من كتاب التاريخ القديم . والذي جاءت محتوياته وفق المنهج المقرر لطلبة كلية التربية بجامعة بغداد . وقد حرصت على تعريف القارىء الكريم بالموضوع في مقدمة هذا الكتاب والغرض من دراسته والتطورات الحضارية والسياسية للعراق القديم واثرها على حضارة العالم القديم . املين ان يسد هذا الكتاب بعض حاجة من يهمهم الامر من الطلبة الجامعيين والمثقفين في ارجاء ألوطن العربي كافة والله الموفق .

المؤلف



الفصل الأوّل

مقدمة في التاريخ والتاريخ القديم

التاريخ : تعريفه ودراسته ومكانته من العلوم والمعارف

تقسيم تاريخ الانسان

الكشف عن حضارة بلاد وادي الرافدين

مصادر معلوماتنا عن حضارة بلاد وادي الرافدين

التحريات والتنقيبات الأثرية

الطرق المتبعة في ضبط الادوار الحضارية والعصور التاريخية

أساليب تدوين التاريخ واهمية كتابته وتطورها عبر العصور

التدوين التاريخي في الحضارات القديمة

اشهر انواع المدونات التاريخية في حضارة وادي الرافدين

التاريخ : تعريفه ودراسته ومكانته من العلوم والمعارف(١)

تعني كلمة التاريخ العربية لغة تحديد الزمن من مادة ((ارخ يؤرخ)) التي تعود في اصلها الى كلمة (ارخ أو ورخ) التي تعني الشهر في اللغات العربية القديمة . ومنها الاكدية (البابلية والاشورية) في حضارة بلاد وادي الرافدين . وعرف ايضا بكونه وثيقة لاحداث الماضي ولا حواله السابقة مكتوبة بعد سلسلة من التحقيقات المسماة بالبحث التاريخي .

وفي اللغات الاوربية يطلق على التاريخ كلمة هستري (History) التي كان اول من اطلقها على التاريخ المؤرخ اليوناني الشهير هيرودتس (القرن الخامس ق . م) وقصد منها التحري والبحث في احداث الماضي وتسجيلها وتعني كلمة (History) سجل الاحداث الهامة التي ظهرت او التي ستظهر في حياة البشر . وعرفه ابن خلدون (١٣٣٢ ـ ١٤٠٦ م) في مقدمته الشهيرة على انه بحث ونظر وتدقيق وتمحيص .

ان دراسة التاريخ تعطينا صورة مشرفة لمجريات الامور ومختلف النظرات والافكار التي تكونت وسيرت ركب الاحداث . فنعرف من التاريخ القديم الامور الاساسية لرغبات الانسان واحواله عبر الفترات اللاحقة مما يفيدنا في معرفة الطريق الذي يعمل به فكر الانسان والمراحل التي مر بها . وموضوع التاريخ القديم واسع ومتشعب وكل ما فيه ان انسان العصر القديم له علاقة مباشرة مع اوضاع الانسان في الوقت الحاضر . فمن دراسة ماضي الانسان ومقارنتها بالاوضاع الحاضرة يمكن التنبوء احياناً بالمشاكل التي قد تجابهنا . ان فهم التاريخ القديم في غاية الاهمية لقلة سير الاحداث والاوضاع وربط الماضي بالحاضر . فالتاريخ هو سجل اعمال الانسان على الارض عبر العصور المختلفة لآلاف السنين وهو حجر الزاوية في عملية

---

(١) طه باقر ود . عبد العزيز حميد . طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار . جامعة بغداد . ١٩٨٠ . ص ٧ ـ ١٠ .

معرفة وضبط حالات البشر والطبيعة . فمن التاريخ نأخذ العبر والدروس في نشوء واضمحلال الكثير من حضارات الأمم والشعوب واسباب ذلك كثيرة فمن طيات التاريخ القديم نرى مجهود الانسان العراقي القديم وتأثيره على الحضارة البشرية الحالية . ومن التاريخ القديم نتعرف على تطور الكثير من العادات والممارسات .

وقد استطاع بعض الباحثين من متابعة التأثيرات والتغيرات النفسية لكثير من الطقوس البدائية والديانات الاولى لمعرفة القيم والاسس عند البشر في مختلف العصور . ولكل من هذه اهميته القصوى في معرفة حاضر الانسان . فدراسة الماضي تعطينا الصورة الكاملة في تفهم الحاضر فحاضرنا والاشياء التي من حولنا ما هي الانتيجة خبرة طويلة من السنين . فلا تستطيع أي امة التعرف على شخصيتها وماضيها بدون التاريخ . ولا يتكون عندها وعي يجمع تراثا مشتركاً جديراً باهتمام الناس . فالتاريخ المشترك يعد اساساً مهما في وحدة الشعور العربي . وتاريخ البشرية يبحث في تكوين واضمحلال حضارات الامم والدول ولذلك يكون له مساس مباشر بالحياة الفكرية والتنظيم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والاخلاق والدين ... الخ . وهناك من يدرس التاريخ لتذوقه دراسة الماضي والوقوف على احداثه من خلال الاطلاع على المصادر التاريخية للفترات التي يود الالمام بها أو بقراءة كتب التاريخ العامة . فاغلب الناس تستهويهم معرفة الماضي بمجرد التسلية أو الرغبة في معرفة الاحوال بصورة عامة واستخلاص العبر أو كليهما معا . فالتاريخ هو العلم الوحيد الذي يهتم بتراث الامة الحضاري ويدرسه بشكل متكامل ويحاول بعث الحضارات السابقة وتحليل حوادثها دونما تمييز . وموضوع الحضارة في الواقع هي اساس جميع العلوم والدراسات الاجتماعية وهي مرحلة من مراحل التقدم .

والمقصود بالحضارة :ـ

(مختلف انشطة وسلوك الانسان التي لا تعد افعالا انعكاسية فطرية كانت ام غرائزية) وتشمل عدة مظاهر منها اللغة والدين والاخلاق والنظم والعادات والتقاليد الاجتماعية والاقتصادية والقانونية والفنون بانواعها والصناعة وكل ما يجب على الانسان ان يتعلمه ضمن اطار مجتمعه .

والحضارات الانسانية كثيرة ولكن يمكن تمييز نوعين رئيسيين منها :ـ

الحضارات الاصلية هي تلك الحضارات التي نشأت وتطورت عبر سلسلة من المراحل الحضارية المتصلة أي من الحياة البدائية والى ان اخذت شكلها وتبلورت عناصرها .

الحضارات الفرعية :ـ هي تلك الحضارات التي استمدت مقوماتها من الحضارات الاصلية .

والحضارات الاصلية المعروفة في العالم قليلة جداً أو مقصورة على الشرق الادنى القديم وعلى وجه الخصوص حضارة بلاد وادي الرافدين وحضارة وادي النيل التي نشأت فيهما الحضارة ونضجت واصبحت بحق مولداً للحضارة البشرية بوجه عام .(٢) لقد حظي العراق باهتمام واسع منذ اقدم الازمنة فاقتبست كثير من الامم والشعوب من حضارته وافادت من ابداعاته وتناقلت اخباره عبر القرون .

هل التاريخ علم ؟ :

التاريخ علم الا انه ليس من صنف العلوم التي تعتمد على الملاحظة المباشرة كالفلك أو على التجارب والمختبر مثل معظم العلوم الطبيعية وانما هو علم بحث ونقد ونظر . فهو اقرب ما يكون الى علم الجيولوجيا .

ولما كان الجيولوجي يبحث في امور الارض فيعرف تاريخها وتطورها والى ما وصلت اليه الان . كذلك يبحث المؤرخون في بقايا الماضي وآثاره ليستعينوا بها على معرفة الحاضر . والتاريخ مثل العلوم الاخرى له غرض موضوع . وغرضه البحث في اعمال البشر التي وقعت في زمن مضى وانقضى . او هو دراسة المجتمعات البشرية في مكان ما وخلال فترة زمنية معينة .(٣) فالتاريخ هو العلم الوحيد الشامل لاهتمامه بفعاليات الانسان من ادب وفن وبيئة ونظم وافكار لذا فان الحضارة لم تكن عفوية بل هي وليدة الجهد الانساني فاهمية العوامل الجغرافية وخاصة المناخ لها دور كبير في تفهم وبلورة عادات وتقاليد وقوانين وحضارات الشعوب .

وهكذا كان للبيئة اثرها الفعال على الجنس البشري في كل العصور . وخاصة في العصور القديمة في الوقت الذي لم يكن الانسان فيها قد سيطر على الطبيعة بالشكل الذي عرفه في العصور التالية . ومن ثم كان اكثر تأثيراً وانطباعاً لهذه الظروف .(٤) وكان المناخ احد تلك الظروف الجغرافية التي اثرت على منطقة الشرق الادنى

---

(٢) د . عامر سليمان ابراهيم واحمد مالك الفتيان . محاضرات في التاريخ القديم . الموصل . ١٩٧٨ . ص ١١ـ ١٢ .

(٣) طه باقر وآخرون . المصدر نفسه . ص ٩ ــ ١٠

(٤) د . سامي سعيد الاحمد . العراق القديم . بغداد . الجزء الاول . ١٩٧٨ ص ١٠ ــ ١٨ .

القديم . وكان مواتيا للنشاط البشري بشكل واضح وهكذا يمكننا القول من ان ظهور الحضارات كان نتيجة من نتائج الصراع الطويل الذي خاضه الانسان ضد تحدي الطبيعة وكان للانسان الدور الحاسم في ترويض البيئة والتغلب عليها وتسخيرها لخدمة البشرية عن طريق ابتداع الطرق والوسائل التي تمكن بواسطتها على تحدي البيئة وتمكن كل من العراقي والمصري القديمين بذلك التحدي من خلق حضارة اصلية كل في موطنه بينما لم يكن دور الانسان واضحاً في مواقع اخرى خارج المنطقة والتي كان في بيئتها تشابه كبير مع العراق ومصر .

فالمؤرخ يأخذ الاجزاء المختلفة من الوثائق وبقايا المدنيات المندثرة ويعمل على تشييد كيان منها مستعينا بخبرته على تمييز الصحيح فيها والمفتعل والمهم منها وغير المهم ومن ثم يحاول ان يتعرف على مختلف القوى التي عملت على تشكيل وصياغة الحضارة التي يهتم بها والتي ساعدت على ازدهارها وبقيت على طابعها المنفرد ومن ثم انحطاطها واندثارها .

لقد اهتم الملوك العراقيون القدماء بالماضي واثاره ففي العهد الاشوري الحديث اهتم سرجون الثاني (٧٢١ ـ ٧٠٥ ق . م) بكل ما يتعلق بمؤسس الدولة الاكدية شريكه في الاسم . سرجون الاكدي ٢٣٧١ ق . م . فكتب لوحاً ذكر فيه ترامي حدود امبراطورية سرجون الاكدي لكي يطلع عليه الجميع ويعرفوا امتداد امبراطوريته المطابقة لامبراطورية سرجون الاول الذي طالما اعتز به العراقيون القدامى وعدوه احد الرموز القيادية المتميزة وبنى مثله عاصمة سماها دور شروكين أي مدينة سرجون .

وهذا ما يبين اهتمام الانسان العراقي القديم بماضيه . اما سنحاريب فقد ربط نسبه بابطال العراق القدامى الذين عرفنا الكثير عنهم ومن اعمالهم الخارقة في الاساطير والملاحم مثل كلكامش وصديقه انكيدو وخمبابا . وكان اسرحدون (٦٨١ ـ ٦٦٩ ق . م) وابنه اشور بانيبال (٦٦٩ ـ ٦٢٧ ق . م) مولعين بجمع الاثار القديمة فقد ارسلوا الرسل لجمع كل ما يتعلق بالماضي واستطاع اشور بانيبال من جمع مكتبة كبيرة ضمت الكثير من النصوص المسمارية الحقها بقصره في نينوى وتضم حوالي ٢٥ الف رقم طيني نقلت جميعها في منتصف القرن الماضي الى المتحف البريطاني .

فقد جمعت هذه المكتبة بأمر من الملك الاشوري اشور بانيبال من كافة انحاء الامبراطورية الاشورية . اما الملك الكلدي نبونائيد (٥٥٥ ـ ٥٣٩ ق . م) ملك الدولة البابلية الحديثة فقد اهتم بالماضي وحاول احياء شعائر عبادة الاله سين اله القمر في معابده المشهورة باور وحران وتيماء . فكان مولعا بجمع الاثار وقد استطاع العثور على كتابة تعود للملك نرام ـ سين آخر الملوك الاقوياء للدولة الاكدية . والمعلومات الجديدة في التاريخ القديم لاتزال تتدفق في اكتشاف وثائق واثار فحل رموز اللغة الاكدية وبعدها اللغة السومرية مكنت العلماء من معرفة الكثير عن تاريخ العراق القديم . كان العراقي القديم على علم بماضيه وكان مشغولا بتسجيل تفاصيل احداثه من وجهة نظره كما كان ياخذ منه دروسا عملية نافعة .

يعتمد التاريخ القديم اعتمادا كبيراً على جميع الاثار التي خلفها الانسان والتي تكشف عن طريق التنقيبات الاثارية . ان للمخلفات الاثارية من فخار واختام منبسطة واسطوانية وادوات معدنية وحجر ورسوم وكتابات سواء على رقم الطين أو الحجر أو على البردي أو الجلد له أهميته عند المؤرخ في معرفة حالة الانسان الذي خلفها ومدنيته .

تقسيم تاريخ الانسان

١ ـ لقد قسم الباحثون تاريخ الانسان الى قسمين رئيسيين :ـ اطلقوا على القسم الاول مصطلح التاريخ القديم واطلقوا على القسم الثاني مصطلح التاريخ الحديث . ويشمل التاريخ القديم القسم الاعظم من تاريخ الانسان والذي يبدأ بظهوره على وجه البسيطة منذ مئات الالاف من السنين غير ان نهايته تختلف من منطقة الى اخرى ونسبة للاحداث التي وقعت في كل بقاع العالم . ففي منطقة الشرق الادنى القديم (التي تمتد من البحر المتوسط غربا حتى الهضبة الايرانية شرقا) . والتي تضم مجموعة من البلدان ومنها العراق فينتهي التاريخ القديم فيه بالفتح العربي الاسلامي له عام ٦٣٧ م حيث يبدأ التاريخ الحديث اما في اوربا فكان سقوط روما عام ٤٧٦ م نهاية التاريخ القديم وبداية للتاريخ الحديث .

٢ ـ ومن التقسيمات الاخرى التي استخدمت للتمييز بين العصور القديمة التي مر بها الانسان على اساس تطورها الحضاري . فهي تقسيم العصور الى عصور ما قبل

التاريخ والعصور التاريخية وكان الحد الفاصل بينهما هو اختراع الكتابة(٥) التي عدت وسيلة للتدوين وبمعرفة الانسان للكتابة فقد ترك لنا الكثير من النصوص عن الحكام والملوك والاساطير والقوانين والادعية والاغاني والرسائل المتبادلة بين الملوك والحكام والتي اعطتنا صورة واضحة عن الامور الادارية للعراق القديم في فترات مختلفة .

يختلف تاريخ ابتكار الكتابة من منطقة الى اخرى ففي العراق كان اختراع الكتابة اواسط الالف الرابع ق . م . وكان اختراع الكتابة في مصر في اوائل الالف الثالث ق . م بينما لم تستخدم الكتابة في شمال افريقيا الا في اوائل الالف الاول ق . م . وفي اليونان في حدود القرن السابع ق. م . وفي الاجزاء الشمالية من اوربا ظلت الكتابة غير معروفة حتى القرن الاول الميلادي . وهكذا كان العراق ومصر السباقين فى استخدام الكتابة قبل غيرهم من اقطار العالم القديم .

٣ ـ حاول الباحثون تقسيم تاريخ الانسان ومخلفاته في فترات عصور ما قبل التاريخ الى عصور وادوار رئيسة وثانوية تسهيلاً للبحث فيها ومتابعة التطور الحضاري عبر الفترات المختلفة معتمدين على الاثار المكتشفة وهكذا قسمت المراحل الحضارية الاولى بالنسبة الى المادة التي استخدمها الانسان في صناعة الاته وادواته فاطلق على الاولى العصور الحجرية وعلى الثانية العصور البرونزية والحديدية أو العصر الحجري المعدني . وكانت فترات استخدام المعادن تختلف من منطقة الى اخرى لذا فان العصر الحجري المعدني في اوربا ليس من الضرورة ان يقابل نفس الفترة الزمنية من الشرق الادنى القديم . كما ان نهاية العصور الحجرية في الشرق القديم وبداية العصر الحجري المعدني تختلف عنها في اوربا وامريكا .

٤ ـ لاحظ الباحثون ان فترة العصور الحجرية فترة طويلة لذا فقد قسمت الى ثلاثة عصور رئيسة هي : العصر الحجري القديم . والعصر الحجري الوسيط والعصر الحجري الحديث وهناك من يضع العصر الحجري السحيق الذي اكتشفت بقاياه في شمال افريقيا (الجزائر والمغرب وليبيا) ويجعله عصرا مستقلاً في بداية العصر الحجري القديم .

---

(٥) حول اختراع الكتابة العراقية القديمة راجع الفصل الحادي عشرص١٨٧ وحول تاريخ ظهور الكتابات القديمة ومراحل تطورها راجع ، ـ

J. Gelb, Astudy of Writing, Chicage, 1944.
David Dringer, Writing, London, 1962.

من اجل اعادة بناء احداث التاريخ القديم ، كان المؤرخون يستفيدون من نوعين من المصادر هما الاثار المادية والكتابات القديمة . فتشمل الاثار المادية جميع المخلفات المادية التي جاءت لنا في الماضي ومنذ ظهور الانسان قبل ما يزيد على المليون سنة ولا سيما بعد ان تعلم صناعة اولى الالات والادوات الحجرية ومنها الفؤوس اليدوية والمقاشط والنصال والسكاكين الحجرية وبعض الادوات البسيطة المصنوعة من عظام الحيوانات التي كان يصطادها . وتكاثرت وتنوعت الالات والادوات منذ العصور التاريخية وشملت اضافة الى ذلك انواع الفنون كالعمارة والنحت والزخرفة وصناعة الفخاريات وغيرها . ان هذا الصنف من المصادر التاريخية من المخلفات المادية متنوع ومتعدد سواء من حيث المواد المصنوعة منها ام من ناحية الاهمية والطراز ام من حيث فتراتها الزمنية . فبعض هذه المخلفات المادية ظاهر للاعين مثل المباني التذكارية الكبيرة كالاهرام في مصر والزقورات في العراق وبعضها ما يزال مطموراً تحت التراب لا يمكن التعرف عليه الا بالتحريات والتنقيبات الاثارية والتي شملت مواقع محددة من الاطلال والتلول التي تمثل مدنا أو مستوطنات قديمة وكشفها وتفسير مدلولاتها . اما الكتابات القديمة والتي ظهرت في تاريخ الانسان عند اختراعه الكتابة كوسيلة للتدوين قبل اكثر من خمسة الاف سنة . فقد كشفت التحريات والتنقيبات الاثارية عن الكثير من النصوص والوثائق المدونة والتي تعد اقدم المصادر في التاريخ ويبلغ عدد النصوص المسمارية المدونة على رقم الطين والتي عثر عليها في بلاد وادي الرافدين حوالي المليون رقيم اولوح من شتى صنوف العلم والمعرفة .

وقد اسهمت الكتابات القديمة كثيراً في استكمال الصور المعروفة للتنظيم الاجتماعي والاقتصادي والتقدم الفكري عصور الكتابة .(٦) .

فلا يوجد تاريخ بلا وثائق وبالنظر لتاريخ الانسان الطويل فقد تنوع الانسان بنشاطاته الفردية والاجتماعيه والتي تركها على وثائق مدونة أو بقايا مادية لابد من الوقوف على اسرارها وتفاصيلها وان هذا لا يتم الا بالتحري والتنقيب العلمي الصحيح الذي اخذ موقفا بارزا بين العلوم الحديثة .

---

(٦) سيتون لويد ، اثار بلاد الرافدين ، ترجمة د . سامي سعيد الاحمد ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٥ .

مصادر معلوماتنا عن حضارة بلاد وادي الرافدين(٧) : ـ

تعد التحريات والتنقيبات الاثارية من الوسائل العلمية التي تدخل ضمن اختصاص علم الاثار (الاركيولوجي Archaeology) . وينبغي للباحث وللمؤرخ في حضارة بلاد وادي الرافدين الاعتماد عليها في تزويده بالمصادر الاصلية لبحثه سواء كانت تلك المصادر بقايا مادية كبقايا الابنية والفنون والالات والادوات التي تركها لنا القدماء . أو نصوص كتابية كالخط المسماري في العراق والخط الهيروغليفي في مصر ومن بعدها الخطوط العربية واليونانية والرومانية وغيرها.

ظلت معلوماتنا عن تاريخ العراق القديم غير واضحة وغامضة ولا تعتمد على مصادر موثوقة حتى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين الميلادي . ففي هذه الفترة كانت اخبار بلاد وادي الرافدين وتاريخها قليلة ومقصورة حتى فترة متأخرة جداً على بعض المصادر التي : ـ

آ ـ تعتمد على بعض الاخبار التي وردت في الكتب المقدسة ولا سيما اخبار التوراة(٨) غير الدقيقة والمنحازة ضد العراقيين القدماء وذلك للحقد الدفين الذي يحمله كتاب التوراة من اليهود ولا سيما للعراقيين وللعرب بصورة عامة . فقد اقتبسوا الكثير من الحضارة العراقية وفي حقول كثيرة ومما زاد في حقدهم على العراقيين ما قام به الملوك العراقيين وعلى وجه الخصوص الملوك الاشوريون والكلديون من عمليات تأديبية لهؤلاء اليهود وانتصروا عليهم . فقد استطاع الاشوريون من القضاء على مملكة اليهود في القرن الثامن ق . م والكلديون بقيادة نبوخذ نصر الثاني من القضاء على مملكة يهوذا في اوائل

(٧) د . عامر سليمان ابراهيم واخرون . المصدر نفسه . ص ٤٠ ـ ٤٦

(٨) التوارة ، هو مصطلح يدل على الاسفار الخمسة الاولى من كتاب اليهود المقدس (العهد القديم) والذي يضم ٣٩ سفرا وقد استخدم في المصادر العربية للدلالة على جمع اسفار العهد القديم والذي دون بعد الاجلاء البابلي الاول والثاني من قبل اليهود في مدينة بابل والذين جلبوا اليها في حدود القرن السادس والخامس ق . م . أي بعد دعوة موسى لرسالته السماوية في القرن الثالث عشر ق . م . بثمانية قرون وهكذا حدث التزييف والتحريف بالتوراة . حيث دونت فيه وجهة نظر اليهود وحدهم فكانت اخبارهم منحازة يشوبها التعصب العنصري العرقي وفيها كثير من التبديل والتحريف والحذف .

القرن السادس ق . م .(٩) واجلاء (بالاكدية، gallatu) اليهود الى خارج اماكن سكناهم من اجل ضمان سلامة عدم التدخل في شؤون العراق الداخلية .

ب ـ روايات المؤرخين اليونان والرومان امثال هيرودوتس (٤٨٠ ـ ٤٢٥ ق . م) والذي لقب بـ(أبو التاريخ)(١٠) وزينفون (٤٣٠ ـ ٣٥٥ ق . م) الذي عاصره في اواخر حياته وهو قائد حملة العشرة الآف مقاتل يوناني والذي صحب كورش الصغير حاكم ليديا في حملته الى العراق ضد اخيه الملك ارتحشتا الثاني والذي كلف بارجاع الجنود المرتزقة بعد تقهقرهم في كوناكسا في اعالي سهل بابل عام ٤٠١ ق . م وترك لنا زينفون اخبار طريفة في كتابه ((الصعود)) (الاناباسس Anabasis) وشرح الكثير من المواقع الحربية بالاضافة الى اعطاء صورة واضحة عن المواقع الاثرية في العراق والشرق الادنى القديم .(١١)

وهناك غيرهم من المؤرخين الذين كتبوا عن منطقة الشرق الادنى القديم . وقد ورد الكثير من الاقتباسات في مؤلفات الكتاب الكلاسيكيين (اليونان والرومان) من كتاب الكاهن البابلي الشهير (بيروسوس Berosus) ويرجح ان اسمه البابلي برحوشا الذي عاش في القرن الثالث ق . م . والذي الف كتابا باليونانية عن تاريخ بلاد بابل منذ الخليقة والطوفان حتى غزو الاسكندر المقدوني للبلاد (عام ٣٣١ ق . م) وعنوانه باليونانية (البابليونيكا : Babylonaica) ومما يؤسف له ان مؤلفاته لم تصلنا مباشرة وانما جاءت عن طريق المقتبسين الاخرين وان ما وصلنا منها لم يكن الا شذرات .

---

(٩) قام نبوخذنصر بحملتين على اليهود في اورشليم لتمردهم عرفت الاولى بالاجلاء البابلي الاول عام ٥٩٧ ق . م . حيث تمكن من اسر ٣٠٠٠ اسير ومن ضمنهم الحاكم يهوباكين وافراد عائلته والنبي حزقيال اضافة الى مجموعة من الكهنة والقواد والصناع . اما الثانية فعرفت بالاجلاء البابلي الثاني عام ٥٨٦ ق . م اثناء حكم صدقيا الذي عينه نبوخذنصر ملكاً على يهوذا بعد الانسحاب منها غير ان صدقيا ثار على نبوخذنصر وامتنع من دفع الجزية فقام الملك نبوخذنصر بعملية تأديبية على مملكة يهوذا اسر فيها حوالي ٤٠,٠٠٠ ـ ٥٠,٠٠٠ اسيراً جلبوا الى بابل ودمرت عاصمتهم تدميرا كاملاً وتم القضاء على مملكة يهوذا حول هذا الموضوع انظر : ـ

حياة ابراهيم محمد . نبوخذنصر الثاني . وزارة الثقافة والاعلام . بغداد ١٩٨٣

(١٠) سمى هيرودوتس . الاجزاء التسعة من كتابه . باسماء الالهات الخاصة بالموسيقى والغناء والشعر والتاريخ . وعددهن تسع الهات بحسب الاساطير اليونانية وركز الجزء الاول المسمى باسم الهة التاريخ كليو Clio عن اخبار العراق القديم بوصف بعض مدنه وانهاره ولا سيما مدينة بابل اثناء مرحلة الغزو الفارسي الاخميني حيث كانت معابدها وبرجها الشهير وقصورها لاتزال قائمة . وقد ترجم تاريخ هيرودوتس الى اللغات الاوربية المختلفة .

(١١) زينفون . حملة العشرة الاف . ترجمة يعقوب افرام منصور . جامعة الموصل . ١٩٨٥

جـ . ماذكره الرحالة والسياح الاوربيون عن وصف العراق واحواله عنه زياراتهم له . فقد بدأت اخبار رحلاتهم عن العراق وبلدان الشرق العربي والشرق الادنى منذ القرن الثاني عشر الميلادي . فكان اول من زار العراق السائح اليهودي الاسباني الجنسية بنيامين التطلي الذي جاء من الاندلس عام (١١٦٠ م) في عهد الخليفتين العباسيين المقتفي بالله والمستنجد بالله وقد وصف ماشاهده من اطلال المدن القديمة مثل بابل وكيش ونينوى . وتعاقب السواح والرحالة في زيارة العراق .

ففي القرن السابع عشر زاره النبيل الايطالي بيترو ديلافالا واستغرقت رحلته لمنطقة الشرق الادنى والعراق تسع سنوات (١٦١٦ ــ ١٦٢٥ ق . م) فوصف بابل واشور واور والاخيضر . واعقبه آخرون في زيارة الشرق الى ان حل القرن الثامن عشر فزارت العراق بعثة اوربية استطلاعية ارسلها ملك الدنمارك في عامي ١٧٦١ و ١٧٦٧ م برئاسة العالم الرياضي الدنماركي كارستن نيبور لجمع المعلومات العلمية ومنها بقايا الماضي وآثاره . فوصف بابل ونينوى ورسم لها المخططات واستنسخ بعض الكتابات المسمارية . ثم زاره عدد آخر من السواح والرحالة الاجانب وكتبوا عن اثاره الخالدة .(١٢)

التحريات والتنقيبات الاثرية :ـ

كان لمعرفة الباحثين الاوربيين (منذ منتصف القرن التاسع عشر) في حل رموز الخط المسماري(١٣) الذي كان مفتاحا لمعرفتنا بالحضارة العراقية القديمة فزادت مراحل الكشف عن ماضي القدماء . وتقدمت مراحل الكشف عن اثار العراق . حيث بدأ بعض قناصل الدول الاجنبية وبعض وكلاء الشركات الاجنبية المقيمين في العراق مثل شركة الهند الشرقية البريطانية . والهواة من التحري والتنقيب عن اثاره وارسالها الى اوربا وذلك منذ مطلع القرن التاسع عشر . وكان تعيين كلوديوس ريج القنصل البريطاني في بغداد ١٨٠٧م الذي كان مهتما بدراسة تاريخ واثار مدن العراق القديمة ففتح عصراً جديداً في البحث والتحري وقام ببعض الحفريات في بابل واشور . وفي منتصف القرن التاسع عشر بدأت اعمال التنقيب السريع وغير

---

(١٢) د . محمد ابو المحاسن عصفور . معالم تاريخ الشرق الادنى القديم . دار النهضة العربية . بيروت . ١٩٨١ . ص ٣٤١ ــ ٣٤٥ .

(١٣) حول حل رموز الكتابة المسمارية راجع الفصل الحادي عشر ص ٢٣٧ ــ ٢٤١ .

العلمي تزداد على ايدي الهواة والقناصل الذين ليست لهم معلومات سابقة في اصول التحري والتنقيب عن الاثار . لقد استمرت هذه التنقيبات من قبل السواح والهواة للفترة المحصورة ما بين (١٨٤٢ ـ ١٨٩٩ م)(١٤) . بدأت اولى هذه التنقيبات من قبل بول اميل بوتا القنصل الفرنسي في الموصل الذي شرع بالتنقيب عام ١٨٤٢ في مدينة نينوى وعام ١٨٤٣ في خرسباد . وحاول التنقيب في تل النبي يونس الا انه فشل لمعارضة الاهالي لذلك وتمكن القنصل الفرنسي الجديد في الموصل فكتور بالاس من استلام رئاسة البعثة الفرنسية في التنقيب في مدينة نينوى ودور شروكين وللفترة ما بين (١٨٥١ ـ ١٨٥٥ م) وامتازت اعماله بالدقة العلمية . وتم نقل الكثير من الاثار العراقية الى متحف اللوفر بباريس . وغرق الكثير من اثار دور شروكين في مياه شط العرب اثناء نقلها الى الاكلاك الى ميناء البصرة لتأخذ طريقها الى اوربا. وجاء دور الانكليز في الحصول على الغنائم كالتي حصل عليها المتحف الفرنسي فارسلوا بعثة بريطانية ترأسها هنري لايرد للحفر والتنقيب في مدينة النمرود ونينوى للفترة ما بين (١٨٤٥ ـ ١٨٤٧ م) ونقب ايضا في اشور (قلعة الشرقاط) وارسلت المكتشفات بحراً الى لندن . ثم عاد للعمل للفترة ما بين (١٨٤٩ ـ ١٨٥١ م) في تل قوينجق والنمرود ـ واشور وبابل ونفر . وخلفه في العمل البريطاني هنري رولنصن الذي يعود له الفضل في حل رموز الكتابة المسمارية . ثم جاء دور مساعد لايرد المنقب هرمز رسام من سكنة الموصل انذاك للكشف عن بقية المنحوتات التي عثر عليها في الموصل فعمل في تل قوينجق والنمرود حتى عام ١٨٨٢ م . ولم يقتصر التنافس بين الانكليز والفرنسيين في نهب الاثار العراقية على شمال العراق بل امتد الى الجنوب الى مدينة لكش السومرية (تل الهبة) قرب الشطرة وسرقوا الكثير من اثارها الى متحف اللوفر والمتحف البريطاني وزادت اعمال التخريب والتدمير في المواقع الاثرية لغرض الحصول على الاثار بطرق غير شرعية وغير علمية من قبل اهليين وسكان القرى المجاورة وهكذا شوهت الكثير من المواقع الاثرية واضاعت الكثير من معالمها . لان همها الاول والاخير هو الحصول على الكنوز والاثار المادية الكبيرة والثمينة دون الالتفات الى الادوار السكنية والمباني المكتشفة . وفي عام ١٨٨٤ م دخلت الولايات المتحدة الامريكية للتنقيب عن الاثار في مدينة نفر في قضاء عفك جنوب العراق وكانت بعثتها برئاسة جان بيترز وهلبرشت ثم انتقلت الى لكش وواصلت بعثات امريكية اخرى العمل في نفر . ولما اوشك القرن التاسع عشر

---

(١٤) د . بهنام ابو الصوف ، التنقيب في العراق ، حضارة العراق ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، الجزء الاول ، ١٩٨٥ ، ص ٥٧ ـ ٧٢ .

الميلادي على الانتهاء بدأ ما يصح تسميته بطور التنقيبات الاثرية العلمية حيث امتازت اعمال التنقيب بالدقة والاهتمام بالمباني والتدوين الصحيح وكانت فاتحته عام ١٨٩٨ م حين بدأت جهود الجمعية الالمانية الشرقية للتنقيب في العراق وارسلت بعثة اثارية برئاسة روبرت كولدوي وولتر اندريه للتنقيب في بابل (١٨٩٨ ـ ١٩١٧ م) ولم تتغلغل التنقيبات الى الطبقات الاثرية العميقة لان ارتفاع مناسيب المياه الجوفية حال دون الوصول الى ادوار العصر البابلي القديم (الالف الثاني ق . م) ونقب اندريه في اشور ما بين (١٩٠٣ ـ ١٩١٤ م) ويوردن ونولدكه في الوركاء عام ١٩١٢ ثم عام ١٩٢٨ وما بعدها . ويعتبر اندريه اول من مارس التنقيب بالحفر العمودي في تاريخ التنقيبات في العراق وتبعه بعد ذلك من جاء من بعده وكذلك يعود له الفضل بتدريب ابناء القرى الشرقية القريبة لدجلة والمواجهة لاشور على اعمال الحفر الدقيق ومتابعة الطبقات الاثرية والتعرف على مواد البناء وتمكن هولاء العمال من شق طريقهم حيث عملوا ومازالوا يعملون في جميع مواقع الاثار العراقية القديمة . فانتقلت خبرة الاباء لابنائهم وصاروا يعرفون بالعمال الشرقاطيين . ونقل الالمان كما نقل غيرهم من الاثار العراقية في بابل واشور الى برلين وعرضت في متحفها منها بوابة عشتار وبما كان يزينها وشارع الموكب في بابل وقصر الاواوين في اشور من طابوق ملون ومزجج والالاف من رقم الطين المدونة بالخط المسماري وغيرها من اللقى . وبين عام ١٩٠٧ ـ ١٩١٤ وقع اختار الفرنسيين على الكثير من المواقع الاسلامية الاولى كالحفريات في قصر الخليفة في سامراء وحفريات هرتسفلد في قصر الجوسق الخاقاني فيها . وزارت مسزبيل موقعي الاخيضر والمدائن في عام ١٩٠٩ .

وتوقفت التنقيبات الاثرية في العراق خلال الحرب العالمية الاولى الا انها نشطت ثانية بعد ان وضعت الحرب اوزارها حيث بدأ كامبل تومسن تنقيباته في عام ١٩١٨ في كل من اور واريدو وفي عام ١٩٣٥ في نينوى ولحساب المتحف البريطاني واعقبه هول في موقع العبيد الذي نقب في معبده .

كانت اول حملة واسعة مشتركة بين المتحف البريطاني وجامعة بنسلفانيا الامريكية قد بدأت من قبل ليونارد وولي عام ١٩٢٢ ـ ١٩٣٤ ووقع الاختيار على مدينة اور وكانت مهمتها ناجحة . حقق وولي خلالها كثير من النجاحات في حقل التنقيب والنشر العلمي وتمكن من الكشف عن المقبرة الملكية في اور ومحتوياتها من الاسلحة والحلي المصنوعة من الذهب والاحجار الكريمة ونقب وولي ايضا في العبيد .

وتبعتهم بعثة بريطانية امريكية مشتركة ثانية عملت في كيش (تل الاحيمر) ثم انتقل العمل من قبل بعثات اجنبية اخرى الى شمال العراق وكشف الكثير من الات وادوات ـ الانسان الاول في كهفي زرزى وهزار مرد قرب السليمانية . وتمكن المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو باشراف هنري فرانكفورت في التنقيب في منطقة ديالى في مواقع تل اسمر وتل اجرب وخفاجي واشجالي لبضع سنين ما بين ١٩٣٥ ـ ١٩٣٧ . وتمكنت بعثات اخرى من العمل ولفترات قصيرة في مواقع اخرى من مرحلة ما بين الحربين الا ان ـ اعمالها كانت محدودة .

واستطاعت مديرية الآثار العراقية العمل في حقل التنقيب وبأسلوب علمي في مواقع عديدة منها واسط وسامراء والكوفة ما بين ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩ وبعدها باشرت العمل في عقرقوف وكانت حفرياتها ناجحة حيث تمكنت من الكشف عن معالم المدينة الكشية فيها . ثم نقبت في الحيرة واريدو وتل حرمل خلال الاربعينات وبرزت نشاطاتها بحملة تأليف ونشر واسعتين لتعريف المواطنين بالاثار العراقية ومواقعها وزاد نشاطها بعد الحرب العالمية الثانية وارسلت الكثير من موظفيها الى خارج القطر من اجل التخصص وزادت نشاطات مديرية الاثار العامة في عهد ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز الاشراكية وكبرت مسؤولياتها في حقول التحري والتنقيب والصيانة الاثارية .

يبلغ عدد المواقع الاثارية في العراق اكثر من (١٠،٠٠٠ موقع اثري الا ان عمليات ومعاول المنقبين لم تصل الى الكثير منها . واصبح علم التنقيب فنا خاصا يدرس في الجامعات العراقية والعالمية ولم يعد يسمح لاية جهة اجنبية أو محلية بالتنقيب في مواقع الاثار العراقية الا اذا توفرت في هيئة التنقيب الشروط العلمية من حيث الامكانات المادية والعلمية والفنية وضمت الهيئة عدداً من ذوي الاختصاص في حقل التنقيب .(١٥) وساهمت الجامعات العراقية في حقل التنقيب في المواقع القريبة منها فقد نقبت جامعة بغداد في تل اسود قرب السيدية وتعمل الان في تل ابو حبة (سبار) قرب اليوسفية اما جامعة الموصل فقد شاركت باعمال الصيانة والتنقيب في بوابة ادد (ضمن سور نينوى الشمالي) ثم في مدينة تربيصو الاشورية وتل ابو ظاهر ومواقع اخرى وساهمت جامعة البصرة في الكشف عن بعض المعالم الاسلامية في منطقة الزبير كما تعاونت الجامعات المذكورة اعلاه مع المؤسسة العامة للاثار

(١٥) تاسس المتحف العراقي عام ١٩٢٤ وصدر اول قانون للاثار العراقية عام ١٩٣٦ منع بموجبه التجاوز على المواقع الاثارية . ومنع المنقبين الاجانب من اخذ اية كمية من اللقى الاثارية السهلة الحمل ونقلها الى خارج القطر وهكذا تم الحفاظ على اثار القطر وعرضها في متاحفه الوطنية .

والتراث (حديثا دائرة الاثار والتراث) في حملات الانقاذ الكبرى للمواقع الاثرية ضمن مشاريع السدود الكبرى حمرين والقادسية وسد صدام .

الطرق المتبعة في ضبط الادوار الحضارية(١٦) والعصور التاريخية :-

وهي ايجاز للاساليب والطرق الاثرية والتاريخية المتبعة في ضبط ادوار التاريخ وتسلسلها .

١ - دراسة الطبقات الاثرية :-

يقصد بالطبقة الاثرية دور بنائها سواء كان البناء من جدران وتباليط ام انه مجرد ارضيات ترابية او طينية . ان دراسة هذه الطبقات التي توجد فيها مخلفات الانسان الحضارية وتقدير عمرها تعتبر من اولى المهام الملقاة على عاتق المنقب الاثري لمعرفة الدور الحضاري أو التاريخي الذي تعود اليه الاثار المكتشفة .

فطبقات الابنية السفلى هي اقدم عهداً من طبقات الابنية التي تليها الى الاعلى . فيتعذر على المنقب الاثاري من وضع قواعد مضبوطة في تقدير الفترة الزمنية التي تقع فيها الطبقات الاثرية حيث تختلف من قطر لاخر وتختلف مادة البناء وجودته ايضاً فالبناء المشيد بالحجر يكون اطول عمراً من بناء الاجر .

والابنية المشيدة بالاجر تكون اطول عمراً من الابنية المشيدة باللبن (الاجر المجفف بالشمس) وبناء اللبن يكون اطول عمراً من الابنية المشيدة من الطوف (الطين المدلوك) كما في ابنية عصور ما قبل التاريخ قبل ظهور اللبن . وتؤثر عوامل المناخ من رطوبة وجفاف في عمر الطبقة البنائية المشيدة باللبن والمواد الاخرى . وجرى العرف الاثري على تخصيص زمن جيل واحد (أي بحدود ٣٠ - ٢٠ سنة) لعمر بناء اللبن والطين أما الابنية المشيدة بالاجر والحجارة فتعمر اطول قد تصل الى قرن من الزمان .

---

(١٦) المقصود بالدور الحضاري هو الحقبة الزمنية التي قد تدوم بضعة قرون ويتألف في المواقع الاثرية من عدة طبقات اثرية أو تتميز اثار تلك الطبقات المميزة وطرزها المعمارية الخاصة مثل الاواني الفخارية وطرز المنحوتات والنقوش وغيرها . وهذا يعني ان الدور الحضاري يمثل جملة خصائص حضارية في تاريخ القطر الذي يبحث عن حضارته . وغالبا مايضم الموقع الاثري اكثر من دور حضاري واحد فمثلا موقع الوركاء يحتوي على ثماني عشر طبقة سكنية تتوزع على اربعة ادوار أو عصور حضارية رئيسية منذ اقدم استيطان الانسان لهذا الموقع . هي ادوار العبيد والوركاء وجمدة نصر وعصور فجر السلالات .

وفي حالة عصور ما قبل التاريخ وخاصة تلك التي لم يعرف فيها الانسان تشييد البيوت بل كان يعيش في الكهوف والمغاور والاكواخ . فيكون تقدير عمر الطبقات الاثرية فيها مقتصراً على تقدير ثخن الانقاض التي تتجمع وتتراكم من سكن الانسان في بناء تلك المواضع ويختلف تقدير عمرها من قطر لآخر .

لقد كانت المواضع الاثرية في اصلها قرى او مدنا عامرة قديما فتراكمت عليها الانقاض بعضها فوق البعض الاخر بعد ان هجرت نتيجة تغيير مجاري الانهار التي شيدت على ضفافها تلك المستوطنات أو نتيجة لفقدانها اهميتها التجارية أو الزراعية أو العسكرية أو السياسية فاذا ما هجر هذا الموضع يتحول الى تل اصطناعي يحتوي داخله على طبقات من انقاض بيوت السكنى لادوار تاريخية وحضارية متعاقبة فالطبقة العليا (الاولى) تمثل احدث الطبقات السكنية عهداً تليها الثانية والثالثة الى ان تصل الى الطبقة السفلى (قعر التل) حيث بقايا أو استيطان للانسان في الموضع ويقع تحت هذه الطبقة الارض البكر وهي الارض التي لم تمتد اليها يد الانسان. وغالباً ما يبطن داخل الموضع الاثري اثار مخلفات الانسان الذي عاش في تلك البقعة في فترات ماضية .

٢ ـ دراسة الطرز الفنية ومقارنتها : ـ

تتميز جميع المخلفات الاثرية كالمسلات والتماثيل والاختام المنبسطة والاسطوانية والمنحوتات والالات والادوات الفخارية والمعدنية التي استخدمها الانسان عبر عصوره بميزات وخصائص فنية تختلف من فترة لاخرى وكذلك من مكان لاخر وعلى ضوء ذلك يمكن استنتاج الفترة الزمنية لهذه المخلفات في مختلف الاماكن بالنسبة الى بعضها البعض ويمكن تحديد التطور في صناعة هذه المواد ومقارنتها بالمخلفات التي سبقتها أو التي لحقتها أو التي تعاصرها وذلك حسب التطور الذي حدث في صناعة هذه المواد . وقد كان الفخار والاختام الاسطوانية من اهم الاثار التي تمكن الباحثون من دراسة تطور اشكالها وصناعتها والتي انتشرت في العصر الحجري المعدني والعهد الشبيه بالكتابي .

٣ ـ النظائر المشعة أو العناصر المشعة : ـ

وهي من الطرق العلمية الحديثة التي طبقت في تحديد تاريخ المواد العضوية القديمة سواء كانت من الخشب أو الفحم أو العظم أو بقايا النباتات وتعرف بطريقة

كاربون ١٤ التي توصل اليها العالم ليبي من جامعة شيكاغو عام ١٩٤٦ وتعتمد هذه الطريقة على احتساب كمية النظائر المشعة (كاربون ١٤) الموجودة في تلك المواد العضوية . ومن ثم تقدير تاريخ فقدانها الحياة . ومن المعروف ان كل مادة حية تحتوي على كمية معينة من النظائر المشعة وانها تفقد هذه النظائر الموجودة فيها بالتدريج من بعد فقدانها الحياة حيث تتوقف عملية امتصاص الكاربون . وبما ان الكاربون ١٤ عنصر مشع فأنه يبدأ بالاشعاع من الجسم العضوي الميت وتتناقص نسبة وجوده بالتدريج عبر الازمان الى ان يتلاشى حيث يتحول الى عنصر النتروجين .

فقد وجد ان تناقص وزن كاربون ١٤ المشع يسير بشكل منتظم فهو يفقد نصف وزنه في مدة كل ٥٦٠٠ أو ٥٧٥٠ عام أي ما يسمى بدورة نصف العمر . فبعد مضي هذه الدورة يفقد الكاربون ١٤ نصف وزنه المتبقي الى ان يتحول الى عنصر النتروجين ويمكن قياس ما تبقى من الكاربون ١٤ بواسطة جهاز كهربائي يسمى بجهاز ((كاكير)) ومن عيوب هذه الطريقة انها تعطي تاريخ المادة بشكل تقريبي . وانها تحتاج الى كمية كبيرة من المواد العضوية المكتشفة . وكثيراً ما تتلف المادة المستخدمة في هذا الجهاز ويقتصر استخدام هذه الطريقة بشكل خاص في تحديد تاريخ المواد العائدة الى عصور ما قبل التاريخ .

اساليب تدوين التاريخ واهمية كتابته وتطورها عبر العصور : ـ

• التدوين التاريخي في الحضارات القديمة : ـ

بدأ الانسان بتدوين شؤون حياته المختلفة ومنها احداث الماضي منذ ان ظهرت اولى الحضارات البشرية فكان العراق سباقا في ابتكار الكتابة في اواسط الالف الرابع ق . م قبل غيره من دول العالم القديم . حيث فترة ظهور الكتابة الصورية فيه وتطورها الاولى في دور الوركاء وجمدة نصر . وسميت الكتابة في مراحلها المتطورة بالكتابة المسمارية (Cuneiform) لشبه علاماتها بمجاميع من المسامير . وفي مصر ظهر الخط الهيروغليفي بعد ذلك . وبدأ اول تدوين لتاريخ البشرية حيث ظهرت اولى المدونات التاريخية للاحداث المعاصرة والماضية في عصر مبكر من تاريخ هاتين الحضارتين العظيمتين .

تضاهي الاساليب التي اتبعها كتبة العراق القديم اساليب المؤرخين في الحضارات القديمة اللاحقة التي اقتبست الشيء الكثير من تلك الاساليب ضمن العناصر الحضارية الكثيرة التي اقتبستها من حضارة وادي الرافدين وفي مقدمتهم المؤرخون اليونان والرومان والعرب الذين عملوا الشيء الكثير في تطوير وتدوين التاريخ ووضعوا بذوره الاولى .

ان اول ماننذكره عن التدوين التاريخي في حضارة العراق القديم انه على الرغم من عدم انطباق مفهوم تدوين التاريخ الحديث عليه غير ان مفهوم التاريخ في حضارة بلاد وادي الرافدين يقوم على اسس مهمة منها مصطلح الحس التاريخي الذي يظهر جليا في اهتمام العراقيين القدماء باحداث الماضي وتدوينها .

ويمكن اعتبار هذا الحس من بين العناصر الحضارية في التراث الحضاري العراقي . وكان توارث الاجيال خبرات الماضي وتجاربه تنقل شفهيا قبل ظهور الكتابة .

ومن الاهداف التي يتوخاها المؤرخون المحدثون من درس التاريخ هو ربط الماضي بالحاضر لفهم هذا الحاضر ، ونجد بدايات هذه الاهداف عند مؤرخي العراق القديم ومنهم الكتبة الاشوريون على وجه التحديد . كما يظهر في الكتابات الرسمية الملكية التي لم يقتصروا في تدوينها على تسجيل اعمال الملوك من بناء وتعمير وحملات عسكرية بل انهم كانوا في كثير من الاحيان يصدرونها بديباجة تاريخية يذكرون فيها الاحداث التاريخية وربط ذلك بالاعمال التي شرع بها الملك . ولم تقتصر المدونات التاريخية في تدوين احداث دولة أو سلالة أو ملك بل حاول الكتبة القدماء تدوين وتفسير تاريخ العالم حسب ارائهم ومنذ بدء الخليقة ، وخير مثال على ذلك في قصص الطوفان(١٧) واصل نظام الحكم واصل الاشياء . ظل المؤرخون القدماء يستخدمون الخط المسماري للتدوين في العراق وبعض البلدان

---

(١٧) للتعرف على قصة الطوفان التي وردت في المصادر العربية راجع : ـ

د . فاضل عبد الواحد علي ، الطوفان في المراجع المسمارية . بغداد ، ١٩٧٥ وفيه ترجمة عربية للاصول المسمارية لقصة الطوفان (زيو ـ سدرا) صفحة ١١٩ وما بعدها . وقصة الطوفان البابلية (اتراخاسيس)

صفحة ١٢٣ وما بعدها وقصة الطوفان في ملحمة كلكامش ملك الوركاء . اللوح الثاني عشر . راجع : ـ الاستاذ طه باقر . ملحمة كلكامش . وزارة الثقافة والاعلام . بغداد . الطبعة الخامسة ١٩٨٦ ص ١٤٧ . وتتناول قصة الطوفان التي وردت في التوراة والتي اخذت في هيكلها العام واكثر تفاصيلها من قصة الطوفان العراقية القديمة راجع سفر التكوين . الاصحاح ٦ ـ ٩ .

المجاورة حتى القرن الاول الميلادي حيث حل محله الخط الارامي الهجائي الذي ظل يستخدم في العراق الى ان حل محله الخط العربي الذي انتشر الى انحاء الشرق الادنى مع الفتح العربي الاسلامي في القرن السابع الميلادي . لقد تمكن الباحثون من قراءة الكثير من النصوص المسمارية المكتشفة في العراق ولا تزال الكثير منها ينتظر دوره في القراءة والترجمة . وتبين ان بعض هذه النصوص لها اهميتها في تحديد الادوار التاريخية وضبط فترتها الزمنية لما تحتويه من معلومات تاريخية توضح تتابع أو تعاصر السلالات الحاكمة بعضها للبعض الاخر .

اشهر انواع المدونات التاريخية في حضارة وادي الرافدين : ـ

١ ـ جداول الملوك والسلالات الحاكمة : ـ

وهي جداول تذكر اسماء السلالات الحاكمة في تاريخ العراق القديم وتعدد اسماء تلك السلالات واسماء ملوكها وعدد سنين حُكمهم منذ ابعد عصور التاريخ حتى عصوره المتاخرة . وهناك جداول ملوك سومرية واخرى بابلية وثالثة اشورية . وتعتبر من اهم مصادرنا في تاريخ العراق القديم . وكان بعض هذه الجدوال يقتصر على حكم سلالة واحدة كما في سلالة بابل الاولى وبعض السلالات الاخرى . اما جداول الملوك السومرية والتي تم تأليفها (على ما يرجح) في عهد سلالة اور الثالثة (٢١١٣ ـ ٢٠٠٦ ق . م) بينما دونت نسخ منها في مطلع الالف الثاني ق . م واضيفت اليها بعض السلالات الحاكمة . فتعتبر اطول جدول بعدد السلالات التي حكمت العراق القديم منذ فترة ما قبل الطوفان حيث حكمت في خمس مدن مشهورة وعدد ملوكها ثمانية ملوك ومجموع سنين حكمهم ٢٤١,٠٠٠ عام وهو رقم اسطوري . فقد جعل جامعو الجداول السومرية حادثة الطوفان الحد الفاصل ما بين عهدين في التاريخ البشري هما العهد القديم من قبل الطوفان والعهد الجديد من بعد الطوفان على غرار مانسميه اليوم قبل الميلاد وبعد الميلاد . لقد افادتنا هذه النصوص كثيراً في معرفة تسلسل الادوار التاريخية التي مرت على العراق .

٢ ـ التقاويم : ـ

لقد شعر الانسان ومنذ عصور سحيقة بضرورة ايجاد طريقة للتقويم. ففي العراق ومصر وضع الحجر الاساس لانظمة حساب الوقت . فيعود الفضل للعراقي القديم في تقسيم الوقت الى السنين والاشهر والاسابيع والايام . فعرف اهل العراق الشهور القمرية وكانوا يضبطون تقويمهم باضافة شهر اضافي (كبيس) عند الحاجة من اجل تطابق السنة القمرية مع السنة الشمسية .

وقسموا اليوم الى ١٢ ساعة مضاعفة وعرفوا النظام الستيني . وترجع ملاحظاتهم الفلكية الى عصور غابرة . كان اسلوب التقويم الذي استخدمه العراقيون القدماء له أهميته في معرفة تسلسل حكم الملوك والحكام وتسلسل تاريخ الاحداث المهمة ، لقد كانت الطريقة المتبعة في تحديد السنين في العهود السومرية والبابلية ان تسمى كل سنة باسم اهم حادثة وقعت في البلاد وغالبا ما دون لنا الكتبة القدماء جداول باسماء تلك الحوادث وسنيها وتسلسلها . ففي البداية كانت السنة تسمى بعد حادث معين مثل بناء مدينة أو سور أو معبد أو حملة عسكرية واحيانا تسمى بالسنة التي بعد السنة التي حدثت فيها الحادثة المعينة . كانت التسمية الرسمية للسنة في العراق القديم تبدا في عيد الاكيتو (عيد رأس السنة) التي تبدأ في نيسان من كل عام . لقد ادخل سرجون الاكدي اول نظام موحد للتاريخ بعد توحيد دويلات المدن السومرية ـ الاكدية وقيام الامبراطورية الاكدية . وعندما تسلم اورنمو مؤسس سلالة اور الثالثة الحكم في البلاد ، اقام نظاماً موحداً جديداً بدلا من التحسبات والانظمة المختلفة التي شاعت فيها . فأخذ البابليون ومن بعدهم الاشوريون التقويم القديم مع بعض التعديلات الطفيفة ، وفي فترة الاحتلال الكشي للعراق استخدمت طريقة جديدة لتاريخ السنين تعتمد على تسلسل سني حكم الملوك وهي طريقة سهلة ظلت في الاستخدام حتى فترة الاحتلال السلوقي عندما اعتبر شهر تشرين الاول عام ٣١٢ ق . م ، وهو تاريخ بداية الاحتلال السلوقي للعراق نقطة ثابتة لتاريخ الحوادث التالية ، اما الاشوريون فقد استخدموا طريقة خاصة بهم عرفت بطريقة اللمواي تاريخ الحوادث بالسنين التي تخصص لكبار موظفي الدولة ابتداء من السنة الاولى من حكم الملوك .

٢ ـ التاريخ التعاصري : ـ

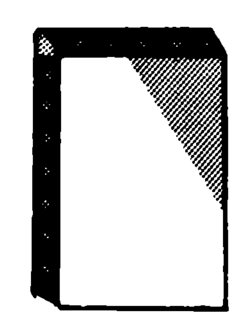
استطاع الكتبة العراقيون من تطوير اسلوب تدوين جداول الملوك والسلالات الحاكمة الى ما يعرف لدى الباحثين بمصطلح التاريخ التعاصري والذي هو عبارة عن موجز العلاقات السياسية ما بين ملوك بلاد بابل وبلاد اشور .

فقد قسم الكتبة العراقيون جداول الملوك المعاصرين الى حقلين ذكر في الحقل الاول اسماء الملوك البابليين وعددهم ٩٨ ملكاً ابتداءً من بداية حكم سلالة بابل الاولى (اوائل الالف الثاني ق . م) وحتى اخر حكام سلالة بابل العاشرة (القرن السابع ق . م) وفي الحقل اسماء معاصريهم من الملوك الاشوريين وعددهم ٨٢ ملكاً ابتداء من اقدم ملوكهم المسمى (ايرشوم) وحتى اخر ملوكهم اشور بانيبال . أضافة

الى ما تقدم فان هناك نصوصاً كثيرة افادت في تحديد الادوار التاريخية وضبط فترتها الزمنية وجد بعضها خارج العراق منها رسائل العمارنة في مصر (القرن الرابع عشر ق . م) وهي الرسائل الملكية المتبادلة بين الفرعون المصري وبين الملوك الحثيين والحوريين والكشيين والاشوريين في سوريا والعراق . وقد كتبت جميعها بالخط المسماري وباللغة الاكدية مما يشير على انتشاره كخط ولغة دبلوماسية في منطقة الشرق الادنى القديم في اواسط الالف الثاني ق . م . ونصوص ماري (تل الحريري) في سوريا وبعض النصوص الحثية والعيلامية وغيرها .

٤ ـ الارصادات الفلكية

وهناك طريقة اخرى في التقويم هي استعمال الحسابات الفلكية مثل كسوف الشمس وخسوف القمر والتي ورد ذكرها في النصوص القديمة والملاحظات الفلكية التي وصلتنا من عصر الملك البابلي عمي صدوقا حفيد حمورابي من سلالة بابل الاولى (القرن السابع عشر ق . م) . وهناك كسوف الشمس الذي ورد في تقاويم اللمّو الاشورية والذي حدث في السنة الثالثة من حكم الملك الاشوري اشور ـ دان الثالث (٧٧٢ ـ ٧٥٥ ـ ق . م) الذي ظهر بالحساب من قبل علماء الفلك وتمكنوا من تحديد تاريخ حدوثه وبالذات بالنسبة للوقت الحاضر . حيث تبين انه حدث في ١٥ حزيران سنة ٧٦٣ ق . م . كما افاد الباحثون من الارصادات الفلكية الاخرى كارصاد كوكب الزهرة من النصوص المسمارية للعصر البابلي القديم (الالف الثاني ق . م) وذلك في تثبيت حكم بعض ملوك سلالة بابل الاولى وبنفس الطريقة المستخدمة في تحديد الكسوف . فقد امكن حساب هذه الفترات وبالتالي تحديد فترات ملوك سلالة بابل الاولى بوجه التقريب .



الفصل الثاني

البيئة الطبيعية
التضاريس الطبيعية

قضية ساحل الخليج العربي وعلاقته بالسهل الرسوبي

مناخ العراق واحواله الطبيعية

انهار العراق

الاسماء التاريخية لبلاد وادي الرافدين

الفصل الثاني

البيئة الطبيعية

يقدر عمر الارض بحوالي ٤٥٠٠ مليون سنة حيث كانت غالبيتها خالية من كل حياة . وترجع اقدم ادلة عن الحياة على الارض الى ما يقارب ٢٠٠٠ مليون سنة ، أي ان الحياة على سطح الارض لم تبدأ منذ نشأتها وعندما بدأت كانت عبارة عن كائنات بسيطة التكوين الى ان اخذت الكائنات المعقدة بالظهور وبعد ذلك ظهرت الكائنات الشبيهة بالانسان ولكنها كانت اقرب الى القردة العليا في جاوه والصين ثم ظهرت الكائنات التي عدت اسلافا للانسان الحديث .

اما عمر الانسان فربما ظهر قبل ١،٧٥٠،٠٠٠ سنة حيث ظهر في مرحلته الكاملة في عصر البلايستوسين بعد ان اخذ الانسان في التطور البايولوجي منذ ظهوره الى ذلك العصر .

لقد سخت الطبيعة على بلاد وادي الرافدين منذ القدم ، فوفرت له سهولاً واسعة منبسطة خصبة ، ومياها وفيرة ، ومناخاً معتدلاً جذابا ولكن سخاء الطبيعة كان محدودا فمقابل هذا العطاء السخي تطلبت العمل الجدي القائم على اعمال الفكر والعقل وهو الدور الرئيسي الذي بذله العراقي القديم والذي كان له الدور الاول في نشوء وتطور الحضارة العراقية القديمة .

تتميز ارض العراق بموقعها العظيم فهي تتوسط بحرين عظيمين هما البحر الاسفل (الخليج العربي) والبحر الاعلى (البحر الابيض المتوسط) . اللذان كان لهما دور كبير في نشوء وازدهار الحضارات القديمة . وقد تميز العراق بموقع استراتيجي من الناحية التجارية . حيث يقع في القسم الجنوبي الغربي من آسيا ويحمي القسم الشمالي الشرقي من الوطن العربي . وهو اضافة الى ذلك توفرت فيه المياه العذبة المتدفقة من الينابيع الصافية ويجري منه نهران عظيمان من الشمال الى الجنوب كالتوأمين ويلتقيان في نهاية السهل الرسوبي مكونين نهراً واحداً هو شط العرب الذي يصب في الخليج العربي بعد ان يمد الارض بالمياه العذبة الغزيرة لتسقي الحقول التي ساعدت على نمو مختلف النباتات ومعيشة لانواع عديدة من الحيوانات . فالى جانب البيئة المعطاء واجه الانسان مصاعب جمة قبل ان يتمكن من تسخير الطبيعة لخدمته فبذل اقصى جهوده من اجل ذلك .

التضاريس الطبيعية :ـ

توجد في العراق صخور تمثل مختلف الازمنة الجيولوجية اذا تنتشر تحت سطحه صخور نارية قديمة يعتقد بانها كانت جزءاً من القارة القديمة وتمتد فوق سطحه ترسبات حديثة تعود الى العصر الجيولوجي الحديث .

وكان بحر تيثس في العصر البرمي في اواخر الدهر الجيولوجي الاول ، يمتد عبر سوريا ولبنان والعراق وايران وحتى شمال الهند . وفي الدهر الجيولوجي الثاني والثالث تعرضت المنطقة الى حركات ارضية وضغوط جانبية من الشمال في فترات مختلفة . كانت ارض العراق حتى اواخر الدهر الجيولوجي الاول مغطاة بالمياه ، ثم اخذت مياه بحر تيثس بالانحسار تدريجياً منذ حوالي ٦٠ مليون سنة فظهرت الاجزاء الشمالية والشمالية الشرقية من العراق في اواخر الدهر الجيولوجي الثاني واوائل الدهر الجيولوجي الثالث ، فظهر في نهاية عصر الميوسين في الدهر الجيولوجي الثالث فظهرت ارض العراق بشكل كامل تقريباً .

وبدأت تتكون السهول الواسعة . وفي عصر البلايستوسين (الدهر الجيولوجي الرابع) وهو الدور الذي تقع فيه العصور الجليدية المعروفة والعصور الحجرية القديمة اشتدت الحركات الالتوائية فتكاملت عملية تكوين المنطقة الجبلية بشكلها الحالي وتم تكوين دلتا النهرين (السهل الرسوبي) الذي كان منخفضاً جيولوجيا والذي حدث نتيجة الحركات الارضية في الازمنة السابقة . وهكذا نجد تفاوتا في التضاريس الطبيعية لسطح العراق والتي يمكن ان نميز ثلاث انواع رئيسة منها :ـ

١ ـ المنطقة الجبلية :ـ

وتشمل المنطقة الجبلية الجبال العالية والمرتفعات المتموجة أو الشبه جبلية وتمتد في جبهات العراق الشمالية والشمالية الشرقية الى حدوده المشتركة مع سوريا وتركيا وايران وتشكل زهاء ٢٠ ٪ من مساحة القطر وتتلاشى هذه المرتفعات عند حدود منطقة السهل الرسوبي والهضبة الصحراوية في الجنوب والغرب وتتدرج ارض العراق في الارتفاع كلما سرنا من الجنوب الى الشمال ومن الغرب الى الشرق وتتلاشى هذه المنطقة على هيئة تلال ومرتفعات عند حدود السهل الرسوبي بالقرب من منطقة الفتحة (قرب بيجي) . وتتميز المنطقة الجبلية بوفرة مياهها وتنساب منها روافد نهر دجلة وهي الخابور والزاب الاعلى (الكبير) والزاب الاسفل (الصغير)

والعظيم وديالى وهي تمده بحوالي ٧٠ ٪ من مياهه وتجري هذه الروافد باتجاه الانحدار نحو الجنوب الغربي عابرة السلاسل الجبلية بصورة عمودية . ويمكن تميز نوعين من تلك المرتفعات حيث يشمل النوع الاول الجبال العالية والتي تمثل ٢٥ ٪ من مساحة المنطقة الجبلية أو ٥ ٪ من مساحة العراق الكلية وتقع هذه المرتفعات بين المنطقة الشبه الجبلية بين الحدود العراقية الايرانية والحدود العراقية التركية والتي تشبه في شكلها العام الهلال . ويتراوح ارتفاعها من ١٠٠٠ ـ ٣٦٠٠ متر عن سطح البحر وتتكون من صخور نارية رسوبية شديدة المقاومة وهي معرضة لعملية تعرية مستمرة لشدة انحدارها وكثرة سقوط الامطار في هذه المنطقة بنسبة عالية تساعد على نمو الكثير من النباتات والاشجار وتراكم الثلوج على قممها في معظم ايام السنة .

اما السهول والوديان فتتكون من صخور اقل مقاومة واهمها سهل شهرزور ورانية . لقد التجأ الانسان الى هذه المنطقة منذ العصر الحجري القديم حيث انتشرت فيها الكهوف والمغاور وكانت المنطقة ومنذ ذلك الوقت مليئة بالحيوانات المختلفة .

اما المنطقة الشبه جبلية أو المتوجة فهي امتداد نحو الجنوب والجنوب الغربي للمنطقة الجبلية العالية المتاخمة لها وتمثل انتقالا بين السهول الواطئة في الجنوب وبين الجبال العالية في اقصى الشمال أو الشمال الشرقي . وهي سلاسل جبلية واطئة وتلال منخفضة متقطعة تفصلها سهول واحواض تنتهي في الجنوب والجنوب الغربي بمرتفعات جبل حمرين وامتداده جبل مكحول وتتلاشى هذه الاراضي المتموجة في منطقة الجزيرة الشمالية ماعدا بعض المرتفعات القائمة بصورة منفردة مثل مرتفعات سنجار . ومن اشهر سهول المنطقة سهول كركوك واربيل ومخمور التي اشتهرت بزراعة الحبوب وخاصة القمح والشعير معتمدة على الامطار الشتوية التي تسقط بنسبة عالية ساعدت على نشوء وتطور الزراعة الديمية . اضافة الى ذلك كان نهر دجلة يخترقها ويروي الاراضي الواقعة على جانبيه وكذلك روافده الرئيسة وكان نشوء اولى القرى الزراعية في العصر الحجري الحديث في هذه المنطقة من العراق

تبلغ مساحة هذه المنطقة حوالي ٧٥ ٪ من مساحة المنطقة الجبلية او ١٥ ٪ من مساحة العراق وهي عبارة عن سلاسل جبلية طويلة يتراوح ارتفاعها ما بين ٢٠٠ ـ ١٠٠٠ متر عن سطح البحر وتلول كثيرة تتخللها السهول الواسعة الخصبة وصخور هذه المنطقة كلسية أو رملة

٢ ـ الهضبة الصحراوية : ـ

وهي اوسع المناطق الثلاثة مساحة . حيث تبلغ مساحتها حوالي ٦٠ ٪ من مساحة العراق الكلية وتعتبر من حيث التضاريس جزء من هضبة جزيرة العرب . وهي اراضي متموجة تقطعها مجموعة من الوديان الطويلة وتتخللها بعض التلول الصغيرة والكثبان الرملية ويتراوح ارتفاعها بين ١٠٠ ـ ١٠٠٠ متر عن سطح البحر وينحدر سطح الهضبة بصورة عامة من الغرب الى الشرق وتنتهي بالسهل الرسوبي . وتقسم الى قسمين متميزين من حيث السطح والتربة والصخور والنباتات والامطار وهما : ـ

آ ـ هضبة الجزيرة : ـ

ان مصطلح الجزيرة الذي اطلقه المؤرخون والجغرافيون العرب على ارض ما بين النهرين العليا يرادف تلك التسمية اليونانية (ميسوبوتاميا **Mesopotamia**) في استعمالاتها القديمة .

وتمتد الجزيرة مابين مرتفعات مكحول ـ سنجار شمالا والسهل الرسوبي جنوبا ومجرى نهر الفرات والحدود السورية غربا وجبال حمرين شرقا . ومنطقة الجزيرة هي سهل واسع مرتفع متكون من صخور كلسية او رملية التي يخترقها نهر الفرات من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وتسقط فيها الامطار الشديدة في فترات قصيرة .

ويعتبر وادي الثرثار المصرف الرئيس لمياه ارض الجزيرة . فيكون سطح الجزيرة من ارض منبسطة تتخللها هضاب وروابي وكثبان رملية واحواض وبحيرات واودية ومنخفضات واهم منخفضاتها هو منخفض الثرثار والذي يتكون من وادي طويل ينتهي اليه وديان كثيرة تنحدر من جبال سنجار وما جاورها . ويبلغ طول الوادي ٣٠٠ كيلو متر وعرضه ٤٥ كيلو متر وقد حول هذا المنخفض في السنوات الاخيرة الى خزان كبير لخزن مياه نهر دجلة لانقاذ المدن والمزارع من الخراب والغرق بعد انشاء سد سامراء عام ١٩٥٦ . وفي عام ١٩٧٧ تم ايصال هذا المشروع بترعة تربطه بنهر الفرات شمال مدينة الفلوجة . وقد ازدهرت هذه المنطقة منذ عصور ما قبل التاريخ كما تدل على ذلك المواقع الاثارية المنتشرة في ارض الجزيرة . وقد ادت هذه المنطقة دوراً كبيرا في الاتصال ما بين العراق من جهة وبلاد الشام وموانيء البحر المتوسط وبلاد الاناضول من جهة اخرى . وكانت مسرحاً للنقل مهد في نزوح الاقوام العربية القديمة من الجزيرة العربية الى العراق وسوريا .

ب ـ هضبة البادية الغربية : ـ

تقع هضبة البادية الغربية الى الغرب من مجرى نهر الفرات وتمتد مئات الاميال الى قلب شبه الجزيرة العربية ويتخللها عدداً من الاودية التي تجري فيها مياه الامطار .

واراضيها بالدرجة الاولى من الصخور الكلسية والرملية وتكثر فيها الرمال . وهي اراضي منبسطة في بعض المناطق ومتموجة تقطعها اودية ومنخفضات في مناطق اخرى . واهم منخفضاتها منخفض الحبانية وهور ابي دبس . ويتكون القسم الجنوبي من الهضبة في الغالب من اراضي منبسطة تتخللها اراضي صخرية وتنتشر فوقها بعض الكثبان الرملية وتكون الامطار قليلة في هذه الهضبة فلا يزيد معدلها السنوي في قرية السلمان مثلا على ٧،٢ سم لذلك قلت حركة القبائل العربية فيها لقلة المراعي وندرة مياه الشرب التي يستحصل عليها في بعض العيون والابار الارتوازية التي حفرت في السنين الاخيرة .

وتبرز اهمية البادية من الناحية الحضارية في انها كانت مصدراً لهجرات الاقوام الجزرية الى العراق منذ اقدم عصور التاريخ . منهم الاكديون في منتصف الالف الثالث ق . م والاموريون الذين استقروا في العراق والشام في اواخر الالف الثالث ق . م واسسوا لهم سلالات عديدة في العراق من اشهرها سلالة بابل الاولى ١٨٩٤ ــ ١٥٩٥ ق . م التي اشتهرت بملكها السادس حمورابي . وكان للفتح العربي الاسلامي في القرن السابع الميلادي لشمال الجزيرة العربية وشمال افريقية الاثر الحاسم في تبلور الحضارة العربية ووصولها الى اعلى المراتب .

٢ ـ السهل الرسوبي : ـ

يمتد السهل الرسوبي وسط وجنوب العراق وتبلغ مساحة خمس مساحة العراق ويمتد من الخط الوهمي الذي يصل ما بين مدينة هيت على الفرات وسامراء على دجلة شمالا وحتى ساحل الخليج العربي جنوبا ويبلغ طول هذا السهل زهاء ٦٥٠ كيلو متراً وعرضه ٢٥٠ كيلو متراً . ويشغل زهاء ٢٠ ٪ من مساحة العراق ويخترق السهل النهران التوأمان دجلة والفرات ويسيران في ارض منخفضة لا يتجاوز ارتفاعها عند مدينة بغداد اكثر من ٣٢ مترا عن سطح البحر بينما لا يزيد ارتفاعه عند أي جزء اخر عن ١٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر . وتبدأ من هذا السهل مشاريع الري القديمة والحديثة بالافادة من ظاهرة طبيعية يمتاز بها نهر الفرات في بداية هنا

السهل . اذ يرتفع وادي النهر قليلاً بالنسبة الى وادي دجلة في القسم الشمالي وقد افاد في شق الجداول والانهار من الفرات الى دجلة بينما افاد انخفاضه في القسم الجنوبي في شق الجداول والانهار باتجاه معاكس . وكان لهذه الظاهرة بالاضافة الى ان نهر الفرات اقل عنفا في فيضانه من نهر دجلة اثر مهم في تاريخ استيطان البشرية في السهل الرسوبي ونشوء الحضارة والاستيطان في وادي الفرات اكثر منه على دجلة .

تكوّن هذا السهل نتيجة الرواسب التي تنقلها مياه نهر دجلة والفرات من الشمال والرواسب التي تاتي بها السيول المنحدرة من وديان الهضبة الصحراوية في الغرب . لقد ملأت الرواسب وما تزال تملأ الالتواء المقعر الكبير الذي تحتله هذه المنطقة . ويترسب ٩٠ ٪ من المواد العالقة بمياه نهر دجلة والفرات في الوقت الحاضر في الاهوار والمستنقعات التي تكونت بين القرنين الخامس والسادس الميلادي والتي تشغل مساحة كبيرة من السهل وتعيش فيها انواع عديدة من النباتات كالقصب والبردي ومن الحيوانات كالجاموس والخنزير البري والاسماك والطيور البرية المائية .

وتقدر المساحة التي تشغلها الاهوار زهاء ١٥ ألف كيلومتراً مربعاً ويمكن تقسيمها الى ثلاث مجموعات هي :

١ ـ الاهوار الشرقية في منطقة دجلة واكبرها هور الحويزة وهو الشويجة .
٢ ـ الاهوار الوسطى في منطقة الفرات مثل بحيرة الحبانية والثرثار وابو دبس وهور النجف وبحر الملح .
٣ ـ الاهور الجنوبية واكبرها هور الحمار بين الناصرية والبصرة . وتتميز تربة السهل الرسوبي الغرينية بخصوبتها حتى اطلق عليها اسم (ارض السواد) وساعد ذلك على نشوء المستوطنات الزراعية الكثيرة منذ العصر الحجري المعدني .

وكان السهل الرسوبي المسرح الذي قامت عليه وازدهرت اولى واعرق الحضارات الانسانية المعروفة حتى الان وذلك منذ الالف الخامس ق . م فصاعداً .

ساحل الخليج العربي[1] وعلاقته بالسهل الرسوبي

اعتقد الكثيرون حتى وقت قريب من ان معظم السهل الرسوبي كان مغمورا بمياه البحر وان ساحل الخليج العربي كان في عصور ما قبل التاريخ يمتد شمال حدوده الحالية . ففي اواخر القرن الماضي وضع الاثاري الفرنسي المعروف دي موركان الذي اشتهر بتنقيباته الاثارية في خرائب مدينة سوسه عاصمة عيلام .

وحدد رأس الخليج العربي في العصر الحجري القديم قبل حوالي نصف مليون سنة بالخط الوهمي المار بين هيت على الفرات وسامراء على دجلة ورسم خطاً اخر لحد الساحل الشمالي بعد تراجع مياه الخليج العربي بمرور الزمن بين مدينة اور على الفرات ومدينة العمارة أو الكوت على دجلة في الالف الخامس ق . م وقد ايد ((دي موركان)) في نظريته معظم المؤرخين والاثاريين والجغرافيين الذين كتبوا عن الخليج العربي والسهل الرسوبي في العراق .

لقد استند دي موركان على افتراض وجود بعض المدن على الساحل القديم للخليج العربي أو عن بعدها عنه بمسافات قليلة واستنتج ذلك من النصوص القديمة . ومثال ذلك بعض الاماكن القديمة الواردة في حملة الملك الاشوري سنحاريب على بلاد عيلام ٦٩٦ ق . م واخبار البعثة البحرية التي قام بها نيركس قائد الاسطول البحري للاسكندر المقدوني في عام ٣٢٥ ق . م وما جاء فيها من اسماء بعض المواقع افترض انها كانت على الساحل ومنها المدينة القديمة خراكس (ميسان) التي قيل ان الاسكندر قد بناها على بعد ميل ونصف الميل من ساحل البحر فاصبحت الان على بعد ١٢٠ ميلا تقريباً.ومثال ذلك مدينة اور في الناصرية التي قيل انه كان لها ميناء على البحر في عصر السومريين وكانت السفن التي تمخر البحار تفرغ حمولتها فيه . وكذلك كانت مدينة اريدو (ابو شهرين) . وفسر دي موركان تكوين اليابسة وتراجع الخليج صوب الجنوب بفعل الترسبات الغرينية التي كان يحملها باستمرار النهران العظيمان دجلة والفرات وغيرهما بمعدل ميل ونصف الميل في القرن الواحد . ونتيجة لتلك الترسبات تكون السهل الرسوبي تدريجياً

---

(١) لقد عرف الخليج العربي باسماء شتى في عصوره التاريخية القديمة . فقد عرف باسم البحر المحيف والبحر الكبير والبحر الاسفل وبحر شروق الشمس السفلي وخليج البصرة وبحر شروق الشمس وبحر شروق الشمس الكبير وبحر بلاد الكلدانيين واسماء اخرى حتى سماه جغرافي ايراني باسم خليج العراق . حول ذلك انظر ،

د . سامي سعيد الاحمد ، المصدر السابق ، الجزء الثاني ، ١٩٨٣ ، ص ٢٠ ـ ٢١

فزادت مساحة اليابسة وامتد ساحل الخليج نحو الجنوب حتى اصبح في العصر الحجري المعدني يتمثل بالخط الوهمي المار ما بين اور والعمارة أو الكوت . أي الجزء الجنوبي من العراق الالف الخامس ق . م لم تكن صالحة للاستيطان .

ظلت هذه النظرية وكأنها من الحقائق المسلم بها الى عام ١٩٥٠ حيث كانت اوائل التحريات الجيولوجية الحديثة التي اجراها كل من ليز وفالكون وذلك على اثر اكتشاف بعض معالم الاستيطان القديم في اطراف الاهوار وبعد العثور على بعض الالات والادوات الحجرية من العصر الحجري القديم في المنطقة التي افترض انها كانت تقع تحت ماء الخليج سابقاً . وقد اثبتت النظرية الثانية صحتها وعدم صحة النظرية الاولى ، وقد وجد اصحاب النظرية كل من ليز وفالكون من ان القسم الجنوبي من العراق لم تغمره مياه الخليج العربي في يوم من الايام وان حدود الساحل لم تكن في الماضي ابعد الى الشمال من وضعها الحالي ، وان رأس الخليج لا يزال على حالته منذ اكثر من ٥٠٠٠ سنة ، وان الحد الوهمي الذي افترضه الاثاريون بين هيت وسامراء لم يكن له وجود على الاطلاق . اما المرتفعات الكائنة في منطقة سامراء ـ بلد والتي حسبها الاثاريون جرف الساحل القديم للخليج العزبي فهي ليست سوى بقايا احد ضفاف نهر دجلة في عصر البلايستوسين (عصر الجليد) بل ذهب اصحاب النظرية الثانية الى ابعد من ذلك وقالوا ان حدود ساحل الخليج العربي لم يكن في وقت مضى ابعد شمالاً مما هو عليه الان بل ان ساحل الخليج كان على العكس من ذلك امتد جنوبا اكثر مما هو عليه الان وان مساحة اليابسة هي في تناقص مستمر نتيجة التعرية المستمرة والتاكل الذي تحدثه مصبات الانهار في ساحل الخليج العربي فمن المحتمل جداً ان مياه الخليج الحالية تغطي بعض معالم استيطان الانسان القديم . واصبحت نظرية ليز وفالكون التفسير المعتمد في دراسة ظواهر جنوب العراق وامتداد رأس الخليج العربي . الى ان ظهرت دراسة جيولوجية جديدة قامت بها بعثة المانية من على ظهر سفينة ابحاث استغرق عملها مدة ست سنوات . وعرفت باسم نظرية نوتزل الذي تولى الاشراف على اعمال البعثة والتي تتلخص من ان ذروة انخفاض درجات الحرارة في العصر الجليدي الرابع (فرم Wurm) انتهت بين ١٤,٠٠٠ ـ ١٣,٠٠٠ سنة قبل الميلاد . وكانت كميات هائلة من مياه البحار والمحيطات قد تحولت الى ثلوج غطت النصف الشمالي من الكرة الارضية فاصبحت مستويات مياه البحار دون مستوياتها الحالية بحوالي مئة وعشرة امتار .

وبما ان الخليج العربي لا يزيد عمقه في الوقت الحاضر على مئة متر فهذا يعني من انه كان في ذلك الوقت منخفضاً جافا . ومن نهاية هذا العصر ساد الدفء وذابت الثلوج فعادت المياه الى ما كانت عليه واخذت مستوياتها بالارتفاع في البحار واخذ منخفض الخليج يمتليء الى ان وصل الى مستواه الحالي وذلك بحدود بداية الالف الخامس ق . م . ولما ذابت الثلوج ارتفع مستوى ماء البحر وبدأت مياه الخليج تتقدم بمعدل ١٠٠ متر فتقدم خط الساحل بمقدار ٥٠٠ كيلو متر من الفترة المحصورة ما بين ٤٠٠٠ ــ ٥٠٠٠ سنة وربما كان تقدمه قد وصل الى اور . وتتوقع البعثة احتمالات امتداد المياه في جنوب العراق في ذروة عصر الدفء التي تقع ما بين سنة ٥٠٠٠ ــ ٣٥٠٠ ق . م اثر ارتفاع مياه البحر فوق مستواها الحالي نتيجة ازدياد ذوبان الثلوج في المناطق القطبية ولكن في حدود سنة ٣٥٠٠ ق . م بدأت المياه بالتراجع ولهذا يمكن الافتراض بان الخليج العربي تقدم الى شمال مدينة اور في الفترة المحصورة ما بين عام ٥٠٠٠ ــ ٣٥٠٠ ق . م .

ولا تزال الاراء متضاربة وغير مستقرة والحل النهائي يتطلب المزيد من الدراسات في مختلف الاختصاصات . وان التنقيبات الاثارية المقبلة في قاع الخليج العربي ستكشف لنا الكثير وستزودنا عن معالم استيطان الانسان في عصوره القديمة تسبق اقدم ماهو معروف لدينا من اثار الانسان في المنطقة الجنوبية من العراق .

مناخ العراق واحواله الطبيعية :ــ

تشير الدلائل الاثارية والجغرافية من ان مناخ العراق لم تطرأ عليه تبدلات اساسية منذ ان استوطن الانسان السهل الرسوبي في جنوب العراق منذ حوالي سبعة الاف سنة مضت وحتى الآن . أي ان الاحوال المناخية استقرت بوجه اساسي منذ ذلك التاريخ . اما قبل ذلك وخاصة في العصور الحجرية القديمة قبل ما يزيد عن المليون سنة فكانت احوال المناخ وطبيعة الارض والنبات الطبيعي يختلف اختلافا اساسياً مما هو عليه الان اذ ان تلك العصور الحجرية شهدت تقدم الجليد اربع مرات في المناطق الشمالية من قارة اوربا وامريكا الشمالية حتى خط عرض ٤٥ درجة شمالاً في العصرالجيولوجي اي ((البلايستوسين)) قبل نحو نصف مليون سنة الذي حدثت فيه العصور الجليدية . اما الاجزاء الجنوبية من الكرة الارضية ومنها اقطار الشرق الادنى القديم . فكانت تحدث فيها ابان العصور الجليدية الاوربية عصور من الامطار الغزيرة والفترات الجليدية في النصف الشمالي من الكرة الارضية كان

يقابلها في انحاء الشرق الادنى القديم عصور ممطرة ورطبة ساعدت على نمو مختلف انواع النباتات وعيش انواع عديدة من الحيوانات. وكان يقابل الفترات التي تفصل بين كل عصرين جليديين فترة جفاف في الشرق الادنى ونحن نعيش الان اخر تلك الفترات التي اعقبت العصر الجليدي الرابع وكانت كميات الامطار الساقطة في العصور الممطرة تبلغ من الغزارة درجة كبيرة حتى انها جعلت من المناطق الصحراوية في شبه الجزيرة العربية وأفريقيا مناطق اهلة بالنبات والحيوان واستطاع انسان العصر الحجري القديم ان يعيش فيها . وكان العراق اثناء العصور الجليدية اكثر رطوبة مما هو عليه الآن الأمطار كانت اغزر وتسقط صيفاً وشتاءاً حيث يتفاوت المناخ من منطقة الى اخرى ويمكن وصفه بصورة عامة بانه مناخ قاري شبه مداري . تشبه امطاره في نظامها مناخ البحر الابيض المتوسط حيث الشتاء بارد والثلوج كثيرة والصيف معتدل والامطار غزيرة . اما منطقة السهوب فتتمتع بمناخ انتقالي بين مناخ البحر المتوسط والمناخ الصحراوي الحار وتقل فيها الامطار قياسا مع المنطقة الجبلية . اما المنطقة الصحراوية والسهل الرسوبي فتتمتع بحرارة شديدة وتقل فيهما الامطار وتكثر الرطوبة النسبية . لقد اعتمدت منطقة السهل الرسوبي ومنذ اقدم الازمان على الري حيث كانت كميات الامطار غير كافية ولوقت قصير . لذلك بذل الانسان قصارى جهده من اجل تجهيز الماء للبلاد عن طريق جهوده الخلاقة . على عكس المنطقة الشمالية التي اعتمدت على الامطار . وتعم العراق رياح شمالية وشمالية شرقية في معظم ايام السنة وهي رياح باردة وممطرة وهناك رياح جنوبية شرقية دافئة وممطرة تهب من ناحية الخليج العربي ومنطقة الاهوار وتصحبها الامطار احياناً .

انهار العراق : ـ

ارتبط نشوء الحضارة وتطورها في العراق منذ عصور ما قبل التاريخ بالرافدين العظيمين دجلة والفرات وروافدهما واذا صح قول هيرودوتس المأثور بان مصر هي (هبة النيل) فان العراق كذلك هبة النهرين التوأمين . فعلى ضفافيهما وضفاف روافدهما المتعددة تأسست اولى القرى الزراعية . وكانت الزراعة وما زالت من اهم الحرف الاقتصادية لسكان العراق وقد مهدت الحياة الزراعية في مراحلها المبكرة السبيل الى قيام اقدم الحضارات البشرية في العالم . وكان للنهرين العظيمين الدور الكبير في المواصلات الداخلية بين القرى والمدن وفي نقل التأثيرات الحضارية العراقية الى الاقطار المجاورة . اما اسماء دجلة والفرات فهما اسماء قديمة جداً .

نهر دجلة : ـ

ذكرت النصوص المسمارية السومرية نهر دجلة باسم ادكنا (Idigna) وذكرته النصوص الاكدية باسم (ادكلات Idiglat) والذي جاء منه الاسم العربي دجلة . وتقع منابعه في مرتفعات تركيا الجنوبية الشرقية وتتكون من عدة روافد تلتقي مع بعضها لتكون المجرى الرئيسي للنهر الذي يصل الاراضي العراقية عند بلدة فيشخابور حيث يصب فيه اول روافده المسمى نهر الخابور ويمر النهر بعد ذلك بالموصل ونينوى ثم يلتقي به رافده الثاني المسمى الزاب الكبير او الاعلى (زابو ايلو في المصادر المسمارية) في جنوب مدينة النمرود (كالح القديمة) ثم يلتقي به الزاب الصغير أو الاسفل (زابو شبالو في المصادر المسمارية) جنوب مدينة اشور القديمة (قلعة الشرقاط) .

اما نهر العظيم (ردانو في المصادر المسمارية) فيصب فيه ما بين بلد وبغداد ويزداد اقتراب دجلة من الفرات عند مدينة بغداد ولكنه ينحرف قليلاً نحو الجنوب الشرقي . وفي شمال مدينة المدائن يلتقي بنهر ديالى (ترناة · nar Turnat في المصادر المسمارية) وقد غير دجلة مجراه اذ تحول من مجراه الاصلي الذي يسير فيه بين الكوت والعمارة في اواخر فترة الاحتلال الساساني الى المجرى الغربي المسمى حاليا الدجيلة الذي يرجح انه كان احد مشاريع الري التي شقت من دجلة في عصر فجر السلالات في منتصف الالف الثالث ق . م ولعل انتمينا حاكم مدينة لكش (تلول الهبة) هو الذي فتح هذا الجدول . وظل النهر في هذا المجرى الغربي مارا بمدينة واسط ثم عاد ثانية في القرن السادس عشر الميلادي الى مجراه الاول وينتهي دجلة عند القرنة حيث يصب بشط العرب . ويبلغ طول نهر دجلة من منبعه الى مصبه ١٧١٨ كيلو متراً منها ١٤١٨ كيلو متراً داخل الحدود العراقية والباقي في الحدود التركية والسورية . وتنبع جميع روافده من المنطقة الجبلية الشرقية الواقعة خارج الحدود باستثناء نهر العظيم .

نهر الفرات : ـ

ورد ذكر اسم الفرات في النصوص المسمارية بلفظة بورانن .(Buranun) الذي اصبح يلفظ في اللغة الاكدية بوراتي (Purati) أو بوراتوم ،(Puratum) ومنها الصيغة العربية فرات التي تعني الماء العذب . ينبع نهر الفرات من الاجزاء الشمالية الشرقية من بلاد الاناضول ويتألف النهر في منابعه العليا من فرعين رئيسيين هما

فرات صو ومراد صو اللذان يكونان المجرى الرئيس للفرات . ويبلغ طول نهر الفرات قبل التقاءه بهذين الفرعين زهاء ٢٨٤٨ كيلو مترا وزهاء ٢٣٢٠ كيلو متراً بعد التقائهما ويقطع الفرات الحدود التركية السورية عند مدينة طرابلس ((كركميش القديمة)) وبعد طرابلس يلتقي الفرات برافده الساحور ثم يسير غربا وشرقاً في مجراه الجنوبي حتى يدخل السهول السورية ومنطقة الجزيرة ويتصل الفرات في هذه السهول بنهر الباليخ والخابور ثم يتجه نحو الاراضي العراقية حيث يأخذ مجراه اتجاه الجنوب الشرقي ويدخل الاراضي العراقية عند قرية حصيبة على بعد قليل من بلدة البوكمال .

وتوجد ما بين حصيبة والقائم اطلال مدينة قديمة لعلها بقايا مدينة (خندانو) التي وردت في النصوص الاشورية . ثم يمر الفرات في مدينة عانة على الضفة اليمنى وراوه ـ على الضفة اليسرى وكانت عانة من المراكز الامورية المهمة في الالف الثاني ق . م . وبعد ان يجتاز الفرات مدينة هيت يدخل السهل الرسوبي وتنخفض سرعة مجرى النهر بعد هيت وينجم عن ذلك ترسب كميات هائلة من الغرين الذي سبب في تغيير مجرى النهر مرات عديدة عبر تاريخه الطويل

ويبدو ان الفرات كان ما بين الالفين الثالث والثاني ق . م يجري في اتجاه الى الشرق من مجراه الحالي وبعبارة اخرى انه كان يجري ما بين نهر الحلة الحالي ونهر دجلة الى الشرق منه . وكان هذا المجرى يبدا من شمال مدينة سبار (ابو حبة) قرب اليوسفية ويسير نحو مدينة كوثا (حبل ابراهيم) وفي منتصف الطريق بين هاتين المدينتين كان يتفرع نهر اراختو (في المصادر المسمارية) الذي يروي منطقة بابل ويمر فيها . ويتجه من بعد بابل الى مدينة كيش (تل الاحيمر) ثم يمر الفرات بعد ذلك بمدينة نيبور (نفر) وكيسورا (ابو حطب) بالقرب من عفك ومدينة شروباك (تل فاره) ثم مدينة اوروك (الوركاء) ومدينة لارسا (ايشان البحريات) وينتهي بمدينة اور . ولكن مجرى النهر الحالي يمر بمدينة الناصرية حوالي ٣٠ كيلومتراً شرقي مدينة اور .

وتشير الدلائل على ان معظم اقسام السهل الرسوبي الاوسط والجنوبي من لكش وأومّا الى اور وأريدو كانت تسقى من الفرات .

من هنا يتضح ان نهر الفرات يتميز بقدرات هائلة في الشؤون الزراعية والملاحية والاتصال الحضاري بين مدن العراق القديمة . ومما زاد في اهمية الفرات اتصاله

بمياه الخليج العربي(٢) التي توصله بمياه خليج عمان. وتعد الاستكشافات الحديثة للمستوطنات العبيدية على الساحل الغربي للخليج العربي دليل على قدم الصلات بين المنطقتين.

ومن المؤكد ان مدينة ماري (تل الحريري) كانت من المراكز المهمة جداً والتي تقع على الفرات في اقسامه الوسطى قد ادت دوراً في النشاط التجاري مع بابل وايسن. ويقترن اسم مدينة ماري بالمدن الخليجية التي ادت دوراً مهماً في النشاطات التجارية فقد اشارت النصوص المسمارية التي تعود الى منتصف الألف الثالث ق. م الى وجود علاقات تجارية بين السومريين وبين بعض اقطار الخليج العربي منها اقليم دلمون (البحرين) واقليم مكان (عمان) وأقليم ميلوخا التي يعتقد انها تمثل الصومال أو الحبشة أو وادي السند والاخير هو المرجح ولا يعرف زمن التقاء نهر دجلة بالفرات لتكوين شط العرب على وجه التأكيد.

فاقدم النصوص التاريخية من العصر الاشوري وروايات المؤرخين الكلاسيكيين والعرب تشير الى ان هذين النهرين كانا يصبان بشكل منفصل في الخليج العربي ولا يعرف متى كان التقاؤهما وتكوينهما شط العرب. ومهما يكن فان شط العرب يتكون الان من التقاء دجلة والفرات مضافا اليهما نهر الكارون ويبلغ طوله عند القرنة زهاء ٢٠٤ كيلو متر اما عرضه فيتراوح ٤٠٠ متر عند العشار و ١٥٠٠ متر عند مصبه في الخليج. وتستطيع البواخر الكبيرة أن تسير فيه وتفيد ظاهرة المد في تسهيل عملية الملاحة وارواء بساتين النخيل الكثيفة على جانبيه.

وقد اتصف النهران العظيمان بالشدة والعنف وعدم انتظام فيضانهما ملائمة مواسمها للدورة الزراعية. واذا ما قارنا الفيضان في العراق بفيضان النيل في مصر لرأينا ان الاخير يتصف باطراد فيضانه وانتظامه ولا يكون في الغالب مصحوباً بالعنف والتدمير كما هو الحال بالنسبة للنهرين العظيمين في العراق ولا سيما نهر دجلة حيث ان الفرات اقل عنفا وتقلبا منه. ثم ان موسم الفيضان في العراق يكون في وقت متأخر بالنسبة الى الزراعة الشتوية فلايستفاد من مياه الفيضان كثيراً بل كثيراً ما كانت سببا في تدمير الغلات الزراعية في حين انها تشح في موسم الزراعة

---

(٢) لزيادة المعلومات حول العلاقات التجارية والاتصال المستمر بين اهل العراق والمناطق المجاورة له راجع :-
رضا جواد الهاشمي، ((العرب في ضوء النصوص المسمارية)). مجلة كلية الآداب جامعة بغداد عدد شباط ١٩٧٨ ص ٦٣٩ ـ ٦٦٦.

الصيفية . وتشير الدلائل من ان سكان العراق بذلوا جهوداً جبارة من اجل السيطرة على نهرين من اشد الانهار عنفا بما اقاموه من سدود ونظام للري .

الاسماء التاريخية لبلاد وادي الرافدين :ـ

لقد مرت على العراق تسميات عديدة عبر عصوره المتعددة ، يرقى اقدمها الى العصر الحجري القديم . ولا سبيل الى معرفة ماكان يطلق على اجزاء البلاد المختلفة من تسميات قبل ان تظهر الكتابة في اواسط الالف الرابع ق . م . لقد استخدم العراقيون القدماء في مطلع العصور التاريخية الكتابة وسيلة للتدوين وذكروا لنا في بعض النصوص المسمارية التسميات التي اطلقت على اجزاء العراق المختلفة عبر العصور التاريخية المتعاقبة .

لعل اقدم تسمية إطلقت عليه كانت على المنطقة الواقعة في القسم الجنوبي من السهل الرسوبي هو مصطلح ((بلاد سومر)) ضمن محافظات (القادسية وذي قار والمثنى) وقد استخدمت هذه التسمية على اغلب الظن في اواخر عصر فجر السلالات (في حدود منتصف الالف الثالث ق . م) وكتبت بالعلامات المسمارية (GI . EN . KI) كي ـ ان ـ جي) والتي تعني حرفيا ارض سيد القصب . ويقابلها المصطلح الاكدي mat Sumerim مات شوميرم) أي (بلاد السومريين) .

ومن اهم مدن بلاد سومر ، نفر (نيبور) والوركاء (اوروك) ولارسا (السنكرة) وايسن (ايشان البحريات) وادب (بسمايا) وشروباك (فاره) ولكش (تلول الهبة) وأوما (جوخة) واور واريدو (تل ابو شهرين) .

ثم ظهر في اواسط الالف الثالث ق . م مصطلح ((بلاد اكد)) ليشمل القسم الوسطي من العراق من منطقة نفر شمالا حتى الخط الوهمي هيت ـ سامراء وبما فيه منطقة ديالى وكتبت بالعلامات المسمارية (URI . KI كي اوري) التي لا يعرف معناها بالضبط . ويقابلها المصطلح الاكدي (māt Akkadim مات اكديم) اي (بلاد الاكديين) نسبة الى مدينة اكد عاصمة الدولة الاكدية التي لا تزال تنتظر معاول المنقبين . ومن اهم مدنها بالاضافة الى العاصمة اكد ، مدينة سبار (ابو حبة) وكوثا (حبل ابراهيم) وبابل وكيش (تل الاحيمر) وبورسبا (برس نمرود) ودلبات (تل دليهم) ومرد (ونه والصدوم) .

وادمج ملوك سلالة اور الثالثة ٢١١٣ ـ ٢٠٠٦ ق . م التسميتين في الالقاب التي اتخذوها لانفسهم ودخلت ضمنها قسما كبيرا من العراق الحالي . ومنذ مطلع الالف الثاني ق . م . استخدم المصطلح (بلاد بابل) نسبة الى مدينة بابل وقد شاع استخدامه منذ العصر البابلي القديم . وكتبت اسم مدينة بابل بالعلامات المسمارية (KÁ. DINGIR. RA. KI • كا . دينكير . را . كي) التي تعني بالسومرية (باب الاله) اما اللغة الاكدية فقد كتبت على هيئة (Bāb – ilī باب ايلي) أو (Bab ilim باب ـ ايليم) أي (باب الاله) . للدلالة على بلاد سومر واكد وغدت التسمية تعني القسم الجنوبي والوسطي من العراق بصورة عامة . وعند غزو الكشيين للعراق في حدود ١٥٩٥ ـ ق . م اطلقوا عليه اسم (كاردونياش) والتي تعني حرفيا ((بلاد دونياش)) وهو اسم احد الالهة الكشية . وقد اطلقت على بلاد سومر واكد .

وكان القسم الشمالي من العراق يعرف باسم ((بلاد سوبارو اوسوبارتو(٣) وعندما حل الاشوريون في المنطقة في حدود الالف الثالث ق . م شاع استخدام المصطلح الاكدي (mãt Asur-Ki مات اشور كي) أي (بلاد اشور) . ومن اهم مدن بلاد اشور بالاضافة للعاصمة اشور . نينوى وكلخو (نمرود) ودور شروكين (خرسباد) .

اما اسم ((العراق)) فقد اختلفت الباحثون في أصله ومعناه فمنهم من يرى ان الكلمة ذات صياغة عربية وانها تعني الشاطيء وان اهل الحجاز يسمون البلاد القريبة من البحر عراقا او ان معناه جرف الجبل أو سفوح الجبال المتاخمة لأطرافه الشمالية الشرقية

وسمي العراق بذلك لانه على شاطيء دجلة والفرات . والعراق ما بين هيت الى السند والصين . الى الري وخراسان . الى الديلم . وقيل سمي بالعراق لانه مأخوذ من عراقي الدلو . والعراق وسط الدنيا ومستقر الممالك العربية والاسلامية . وعين الدنيا . وفيه دجلة والفرات . وهما الرافدان العظيمان وفيه القواعد العظيمة والاعمال الشريفة .(٤) وربما كان للاسم السومري ((اوروك)) الذي يطلق على مدينة الوركاء علاقة باسم ((العراق)) وفي حدود القرن الثاني عشر قبل الميلاد وردت تسمية

---

(٣) نسبة الى السوباريين وهم اقوام جبلية استقرت في القسم الشمالي من العراق في منطقة الجزيرة العليا وشرقي دجلة .

(٤) محمد بن عبد المنعم الحميري . الروض المعطار في خبر الاقطار . لبنان ١٩٧٥ ص ٤١٠ .

اخرى على هيئة ((اريقا)) للدلالة على اقليم يقع في وسط العراق وربما كانت هذه التسمية اصل لاستخدام اسم العراق .(٥) واطلق الاغريق في القرن الرابع قبل الميلاد على الجزء الواقع ما بين دجلة والفرات حتى حدود بغداد (اي ما يقابل اسم مصطلح الجزيرة) اسم بلاد ما بين النهرين (Mesopotamia ميسوبوتاميا)(٦) وهي تسمية مشتقة مما ورد في التوراة للدلالة على الارض المحصورة ما بين النهرين الفرات والخابور أو الخابور والباليخ وكثر استعمال مصطلح عراق منذ الادوار الاخيرة من عهد الاحتلال الساساني ما بين القرنين الخامس والسادس الميلاديين حيث بدأ استعماله يظهر في شعر ما قبل الاسلام واطلق على القسم الوسطي والجنوبي من العراق بينما اطلق مصطلح ((الجزيرة)) على المنطقة الواقعة ما بين النهرين شمالا حتى حدود بغداد جنوبا .

واخذ الكتاب الاوربيون يطلقون المصطلح ميسوبوتاميا للدلالة على العراق القديم بصورة عامة . كما يستخدم المؤرخون العرب في يومنا هذا مصطلح (وادي الرافدين) عند الحديث عن العراق القديم .(٧)

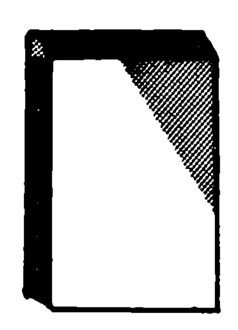
---

(٥) طه باقر . المصدر السابق ص ٧ ـ ٨

(٦) يشير العالم فلكنشتاين الى ان هذا المصطلح ذات اصل بابلي . فقد وردت في المصادر المسمارية بعض التسميات المتشابهة منها . (بيريت ناريم birit narim) او مات بيرتيم mat birıtim) أو (بيريتوم biritum) كما ورد في المصادر الارامية بهيئة بيت نهاريم وكلها تعني بلاد ما بين النهرين

اما في الفترة المحصورة ما بين القرن الرابع والثاني ق . م . فقد استعمل الكتاب اليونان والرومان المصطلح الجغرافي (ميسوبوتاميا Mesopotamia) الذي يعني (الارض المحصورة بين النهرين) حتى حدود بغداد جنوبا . ثم شاع ـ استعماله عند الكتاب الاوربيين لاطلاقه على البلاد كلها . وقد انتشر استعمال هذا المصطلح الجغرافي ميسوبوتاميا من بعد ترجمة التوراة الى اليونانية واللغات الاوربية . فقد ورد في التوراة ذكر الاقليم المسمى ((ارام نهرايم)) والذي يعني ((ارام النهرين (أي بلاد ما بين النهرين)) على ان المقصود بهذا المصطلح كما ورد في التوراة الاقليم الواقع بين نهر الفرات والخابور او بين الخابور والباليخ . ومع هذا فقد استخدم خطأً للدلالة على الاراضي الواقعة بين دجلة والفرات . حول ذلك انظر . ـ J. J. Finkelshtein, "Mesopotamia" JNES,21,1962, pp, 73 ff.

(٧) حول ذلك انظر هاري ساكز . عظمة بابل ترجمة د . عامر سليمان . جامعة الموصل ١٩٧٩ ص ٢٣ ـ ٢٤ .



الفصل الثالث

البدايات الحضارية لبلاد وادي الرافدين

اهم الادوار الحضارية والعصور التاريخية للحضارة العراقية القديمة
عصور ما قبل التاريخ (العصور الحجرية)
العصر الحجري القديم
العصر الحجري الوسيط
العصر الحجري الحديث
العصر الحجري المعدني

الفصل الثالث

البدايات الحضارية لبلاد وادي الرافدين

اهم الادوار الحضارية والعصور التاريخية للحضارة العراقية القديمة :ـ

اولاً: عصور ما قبل التاريخ :ـ وتمثل بداية ظهور الانسان في العراق قبل أكثر أو اقل من مليون سنة وحتى ابتكار الكتابة في اواسط الالف الرابع ق . م وتشمل العصور التالية :ـ

(١) العصر الحجري القديم (الباليوليثك) :ـ ويبدأ من منتصف عصر البلايستوسين الى نهاية العصور الجليدية في اوربا قبل حوالي ٥٠٠,٠٠٠ ـ ١٠,٠٠٠ سنة قبل الميلاد .

(٢) العصر الحجري الوسيط (الميسوليثك) :ـ ويبدأ من اواخر عصر البلايستوسين وبداية العصر الثاني المسمى الهولوسين الذي لانزال نعيش في ظله (ويبدأ منذ الالف العاشر وجزء من الالف التاسع ق . م) ويطلق عليه اسم عصر الادوات الدقيقة وعرف :ـ

آ ـ في العراق باسم الدور الزرزي (نسبة الى كهف زرزي بالقرب من السليمانية) ووجدت آثاره في كهف شانيدار في الطبقة (بي) وفي كهف هزارمرد واماكن اخرى في شمالي العراق منها زاوي جمي . وملفعات وبالي كورا وكريم شهر .

ب ـ عرف في بلاد الشام بأسم الدور النطوفي .

جـ ـ وعرف في شمال افريقيا باسم الدور القفصي ـ الوهراني .

(٣) العصر الحجري الحديث (النيوليثك) :ـ ويبدأ من الالف التاسع ق . م وحتى ٥٦٠٠ ق . م ويمكن تقسيمه للادوار التالية :ـ

١ ـ دور يمثل اواخر العصر الحجري الوسيط او بداية العصر الحجري الحديث ومن مواقعه :ـ

آ ـ كهف شانيدار الطبقات (أ) و (بي ٢)
ب ـ قرية زاوي جمي
جـ ـ كريم شهر
د ـ ملفعات
هـ ـ كردچاي
و ـ الطبقات السفلى من جرمو وشمشارة (Šašura ki)
٢ ـ دور ما قبل الفخار ما بين الالف الثامن والسابع ق . م . وآثاره تتألف من ادوات حجرية قبل ظهور الفخار في الطبقات السفلى من جرمو والطبقة (أ) من كهف شانيدار والطبقة العليا من قرية زاوي چمي .
٣ ـ دور الفخار تركزت اثاره في جرمو والطبقة السفلى من حسونة . والطبقات السفلى من تل الصوان . وقد ازدهرت في هذا الطور من العصر الحجري الحديث القرى الزراعية وزاد اعتماد الانسان على الزراعة وتدجين الحيوان .
٤ ـ العصر الحجري المعدني (الكالكوليثك) . ويمتد من (٥٦٠٠ ـ ٣٥٠٠ ق . م) وتركزت اثاره في الجزء الشمالي من العراق في كل من حسونة والصوان وشمشارة وسامراء وحلف . اما في الجزء الجنوبي والوسطي فتركزت اثاره في اريد والعبيد وحاج محمد والوركاء .

ثانيا : العصر الشبيه بالكتابي أو التاريخي (البروتوليتريت) ويمتد من (٣٥٠٠ ـ ٢٨٠٠ ق . م) ويشمل دور الوركاء الثاني (الطبقة الرابعة) ودور جمدة نصر .

ثالثا : ـ العصور التاريخية : وهي العصور التي اعقبت ظهور الكتابة واستخدامها كوسيلة للتدوين وتشمل : ـ

١ ـ **عصور فجر السلالات :** وتمثل بداية السلالات الحاكمة وتأسيس دويلات المدن الاولى في القسم الجنوبي من العراق (٢٨٠٠ ـ ٢٣٧١ ق . م) وتضم ثلاثة عصور هي فجر السلالات الاول والثاني والثالث .

٢ ـ الامبراطورية الاكدية (٢٣٧١ ـ ٢٢٣٠ ق . م)
٣ ـ الغزو الكوتي (الفترة المظلمة الاولى) وتأسيس سلالة لكش الثانية (٢٢٥٠ ـ ٢١٠٠ ق . م)
٤ ـ امبراطورية اور الثالثة (٢١١٣ ـ ٢٠٠٦ ق . م)
٥ ـ العصر البابلي القديم (٢٠٠٦ ـ ١٥٩٥ ق . م) وحكمت فيها السلالات التالية : ـ

آ ـ لارسا (٢٠٢٥ ـ ١٧٦٣ ق . م)
ب ـ ايسن (٢٠١٧ ـ ١٧٩٤ ق . م م)
جـ ـ اشنونا (اوائل الالف الثاني ـ ١٧٦١ ق . م)
د ـ اشور (اوائل الالف الثاني ـ ١٧٦٠ ق . م)
هـ ـ سلالة بابل الاولى وقيام امبراطورية حمورابي (١٨٩٤ ـ ١٥٩٥ ق . م)

٦ ـ الغزو الكشي (الفترة المظلمة الثانية) وتعرف ايضا باسم سلالة بابل الثالثة (١٥٩٥ ـ ١١٥٧ ق . م) .

٧ ـ سلالة القطر البحري (سلالة بابل الثانية (١٧٤٢ ـ ١٥٠٠ ق . م) .

٨ ـ العصر الاشوري ويقسم الى الادوار التالية : ـ

آ ـ العصر الاشوري القديم : وربما يبدأ من عصور ما قبل التاريخ ولكن تاريخه يمكن حصره (بحدود ٢٠٠٦ ق . م وانتهاءه بحدود ١٥٠٠ ق . م) .

ب ـ العصر الاشوري الوسيط : ويبدأ حوالي ١٥٠٠ ق . م وينتهي ببداية حكم ادد نراري الثاني عام ٩١١ ق . م .

جـ ـ العصر الاشوري الحديث ويعرف ايضا بعصر الامبراطورية . وكانت نهايته بسقوط العاصمة نينوى عام ٦١٢ ق . م وقسم الى مرحلتين : ـ
الامبراطورية الاشورية الاولى (٩١١ ـ ٧٤٥ ق . م)
الامبراطورية الاشورية الثانية (٧٤٥ ـ ٦١٢ ق . م)

٩ ـ العصر البابلي الحديث (او ما يسمى بعصر الدولة الكلدية او سلالة بابل الحادية عشر) (٦٢٦ ـ ٥٣٩ ق . م)

١٠ ـ الغزو الاجنبي : وهي مرحلة غزو وسيطرة الاقوام الاجنبية للبلاد ومنها : ـ
آ ـ الغزو الفارسي الاخميني (٥٣٩ ـ ٣٣١ ق . م)
ب ـ الغزو المقدوني السلوقي (٣٣١ ـ ١٢٦ ق . م)
جـ ـ الغزو الفرثي (١٢٦ ق . م ـ ٢٢٦ ميلادية)
د ـ الغزو الساساني (٢٢٦ ميلادية ـ ٦٣٧ ميلادية)

وفي عام ٦٣٧ ميلادية كان الفتح العربي الاسلامي للعراق وتمت اعادته الى الحضيرة العربية ويعد هذا التاريخ نهاية للتاريخ القديم وبداية للتاريخ الحديث .

عصور ما قبل التاريخ (العصور الحجرية)(١)

لقد ادى علم الاثار (الاركيولوجي) دورا كبيرا في تحريه عن عصور ما قبل التاريخ واغناء المعرفة البشرية في التطور الحاصل على الانسان منذ ظهور اولى الفصائل البشرية التي كانت اصل الانسان منذ حوالي ١,٧٥٠,٠٠٠ سنة بحسب احدث الدراسات والاكتشافات . عاش الانسان الاول في العراق منذ دهور طويلة ووجدت آثاره الاولى في الكهوف والمغاور في المنطقة الجبلية الشمالية والشمالية الشرقية . وفي الشرق اكتشفت اثاره في العراء على الهضاب . وفي الغرب اكتشفت على المرتفعات الصحراوية . وقد اتخذ الانسان الحجارة في صناعة الاته وادواته الضرورية التي يستخدمها في حياته اليومية . فسمى علماء الاثار تلك الحقبة التاريخية بالعصر الحجري وهي فترة طويلة جداً قسموها الى ادوار مختلفة نسبة الى تشظية الحجر وتهذيبه وعرفت هذه الادوار باسماء المواقع التي اكتشفت فيها اول مرة نماذج من تلك الصناعات واغلبها في فرنسا وجبال الالب وشمال افريقيا وكان ذلك الانسان يعتمد على جمع القوت من الغابات والحقول ومن صيد الحيوانات بمختلف انواعها واستخدم ادواته المصنوعة من لب الصوان بعد تشظيته كفؤوس ومطارق للهجوم والدفاع عن النفس واخيرا اتخذ العظام والاخشاب والقرون والاصداف في صنع القليل من ادواته . ان عصور ما قبل التاريخ ليست طويلة من حيث الزمن فحسب بل انها مليئة بالحوادث التي كانت وما تزال ذات اثر فعال في حياة الانسان فاستخدام النار وصناعة الاسلحة والزراعة وتدجين الحيوان والبناء والتعدين واختراع العجلة والفخار والنسيج بدأت في تلك العصور وتطورت بمرور الزمن .

اضافة الى ما سبق فان الانسان استطاع ان يتلائم مع البيئة ويتكيف مع ظروفها المتغيرة فتطور تطوراً حيويا منقطع النظير حتى اصبح سيد الكائنات الحية .

لقد تعارف الباحثون على تقسيم العصور الحجرية الى اربعة عصور رئيسة هي : —

أ ــ العصر الحجري القديم .
ب ــ العصر الحجري الوسيط .
جـ ــ العصر الحجري الحديث .
د ــ العصر الحجري المعدني .

---

(١) لزيادة المعلومات حول خصائص العصور الحجرية القديمة في الشرق القديم راجع : —
د . فرج بصمة جي . (العصور الحجرية في العراق على ضوء المكتشفات الحديثة) سومر . بغداد . ١٩٥٢ . ص ١١١ ــ ١٢٦ .

وقسموا كل عصر رئيس الىعصور وادوار ثانوية مميزة على اساس طرق صناعة الاته وادواته وكذلك طبقا لاساليب خاصة بعيشه .

لقد مر انسان العصر الحجري القديم باربع مراحل وظهرت علامات تطوره فيها ، فقد ظهر الانسان الاول والذي عرف باسم الانسان القرد الذي ظهر في جنوب وشرق افريقيا قبل ١,٧٥٠,٠٠٠ سنة مضت! ثم ظهر الانسان القرد المنتصب القامة (لانسان جاوة) الذي عاش قبل اكثر من نصف مليون سنة ، وانسان بكين الذي ظهر بحدود ٤٥٠,٠٠٠ سنة وقد تم العثور حديثا على اولى الجماجم البشرية عثر عليها في جبل الطابون ومغارة الصخول في فلسطين (والتي تاريخها بحدود ٤٣٠,٠٠٠ ـ ١٥٠,٠٠٠ ق . م) ثم انسان النياندرتال الذي عاش في الفترة المحصورة ما بين ١٠٠,٠٠٠ ـ ٣٥,٠٠٠ سنة مضت .

واخيراً الانسان العاقل وهو الانسان الذي يعمر الكرة الارضية الان .(٢) والذي ظهر قبل حوالي (٤٠,٠٠٠ سنة) .(٣)

لقد قسم المختصون العصر الحجري القديم الى عصر حجري قديم ادنى واوسط واعلى وقسموا العصر الحجري القديم الادنى الى ثلاثة عصور ثانوية هي ما قبل الابقيلي والابقيلي والاشولي وقسموا الاوسط الى عصرين هما المستيري(٤) والليفولوازي . وقسموا الاعلى الى خمسة عصور هي البيروكوردي والاوركنيشي والكرافيتي والسلوتري والمكدليني .

يمكن تقسيم عصور ما قبل التاريخ (العصور الحجرية) في العراق على الشكل التالي : ـ

١) العصر الحجري القديم (الباليوليثك) : ـ

ويبدأ بظهور الانسان على وجه البسيطة منذ بداية العصر الجيولوجي المسمى (البلايستوسين) حوالي اكثر من مليون سنة حيث اختلف العلماء بتحديده بصورة اكيدة بينما اتفقوا على نهايته (بحدود الالف العاشر ق . م) في نهاية العصور

---

(٢) مجموعة من الاساتذة والباحثين . العراق في التاريخ . وزارة الاعلام . بغداد ١٩٨٣ .
(٣) د . سامي سعيد الاحمد . المصدر نفسه . الجزء الاول ص ١٠٥ .
(٤) سميت الالات والادوات الحجرية المستيرية نسبة الى موقع موستير بفرنسا وارتبطت هذه الالات والادوات بانسان النياندرتال .

الجليدية في اوزبا . وقد قسمت العصور الجليدية من الناحية الجيولوجية الى اربعة عصور حدثت في الاقسام الشمالية من الكرة الارضية في اوربا وامريكا الشمالية حيث غطت طبقات الجليد تلك المنطقة في الوقت الذي كانت منطقة الشرق الادنى القديم ومنها العراق تعيش عصور مطيرة وساعدت على نمو النباتات والحيوانات وكذلك الانسان . لقد سميت تلك العصور ولا سيما الاوربية منها باسماء مناطق الثلاجات الالبية (نسبة الى جبال الالب) وهي : ـ(٥)

١ ـ العصر الجليدي الاول (المعروف باسم كنز) بين ٥٩٠,٠٠٠ ـ ٥٥٠,٠٠٠ سنة مضت .
٢ ـ العصر الجليدي الثاني (المعروف باسم مندل) بين ٤٧٥,٠٠٠ ـ ٤٣٥,٠٠٠ سنة مضت .
٣ ـ العصر الجليدي الثالث (المعروف باسم رس) بين ٢٣٠,٠٠٠ ـ ١٨٥,٠٠٠ سنة مضت .
٤ ـ العصر الجليدي الرابع (المعروف باسم ڤرم) بين ١١٥,٠٠٠ ـ ١٦,٠٠٠ أو ١٠,٠٠٠ سنة مضت .

وهكذا يكون العصر الحجري القديم قد شغل الجزء الاعظم من تاريخ الانسان منذ حوالي المليون سنة مضت . وقد تم العثور على بعض الالات والادوات الحصوية غير المصنعة وخاصة في شمال افريقيا في ليبيا والجزائر والمغرب . وهناك من يميز هذا الطور ويعده عصراً مستقلاً اطلق عليه اسم العصر الحجري السحيق . وقد عثر مؤخراً على الات من هذا العصر في مشروع سد القادسية في منطقة الفحيمي وكذلك في مشروع سد صدام . عاش انسان العصور الحجرية الاولى حياة بسيطة ساذجة جداً غير انه تطور بمرور الزمن تطوراً جذرياً بفضل نمو دماغه اصبح سيد الكائنات بعد ان كان شبيه من بعض الاوجه بحياة الحيوانات وتطور في المقدرة على الوقوف والسير على القدمين والقدرة على التحريك اصابع اليدين للعمل . وابتكر اللغة التي ساعدته على التفاهم مع الاخرين . وتمكن بمرور الزمن من تسخير الطبيعة لخدمته . وكان انسان هذه المرحلة يعتمد في حياته على جمع القوت وصيد الحيوانات وكانت ادواته بسيطة ومصنوعة من الحجر وفي نهاية هذا العصر الطويل تمكن من استخدام النار في تدفئة مسكنه وفي طهي طعامه . وكان يعيش في الكهوف والمغاور في المنطقة الجبلية وينتقل من مكان الى اخر بحثا عن طعامه .

---

(٥) جورج رو ، العراق القديم ، ترجمة حسين علوان حسين ، ص ٦٧ .

كان انسان الطور الاول للعصر الحجري القديم(٦) يختلف بصفاته الجسمية عن انسان الطور الثاني حيث امتاز بجمجمته الصغيرة والثخينة وقصر قامته وضخامة بنيته ووجدت اثاره وبقاياه في امكان عديدة من العالم منها انسان بكين وانسان جاوه وانسان بلتدون وانسان النياندرتال .(٧)

اما انسان الطور الثاني من العصر الحجري القديم فيسمى الانسان العاقل أو الانسان الحديث (الهوموسبينس) (Homo Sapiens)، وقد امتازت ادواته الحجرية التي استخدمها في حياته اليومية بدقة صنعها وصغر حجمها وتطورها وبعد هذا الانسان اول من دفن موتاه في تاريخ البشرية ووضع ادواته في قبوره كما استخدم إنسان هذه المرحلة عظام الحيوانات والخشب لصنع بعض ادواته وترك لنا بعض النقوش على جدران الكهوف والمغاور . وربما ظهرت اولى المعتقدات الدينية في هذه المرحلة نتيجة الخوف من المظاهر الطبيعية والحيوانات المفترسة .

يعد موقع بردة بلكه قرب جمجمال من اقدم مواقع العصر الحجري القديم في العراق ويرقى زمن مخلفاته الاثارية الى العصر الحجري القديم من النوع المعروف بالاشولي اذ يقدر تاريخها للفترة ما بين ١٠٠,٠٠٠ ـ ٦٠,٠٠٠ سنة كما عثر في كهف زرزي وهزار مرد في محافظة السليمانية على اثار الطور الثاني من العصر الحجري القديم . وفي كهف شانيدار في محافظة اربيل وهو اكبر واوسع الكهوف المكتشفة لحد الان في العراق .

وقد عثر فيه على هياكل عظمية لطفل وثلاثة رجال وعرفت باقدم هياكل انسان النياندرتال وهو الانسان القديم الذي عاش في هذه المناطق قبل الانسان العاقل الهوموسبينس وقد عثر فيه على بقايا انسان النياندرتال التي تعود للدور المستيري وترقى فترتها الزمنية للفترة المحصورة ما بين ٦٠,٠٠٠ ـ ٤٥,٠٠٠ سنة كما يشير الى ذلك جهاز الكاربون ١٤ (النظائر المشعة) وربما احتوى الكهف على بقايا اقدم حيث لم تصل التنقيبات الى الارض البكر لحد الان .

---

(٦) حول الاجناس البشرية في العصور الحجرية القديمة لاحظ ،
عبد القادر حسن علي . الانسان الاول والكهوف . حضارة العراق . الجزء الاول ص ٦٧ ـ ٧٩ .

(٧) عرف هذا الانسان بهذا المصطلح العلمي نسبة الى موقع النياندرتال في المانيا الذي عثر فيه على هياكل هذا الانسان اول مرة فاكسبه ذلك اسم الموقع ثم عثر بعد ذلك على هياكله في بلاد وادي الرافدين وفلسطين وايران ومناطق اخرى من اقطار الشرق الادنى القديم وفي شمال افريقيا .

وهناك مواقع اخرى تم العثور فيها على بقايا انسان هذه المرحلة منها كهف بالي كورا وفي ملاجيء صخرية مثل بابخال وسراندور بين اربيل وشقلاوة . وتم العثور عام ١٩٥٥ على نوع من المقاشط تحت سطح الارض في منخفض ابو دبس والرزازة وبحر النجف ويرجح ان يعود تاريخها الى العصر المستيري .

(٢) العصر الحجري الوسيط (الميسوليثك) : -

وهو العصر الفاصل ما بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث ضمن الفترة الزمنية ما بين الالف العاشر وجزء من اوائل الالف التاسع ق . م . ويعد عصراً انتقاليا من صيد الحيوانات والتقاط الاثمار الى مرحلة الزراعة والرعي ، وبتعبير ثاني من مرحلة جمع القوت الى مرحلة انتاج القوت . وقد تميز هذا العصر بدقة الالات والادوات الحجرية التي صنعها الانسان وصغر حجمها وتعدد اشكالها ومنها المناجل والمدقات والهاونات ورحى الطحن . ومن المحتمل ان هده الالات استخدمت في حصد حبوب النباتات البرية وطحنها وهكذا فقد ظهرت في هذا العصر بوادر الزراعة واستئناس الحيوان . يعد موقع زاوى جمي على ضفة نهر الزاب الاعلى قرب كهف شانيدار اقدم مستوطن قروي لحد الان في الشرق الادنى القديم .

وقد اظهرت التنقيبات في هذا الموقع بقايا اقدم مستوطنات هذا العصر والتي تعود للالف العاشر ق . م وقد استخدم الانسان اسلوب دفن الموتى ووضع بعض الالات والادوات والملابس مع جثة الميت مما يوكد ان هناك نوعا من الشعائر والطقوس الخاصة ما بعد الموت . ومن مواقع هذا العصر موقع كريم شهر وهو مستوطن مكشوف يقع شرق مدينة جمجمال بنحو تسعة كيلومترات . وجدت فيه بعض الالات والادوات الحجرية الدقيقة الصنع ومنها الادوات الزراعية مثل المناجل المصنوعة من نصال الصوان المثبتة في القار ورحى الطحن والهاونات الا ان انسان هذا العصر لم يعرف الزراعة المنتظمة . وهناك موقع ملفعات الذي يقع على ضفة نهر الخازر شمال الطريق الممتد بين اربيل والموصل حيث عثر فيه على الاثار الحجرية العظمية والتي تشبه تلك التي وجدت في كريم شهر وفي كردجاي على ضفة الزاب الاعلى بالقرب من قرية كرد ماملك وجدت اثار تشبه ماوجد في كريم شهر وملفعات . لقد كانت المنطقة الشمالية الشرقية للعراق البيئة الملائمة لمرحلة انتقال الانسان من جمع القوت الى انتاج القوت ، لان الجزء الجنوبي من العراق لم يكن صالحاً للسكن وربما كان مغطى بالمياه . وهكذا فقد تميزت هذه المرحلة بان

مواقع سكنى الانسان فيه كانت مكشوفة أي ان الانسان لم يسكن الكهوف والمغاور الا استثناء وهذا ما يشير الى ان معظم مستوطناته كانت صيفية حيث كان الكهف مقره الشتوي وهكذا اعتبر هذا العصر مرحلة انتقال من الكهوف الى القرى الزراعية .

(٣) العصر الحجري الحديث (النيوليثك) : ـ

تحدد فترة هذا العصر ما بين الالف التاسع حتى ٥٦٠٠ ق . م .

لقد مضى الانسان زهاء ٩٨ ٪ من حياته يعيش حياة بدائية يعتمد في عيشه على مرحلة جمع القوت بالصيد والالتقاط وبدأت حياة جديدة له في اواخر تلك العصور الحجرية القديمة تبدلت فيها اساليب عيشه تبدلاً جوهرياً . حيث تعلم انتاج القوت بيده بالزراعة وتدجين الحيوان . وهكذا حدث اول انقلاب اقتصادي في تاريخ الانسان فسخر الطبيعة لخدمته تلك هي الثورة التي غيرت مجرى حياته الى الحضارة والمدنية الناضجة فيما بعد . ونشأت القرى الزراعية الاولى .(٨)

لقد انسحب النهر الجليدي في نهاية العصر الجليدي الاخير نحو الشمال وتبدل المناخ في منطقة الشرق الادنى القديم نتيجة ذلك فشحت الامطار وقلت الحيوانات والنباتات التي اعتمد عليها الانسان في حياته الاولى (مرحلة جمع القوت) فبذل جهوداً كبيرة من اجل البقاء وهكذا اهتدى للزراعة والى تدجين الحيوانات واستانس الماشية فانتقل من مرحلة جمع القوت الى مرحلة انتاج القوت وتبدلت حياته الاجتماعية ومعتقداته الدينية وتطورت وتنوعت الاته وادواته الزراعية وبدأ في بناء القرى والمستوطنات الزراعية الثابتة . والتي اخذت بالنمو بمرور الازمان وتطور اقتصادها وزاد عدد سكانها بالشكل الذي يتلأم وتفاعلها مع بيئتها .

لقد تميزت القرى الزراعية الاولى بالاكتفاء الذاتي في صناعة الاتها وادواتها وفي انتاج غذائها . وقد تركزت معتقداته الدينية حول الخصوبة والتكاثر وكانت ديانته عبارة عن مفاهيم وتصورات ارتبطت بمظاهر الطبيعة المؤثرة في عمليات الانتاج وبفكرة الخصوبة والحياة ووجدت دمى طينية صغيرة تمثل امراة عارية بولغ باظهار انوثتها كرمز للخصوبة والتكاثر وعرفت فيما بعد بالالهة الام (Mother Goddess) أي ان المعتقد الديني لانسان هذا العصر كان قد استند على اساس عبادة القوى المولدة للطبيعة .

---

(٨) للتعرف على الانقلاب الزراعي وظهور القرى الزراعية انظر : ـ د . تقي الدباغ (الثورة الزراعية والقرى) حضارة العراق . الجزء الاول . ص ٨٧ .

لقد ظهرت بوادر اولى القرى الزراعية في الوديان المنتشرة ما بين السلاسل الجبلية وفي الاراضي المتموجة في شمال العراق حيث يتوفر المناخ الملائم والامطار الغزيرة والحيوانات والنباتات البرية الصالحة للتدجين . فأنتشر الكثير من مستوطناته على ضفاف الانهار وهضباتها وعند العيون والينابيع .

وتعد قرية جرمو على بعد ١١ كيلو متراً شرق جمجمال اقدم تلك المستوطنات الزراعية للعصر الحجري الحديث . شيدت بيوتها بالطين وسقفت بالحصران وكانت اسس بعضها من الحجر الطبيعي وكان سكانها رعاة استأنسوا بعض الحيوانات وربوا الماشية ومارسوا الزراعة بشكل ضيق . وقد تم العثور على بعض الالات الحجرية واكثرها مصقول وادوات من العظم والحلي ودمى من الطين تمثل الالهة الام وقد تم العثور على كسر من الفخار السمج في الطبقات العليا من الموقع . ومن المواقع الاثرية الاخرى التي تم العثور فيها على اثار العصر الحجري الحديث هي تل شمشارة في سهل رانية وكذلك تل حسونة بناحية الشورة على بعد ٣٥ كيلو متر جنوب الموصل والتي تمثل اثار قرية زراعية مهمة مارس سكانها زراعة القمح والشعير وقد اعتمدوا على امطار الديم وخصوبة الارض واستعملوا مناجل من حجر الصوان والزجاج البركاني لحصد الحبوب واطباق فخارية ذات نتوئات بارزة لجرش الحبوب وفصل قشورها ورحى حجرية لطحنها . وخزنوا الفائض من انتاجهم الزراعي لموسم القحط في مخازن دفنوها في الارض وغطوها بالقار من الخارج . ومن المواقع الاخرى تل الصوان حوالي كيلو متر واحد جنوب سامراء وتل ام الدباغية ٢٦ كيلو متر غرب مدينة الحضر وكذلك تل الاربجية ٨ كيلو متر شمال شرق نينوى ومطاره (جنوب مدينة كركوك) ويارم تبه (في سهل سنجار) وغيرها .

(٤) العصر الحجري المعدني (الكالكوليثك) : ـ

يحدد تاريخ هذا العصر ما بين (٥٦٠٠ ـ ٣٥٠٠ ق . م) .

وقد توفق الانسان فيه الى اكتشاف المعادن وصنع منها الاته وادواته المختلفة بالاضافة الى صناعة الادوات الحجرية . ان اكتشاف الانسان للمعادن قد زاد في قدراته على استغلال الطبيعة وتحدياتها وهكذا فقد غير مجرى حياة المجتمع وخاصة في مرحلة الفائض من الانتاج فاخذ يبيع الفائض من الانتاج الزراعي والحيواني وما لديه من ادوات فخارية ليحصل بدلها على المعادن التي اصبحت عنصراً مهما في الصناعة .

وهكذا فقد تطورت الزراعة في هذا العصر وانتشرت القرى الزراعية اكثر من أي وقت مضى فشملت وديان الانهار واراضي الجزيرة الفراتية والاقسام الوسطى من بلاد وادي الرافدين . وبهذا تميز هذا العصر بصفة التخصص بالزراعة وكثرة الفائض من الانتاج الزراعي الذي استغل لاغراض التبادل التجاري الذي اوجبته زيادة احتياجات ومتطلبات الانسان وخاصة تلك التي يحتاجها في المجال الصناعي وظهرت طبقات الحرفيين والصناع وتختلف ميزات وخصائص هذا العصر من منطقة الى اخرى من حيث الصناعة والزخرفة والشكل . وعلى هذا الاساس ومنذ عام ١٩٢٩ تبنى المنقبون في العراق طريقة تسمية العصور على اسماء المواقع التي ظهرت بها (الاثار المميزة لكل عصر) في البداية . وجرت في الاونة الاخيرة المحاولات لتصنيف اقسامها واعادة تجميعها تحت تسميات ذات دلالات حضارية اكثر وتم تقسيم ادوار هذا العصر بالشكل التالي : ـ(٩)

أ ـ عصر حلف : ـ

سمي بهذا الاسم نسبة الى تل حلف (كوزانه القديمة) الذي يقع حوالي ٥ كيلومتر شمال سوريا . جنوب غربي رأس العين قرب منبع الخابور . وتميز دور حلف في تاريخ الحضارة العراقية القديمة بظهور بداية استخراج اللمعادن منها النحاس والرصاص واستخدامهما في صنع الالات والادوات الى جانب الحجارة . وقد انفرد هذا العصر بنوع خاص من المباني ذو أهمية معمارية عرفت بالمباني المستديره ((ثولي)) التي كان للبعض منها مداخل مستطيلة الشكل .

ان هذه المباني قد شيدت من الطين على اسس حجرية مجاورة لبعضها ويعتقد انها كانت مسقفة بقباب معقودة وقد اختلف الباحثون في تحديد وظيفتها فمنهم من عدها دور سكن من طراز خاص واخرون عدوها معابد او مزارات دينية ورجح فريق اخر من ان الكبيرة منها اشبه ماتكون بمضايف لاستضافة الغرباء الوافدين او تؤدى لاجتماع رجال القرية . وقد تميز فخار هذا العصر من انه كان رقيقا مصبوغا بعدة الوان الاصفر والبرتقالي والاحمر والاسود ومنقوشة بزخارف هندسية زاهية صنعت باليد حيث ان الانسان لم يكتشف دولاب الخزف بعد . وكانت زخارفها متناسقة وجميلة تحتوي على الرسوم الهندسية والنباتات والحيوانات . وتقدمت الصناعات المختلفة في هذا العصر وبعده . واخذ الانسان يوسس بداية الحضارة

---

(٩) سيتون لويد . المصدر نفسه . ص ٣٩

الناضجة لا سيما عندما انتقلت الحضارة العراقية من الشمال تدريجياً الى الجنوب حيث ظهرت اولى المستوطنات في السهل الرسوبي بعد انحسار المياه عنها وجفاف بعض الاهوار . فتكونت على مر السنين اراضي خصبة واسعة استخدمت للزراعة ونشأت عليها المستوطنات الزراعية وكانت من اهم مراكز الحضارة العراقية القديمة واصبحت مدنا عامرة فيما بعد من العصور اللاحقة .

لقد انتشرت مستوطنات هذا العصر في منطقة واسعة . واقتصر على شمال العراق ولم يمتد جنوبا اكثر من حدود مدينة مندلي بالسهل الرسوبي واشهر مواقع هذه المرحلة هي تل الاربجية وتل حسونة وتل الصوان ومطاره ونينوى وتبه كورا ونوزي وتلول يارم تبه وجوخه مامي وبعض التلول من منطقة حمرين في منطقة ديالى كشفت حديثا منها تل اربيضة وتل بستان وتل حسن وخيط قاسم .

ب ـ عصر العبيد واستطيان القسم الجنوبي من العراق : ـ

سمي هذا العصر نسبة الى تل العبيد الذي يقع على مسافة ٧ كيلومتر الى الغرب من مدينة اور في الناصرية . لقد تم الكشف اثناء التنقيبات الاثارية في هذا الموقع عن اقدم نوع من الفخار الملون والذي يمثل اول دور للاستيطان البشري في منطقة السهل الرسوبي جنوب العراق ونتيجة للتنقيبات في هذا الموقع وفي مواقع عبيدية اخرى في المنطقة تبين ان القرى الزراعية اتسعت وزاد عدد سكانها بدليل ازدياد عدد دور السكن وتطورت المعابد في هذه الفترة من حيث مكانة البناء وتعدد المرافق وقد شيدت على نظام هندسي راقي واصبحت اقرب ما تكون الى المدن الصغيرة وتطور فن النحت المجسم وعملت التماثيل من الطين لأشكال ادمية وحيوانية . اما صناعة الاواني الفخارية فقد لونت بلون واحد وهو اللون الاسود وكانت اقل مستوى من اواني عصر حلف(١٠) السابق حتى ان زخارفها اقل روعة وجمالا . وعصر العبيد يمثل حقبة حضارية طويلة الامد انتشرت مخلفاتها في مواقع عديدة في الشمال والجنوب وقد استعملت المعادن في هذا العصر . وكان النحاس في بادىء الامر يطرق بارداً الا انه سخن بعد ذلك واستعملت طريقة الصب (السباكة) في صناعة صنارات صيد الاسماك والسكاكين والدبابيس والاسلحة . وقد تم العثور على ادوات كثيرة ومختلفة من الفخار تعود لهذا العصر منها مناجل وفؤوس

---

(١٠) نسبة الى تل خلف (كوزانة القديمة) الذي حرف الى حلف . وهو موقع اثري كبير يطل على نهر الخابور على الحدود التركية السورية .

وثقالات لشباك الصيد ودمى من الطين المشوي بعضها مصبوغ بخطوط سوداء تمثل الالهة .

ويمكن تقسيم حضارة هذا العصر الى قسمين : ـ

الاول

جنوبي وهو الاقدم وجدت فخارياته بكثرة في كل من اريدو (ابو شهرين) وقلعة حاج محمد (قرب الوركاء) ورأس العمية القريب من كيش وفي غيرها من المواقع .

والثاني

شمالي فقد وجدت اثار حضارة العبيد بكثرة في شمال القطر مثل موقع تلول الثلاثات قرب سنجار وفي تبه كورا وتل حسونة والاربجية

وتعد مستوطناته الجنوبية بداية الاستقرار وقيام الزراعة المنتظمة في منطقة السهل الرسوبي ، وقد قدر زمنها في النصف الثاني من الالف الخامس ق . م . فتعد اقدم حضارة ظهرت في هذا الجزء من العراق حيث ان مخلفاتها تستقر على الارض البكر . وقد تم العثور على بعض المستوطنات الزراعية بالاضافة الى ماذكر اعلاه منها تل العقير جنوب بغداد ، واور واريدو وخفاجي واسمر في منطقة ديالى ، وتلول الهبة (لكش) شمال شرقي الشطرة . والوركاء وبسماية (ادب القديمة) وفي مناطق عديدة في شمال وجنوب العراق .

وانتشرت حضارة هذا العصر الى خارج القطر بواسطة الطرق التجارية النهرية والبحرية فوصلت الى مناطق عديدة منها سوريا واسيا الصغرى وايران والى بعض اجزاء شبه الجزيرة العربية والخليج العربي . ـ

جـ ـ عصر الوركاء

سمي هذا العصر بالوركاء نسبة المدينة العريقة (اوروك القديمة) التي تقع على بعد ٣٠ كيلو متر جنوب شرقي السماوه وقد كشفت فيها عدة طبقات تاريخية وطبقات من عصور ما قبل التاريخ مثل العبيد والوركاء وجمدة نصر . وكشف فيها الكثير من الفخار معظمه مصنوع بالدولاب (دولاب الخزف) في معبد (أي ـ اننا) وقد تميز هذا الفخار بطينته الحمراء او الرمادية اللون وان اواني هذا العصر مطلية وغير

ملونة . وقد تميزت هذه الفترة بالاباريق ذات الصنابير المعوجة والجرار ذات الصنابير الطويلة والقدور ذات العرى الاربع فقد تميز عصر الوركاء بنضج الحضارة وبتقدم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية .

لقد امتاز هذا العصر بجملة من التطورات الحضارية التي ادت دورا مهماً في بناء الحضارة الناضجة في اواخر الالف الرابع ق . م فظهرت اولى الابنية العامة المخصصة للعبادة (المعابد) والتي تميزت بطراز الطلعات والدخلات في بناء جدرانها الخارجية وتطورت وسائل الري وتطورت الزراعة وانتشرت على اثرها في القسم الجنوبي من العراق . وكان العمل بمشاريع الري والعمل على درء اخطار الفيضان . وفي هذا العصر ظهر التخصص في العمل بصناعة بعض الالات والادوات والمنسوجات والاواني وبدأت ولاول مرة بودار ـ التجارة الداخلية والتي تطورت وانتظمت في العصور اللاحقة بين سكان العراق وبين بعض البلدان والاقطار الاخرى . وكانت طرق الاتصال البرية والبحرية معروفة في هذا العصر مما يدل على وجود علاقات دولية . وقد ظهرت الاختام المنبسطة والاسطوانية المصنوعة من الحجر والتي نقش عليها العديد من المشاهد الحيوانية والادمية وصارت من العناصر الحضارية الملازمة لحضارة وادي الرافدين في جميع الفترات . وتطورت القرى الكبيرة من العهود التي سبقت هذا العصر فصارت اوائل المدن وغدت من المراكز الحضارية والسياسية في الفترات اللاحقة .

د . العهد الشبيه بالكتابي أو التاريخي (البروتوليتريت) :

لقد اطلق بعض علماء الاثار على حضارة النصف الثاني من عصر الوركاء وبداية عصر جمدة نصر للفترة المحصورة مابين (٣٥٠٠ ـ ٢٨٠٠ ق . م) بالعهد الشبيه بالكتابي أو الشبيه بالتاريخي وهو العهد الذي ظهرت فيه اولى العلامات الصورية الكتابية في تاريخ الحضارة ومع انها كانت صورية غير ان من المرجح انها لم تكن البداية البسيطة بل لعل هناك اطوار بدائية سبقتها . ان استخدام اوائل العلامات الصورية الكتابية لم تكن على نطاق واسع في بداية امرها . بل كان الغرض منها تسجيل بعض واردات المعابد واملاكها اي لأمور اقتصادية ولم تدون بها النصوص التاريخية ولا شؤون الحياة العامة . وامتاز هذا العهد بظهور المعابد العالية أو

الزقورات(١١) . والتي اختصت بها الحضارة العراقية القديمة ومنها زقورة العقير والوركاء . وقد شيدت مباني هذا العصر باللبن المربع والمقطع الذي يعرف باسم ((ربمشن)) بالالمانية وهو لبن مستطيل الشكل مربع المقطع تقريبا .

وقد امتاز هذا العصر باختراع الكتابة لاول مرة وتعد اعظم الاختراعات في تاريخ الحضارة العراقية . فقد عثر على اولى النماذج الكتابية بهيئة صورية في الطبقة الرابعة (أ) في الوركاء وجمدة نصر . وسميت بالكتابة المسمارية(١٢) لان شكل علاماتها بعد تطورها كانت تشبه المسامير بسبب النهاية المثلثة لقلم القصب أو الخشب .

أما اللغة المدون بها فهي ربما اللغة السومرية . ومن المحتمل انه سبق نصوص الوركاء مرحلة ابتدائية اخرى لم تصلنا نماذجها بعد . حيث العلامات التي وصلتنا كانت مختزلة مما يدل على انها قطعت شوطاً كبيراً وتطورت الى ان وصلت الينا بالشكل الذي عثر عليه في الوركاء وربما استخدم اهل الوركاء الاوائل مادة اخرى للكتابة قابلة للتلف غير الطين المفخور . وكانت الكتابة في بدايتها بسيطة وصورية ويتجاوز عددها الالفين علامة اختزلت فيما بعد وكانت الطريقة المتبعة هي رسم صور الاشياء التي يراد التعبير عنها على قطعة من الطين الطري والتي عدت للكتابة عليها(١٣) ووجدت اثار هذا العصر في مواقع عديدة داخل العراق وخارجه حيث انتشرت التأثيرات الحضارية العراقية الى خارج البلاد فوجدت

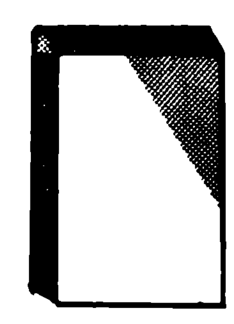
---

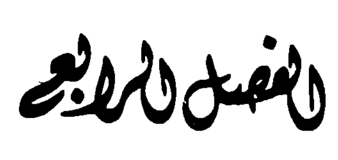
(١١) بناء صلد مشيد من اللبن يتألف من عدة طبقات بين ٣ ـ ٧ طبقات يشيد على مسطبة او دكة اصطناعية تبلغ ارتفاعها ٤ م وقد طلي جدران المعبد الابيض (المعبد العالي) الذي يقع في اعلى الزقورة بالجص الابيض من الخارج لذلك عرف بهذا الاسم . وقد اقيمت المعابد على مساطب او دكاك يرقى اليها بمنحدرات ترابية وربما كانت هذه المعابد بداية فكرة الزقورات وهي الصروح المدرجة التي امتازت بها الحضارة العراقية القديمة التالية وقد تطورت الزقورة في النهاية الى هيئة دكة أو مسطبة ترتفع خمسين قدما . واحسن نموذج للزقورة هو زقورة اور وزقورة بابل .

(١٢) حول الكتابة المسمارية . اختراعها وتطورها والمراحل التي مرت بها وانتشارها وحل رموزها راجع د . محمود الامين . حل رموز الكتابة المسمارية (مترجمة . مجلة سومر (١٢) ١٩٥٦ ص ٩٠ ـ ١٠٠ . د . فوزي رشيد . قواعد اللغة السومرية . بغداد ١٩٧٣ . ادوارد كييرا . كتبوا على الطين . ترجمة د . محمود حسين الامين . بغداد . ١٩٦٤ ص ٦٩ ـ ٨٤ .
انظر كذلك I. J. Gelb, Astudy of writing, Chicage, 1944.

(١٣) حول الكتابة واللغة وانتشارها انظر الفصل الحادي عشر . ص ٢٣٠ ـ ٢٣٧ .

الاختام الاسطوانية والكتابة العراقية القديمة في هذه الفترة في عيلام وفي مناطق الفرات الاعلى والخابور وفي مواقع اخرى وكذلك وجدت اختام اسطوانية في مصر من الطراز العراقي ومن هذا العصر. وانتهى هذا العصر في لعراق بقيام السلالات الحاكمة والذي يسمى بعصر فجر السلالات أو (العصر السومري) .





دول المدن السومرية او (عصر فجر السلالات)

الاحوال السياسية في بلاد سومر
السومريون
اصل السومريين
اللغة السومرية

الفصل الرابع

دول المدن السومرية او (عصر فجر السلالات)

يعتبر اختراع الكتابة في اواسط الالف الرابع ق . م بداية لما يعرف بالعصور التاريخية . حيث بدا الانسان وبالتدريج باستخدام الكتابة لتدوين شؤون حياته اليومية . في حين لم تكن تتوفر لديه مثل هذه الوسيلة في عصر ما قبل التاريخ وتعرف الفترة الزمنية الممتدة ما بين ٢٨٠٠ ـ ٢٤٠٠ ق . م بعصور فجر السلالات مقسمة الى ثلاثة عصور الاول والثاني والثالث ويعد العصر الاول اقدم هذه العصور . وتتميز بظهور اولى السلالات السومرية الحاكمة التي شكلت انظمة سياسية والتي تعرف بدويلات المدن السومرية **City States** والتي ظهرت في منطقة السهل الرسوبي في القسم الجنوبي من العراق ولاول مرة بعد ان توسعت القرى الزراعية التي نشأت في عصور ما قبل التاريخ في القسم الشمالي واصبحت مدنا عامرة في العصر الشبيه بالكتابي وبرزت ملامحها في التقدم والازدهار بظهور اولى السلالات السومرية الحاكمة في القسم الجنوبي منذ الالف الثالث ق . م والمعروف بأسم بلاد سومر .

الاحوال السياسية في بلاد سومر :ـ

لقد كان نظام الحكم في بلاد سومر عبارة عن دويلات مدن مستقلة بعضها عن الاخر لها حاكمها الخاص الذي يخضع لسلطة اله المدينة الرئيس . فهو يدير شؤون المدينة نيابة عن الاهها وللمدينة قانونها وعاداتها وتقاليدها الخاصة .

لقد ازدهرت كل دويلة من هذه الدويلات التي بلغ عددها ثلاث عشرة دويلة في عصر فجر السلالات وهي من الشمال الى الجنوب سپار . كيش . اكشاك . لاراك . نفر . ادب . اوما . لكش . باد تبيرا . اوروك . لارسا . اور . واريدو .

وكانت كل واحدة تتألف من مدينة مركزية هي العاصمة ويتبعها مدن اخرى وعدد من القرى والارياف والاراضي الزراعية . ولم تكن المدن السومرية كبيرة اذ قدر عدد نفوس مدينة خفاجي (توتوب القديمة) في منطقة ديالى بـ ١٢ الف نسمة وقدرت نفوس مدينة اشنونا (عاصمة مملكة اشنونا) بنحو ٩.٠٠٠ وسكان مدينة اوما ١٦.٠٠٠ وان سكان جنوب العراق كله كان حوالي نصف مليون نسمة .

وقد نشأت عدد كبير من المدن المهمة في عصور فجر السلالات واتسعت وزاد عدد سكانها وغدت من المراكز الحضارية في العصور التالية . وكانت المدينة ومنذ تلك الفترة تحصن باسوار منيعة لصد هجمات الاعداء ويشمخ في احد جوانبها صرحها المدرج (الزقورة) الذي يرتفع ارتفاعا شاهقا ويقع الى جانبه معبد المدينة الارضي . ويؤلف معبد المدينة الرئيسي محورها ومركزها في الامور الدينية والاقتصادية والمعمارية وكان قصر الحاكم يلي المعبد من حيث الاهمية والحجم . ثم تليهما بيوت العامة والتي كانت بسيطة البناء مشيدة من اللبن أو الطين . وقد نشأت المدن حول القرى الزراعية التي يعود تاريخها الى عصور سابقة والتي كانت تنشأ عادة بالقرب من مصادر المياه التي تعتمد عليها حياتها الزراعية . وقد تهجر المدينة بسبب تغيير اتجاه مجرى النهر أو زيادة ملوحة التربة أو بسبب غزو اجنبي مدمر .

وكان اهم ما يميز عصر فجر السلالات من الناحية السياسية هو ان هذه الدويلات كانت مستقلة ومنفصلة بعضها عن البعض الاخر وكانت على الغالب في نزاع وحروب فيما بينها من اجل السيطرة على المزيد من الاراضي الزراعية ومصادر المياه والسيطرة على طرق التجارة المؤدية الى مصادر المواد الخام او من اجل توحيد تلك الدويلات بدولة واحدة وضبطها تحت سلطة مركزية واحدة لضمان امنها وسلامتها أو لتأمين سيادتها والدفاع عن حقوقها المشروعة . ان بداية هذه المرحلة كانت قائمة على اساس ان الاله هو مالك كل شيء بالاضافة الى ذلك فانه كان مشرفا على ادارة المجتمع وينظم اموره على اساس ثيوقراطي وان الدولة تشرف على كافة وسائل الانتاج وجعله في خدمة الاله وان ذلك يتم تنفيذه بواسطة وكيل الاله المفوض في ادارة شؤون المدينة . ثم بدأ الحكم فيه يتحول تدريجيا من الزعامة الدينية الى الزعامة الدنيوية .

ان تضارب مصالح دويلات هذه المدن وما يتطلبه من تنظيمات لشؤون الادارة والري والتجارة الخارجية وما تبع ذلك من اتساع مدنها وتكاثر سكانها كل هذا كان يحول دون توحيدها بدولة مركزية واحدة ثم عادة واضمحلت في اواخر عصر فجر السلالات وحل محلها دولة القطر الواحد .

وقد وصلتنا بضعة وثائق مسمارية تحتوي على اسماء الملوك الذين حكموا في دويلات المدن السومرية ومدة حكمهم . وقد اتفقت هذه الوثائق في الاشارة الى حدوث فيضان أو طوفان والذي اهلك الحرث والنسل ويحاول الكثير من الباحثين

الربط بينه وبين الطوفان المشار اليه في الكتب السماوية كذلك تفصل هذه الوثائق بين الملوك الذين حكموا قبل الطوفان وبعده وقد امكن التوصل الى قائمة تضم ملوك بلاد سومر جمعت من ١٥ وثيقة مختلفة من تلك الوثائق(١) وهي تمثل الهيكل التاريخي لبلاد سومر منذ اقدم العصور الى (القرن الثامن عشر ق . م) وقت كتابة تلك الوثائق . وتشير جداول الملوك أو اثبات الملوك السومريين بان الملوكية (بالسومرية Nam-Lugal) نزلت اول مرة من السماء وهي هبة منها ومقرها فيها ورموزها الصولجان والتاج وعصا الراعي . ونزلت منها الى الارض في مدينة اريدو بالقرب من مدينة اور حيث حكم فيها ملكان لمدة ٦٤,٨٠٠ سنة وانتقلت بعد ذلك الى مدينة بادتبيرا (تل المداين قرب تللو) حيث حكم فيها ثلاث ملوك لمدة ١٠٨,٠٠٠ سنة ومنها انتقلت الى لاراك (قرب كوت العمارة) حيث حكم فيها ملك واحد لمدة ٢٨,٨٠٠ سنة ثم انتقلت الى مدينة سبار (ابو حبة) حيث حكم فيها ملك واحد لمدة ٢١,٠٠٠ سنة ثم الى شروباك (تل فاره) وحكم فيها ملك واحد لمدة ١٨,٦٠٠ سنة وبعدها جاء الطوفان وارتفعت الملكية الى السماء(٢) فقد اهلك الطوفان كل شيء فأكتسح الارض ومن عليها بأستثناء رجل الطوفان اوتو نابشتم(٣) وبعد زوال الطوفان(٤) هبطت الملكية ثانية من السماء الى مدينة كيش (شرق بابل) في حدود ٢٨٠٠ ق . م حيث تكونت فيها السلالة الاولى من ٢٢ ملكاً حكموا بمعدل ١٠٠٠ سنة للواحد منهم وان معظم اسماء ملوكهم كانت جزرية وست منهم كانت اسماؤهم سومرية وجرى العرف السياسي من ان كل حاكم ينجح في مد سلطانه الى المدن الاخرى ... يتخذ لنفسه لقبا سياسيا هو ملك كيش وهو يعادل على الارجح لقب ملك سومر وتطور ذلك المدلول في العصور التاريخية اللاحقة الى معنى ملك العالم بالاكدية . (شار - كِشاتي Sar-Kissati) . وان ملك كيش (ان - مي - براج - سي) حكم حوالي عام ٢٧٠٠ ق . م وبنى معبد للاله انليل في نيبور مما جعلها تعد عاصمة سومر الدينية واصبح من الضروري ان يتم اختيار الحكام بواسطة الاله انليل في نيبور فتعد سلالة كيش شمال بلاد بابل وسلالة الوركاء في الجنوب

---

(١) Th. Jacobsen, The Sumerian King-List, 1939.

(٢) د . محمد ابو المحاسن عصفور . المصدر السابق . ص ٣٤٧

(٣) طه باقر . ملحمة كلكامش . وزارة الاعلام . بغداد . ١٩٨٦

(٤) لقد اعطت لنا جدول الملوك ارقاما خيالية للملوك الثمانية الذين حكموا قبل الطوفان بخمس مدن هي . اريدو . بادتبيرا . لاراك . سبار . وشروباك . وخصص لهم ٢٤١,٠٠٠ سنة ولعل مثل هذا الرقم الخيالي يعطي لنا فكرة واضحة عن المبالغة والاسطورة الغالبة عليها .

اول سلالتين بعد الطوفان . وتشير الاساطير السومرية والبابلية الى كلكامش(٥) ملك الوركاء في حدود ٢٧٠٠ ق . م وتصف اعماله الخارقة وحكمته البالغة واسفاره البعيدة جريا وراء الخلود الى انه بنى اسوار الوركاء ومعبدها المقدس كما اننا نذكر ماحدث في عهده من طوفان عظيم يحاول الباحثون توحيده بطوفان نوح في الكتب المقدسة وقد أقتبس العبرانيون قصة الطوفان من بابل . وان كلكامش هو الذي قضى على ((اجا)) اخر ملوك سلالة كيش ومن المرجح ان اسرة اور الاولى خلفت اسرة الوركاء في السيادة في حدود ٢٦٥٠ ق . م ومن الاثار التي عثر عليها في مقبرة اور تبين مقدار ثراء هذه المدينة وعظمة اسرتها الحاكمة حيث عثر على مقابرها الغنية التي حوت الكثير من الاثاث الثمينة والتحف النادرة ومن اهم هذه المقابر مقبرة ((پو – ايبي Pū - Api)) (مقبرة شبعاد سابقا) التي حوت اضافة الى حلي هذه السيدة كاسا ذهبياً وغطاء لرأس في حالة جيدة وقيثارة ذهبية تعد من ايات الفن القديم وقد دفن مع صاحبة المقبرة عدد من اتباعها وهم احياء ولم تنعم سلالة اور الاولى طويلاً بالرخاء والرفاهية اكثر من قرن واحد حيث اخذت القبائل العيلامية الغازية التي تسكن الجبال الشرقية من بلاد النهرين تغير عليها وتمكنت المملكتان العلاميتان الاجنبيتان اوان وخمازي من ان تفرضا سلطانهما عليها وعلى جزء من بلاد سومر . ومن اهم مدن عصر فجر السلالات مدينة لكش وقد لعب احد حكامها وهواي- اناتم – (٢٥٥٠ ق . م) دورا هاماً في القضاء على الفوضى التي عمت البلاد بعد الغزو الاجنبي المذكور اعلاه . فخلص السومريين من قبضة العيلاميين وامن حدوده الشرقية باخضاع عدة مدن عيلامية على الحدود . وقهر اور واوروك واضافة مملكة كيش الى لكش ولكن الحرب التي جاءتنا عنها معلومات هامة هي الحرب المحلية ضد مدينة اوما على بعد ١٨ ميلا شمالا غرب لكش . حيث كان التنافس بينهما على اشده لعدة اجيال من اجل الحصول على القنال الذي يفصل الدولتين ومن اجل الحصول على السهول الخصبة بينهما والتي كان كل منهما يدعي ملكيتها فكان ذلك سببا لنشوء النزاع بين المدينتين في عدة مناسبات فتخبرنا النصوص التاريخية من منتصف الالف الثالث ق . م عن الحاكم الثالث لسلالة لكش عن قبول اي – اناتم بعد اجيال توسط ((مسيلم)) ملك كيش في انهاء النزاع بين الدولتين وهي اول وساطة دولية في العالم القديم . ووضع لوحة بينهما كحدود فاصلة بين الدولتين

---

(٥) تتألف ملحمة كلكامش من اثني عشر رقيما طينيا . وقد بذل كلكامش جهوداً كبيرة من اجل البحث عن الخلود . فيظفر اخيراً بمقابلة اوتو – نابشتم (نوح الطوفان) ابن اوبار – توتو ملك شروباك الا انه فشل في الحصول عليه . لكنه عرف الناس بالحكمة التي مفادها ان العمل الجاد والمفيد هو الذي يخلده البشر .

وانتهى القتال بمعاهدة سلمية خلدت انتصار اي ـ اناتم حاكم لكش على مدينة اوما ونحتت على مسلة من الحجر نحتاً بارزاً عرفت بمسلة النسور . غير ان حاكم اوما نقض المعاهدة وشن حربا على لكش واستمرت الحروب بينهما الى ان تمكن انتمينا حاكم لكش ابن اخ اي ـ اناتم من تحقيق انتصار مؤقت على اوما . ولم يستمر ازدهار لكش الذي رافق انتصاراتها العسكرية على الدويلات بل ما لبثت ان اضمحلت وبدأ الضعف يدب فيها لجملة من الاسباب منها الازمات الاقتصادية التي حلت بالبلاد ومحاولة الحكام زيادة انواع وكميات الضرائب المفروضة على المواطنين . بهدف جمع الاموال اللازمة للانفاق على حياتهم الخاصة فعم الارتباك الاقتصادي وقامت ثورة في البلاد اطاحت بالسلالة الحاكمة وجاءت بحاكم جديد هو أوروكاجينا ويظن انه كان من طبقة الكهنة . وقد اشتهر باصلاحاته الاقتصادية والاجتماعية والمعروفة باسمه وهو اول مصلح في العالم القديم .

وقد هدف من اصلاحاته القضاء على الفساد السياسي والاقتصادي والاجتماعي وقد عدد في اصلاحاته المفاسد التي كانت تعم البلاد والاجراءات التي اتخذها للقضاء عليها . اذ الغى الكثير من الضرائب المفروضة على المواطنين والحد من استغلال الطبقة الحاكمة والجباة والموظفين وابتزازهم الاموال وتحديد عقوبة للمرأة التي تتزوج من رجلين وعقوبة السارق بالرجم وغير ذلك .(٦) غير ان فترة حكمه القصيرة (٨ سنوات) لم تتح له الفرصة من انجاز الاصلاحات المذكورة حيث ظهر في نفس الفترة الحاكم لوكال زاكيزي في مدينة اوما الذي تمكن من القضاء على مدينة لكش قضاءاً تاماً وبشكل مفاجيء وقد امتاز بمقدرته العسكرية والادارية وطموحاته الواسعة في توحيد البلاد وضم دويلات المدن السومرية المختلفة تحت سلطته ونفوده ولم يكتف بذلك بل حاول مد فتوحاته من الخليج العربي حتى البحر المتوسط كما تشير احد النصوص المدونة وحكم ٢٥ عاماً تمكن من خلالها اقامة اول دولة موحدة في بلاد سومر واكد-وانتهت بنهاية حكمه فترة عصور فجر السلالات وبدأت فترة حكم سرجون الاكدي عام ٢٣٧١ ق . م بعد ان انتزع السلطة منه واستطاع من اقامة اول امبراطورية واسعة في العالم القديم .

---

(٦) د . عامر سليمان . القانون في العراق القديم . جامعة الموصل . ١٩٧٧ . ص ١٤٢ ـ ١٤٧ .

اما شكل نظام الحكم : ـ

فاستنادا الى رأي جاكبسون كانت السلطة العليا في اقدم مجتمع سومري (العهد الشبيه بالكتابي) بيد مجلس عام(٧) يضم جميع المواطنين . يجتمع ليقرر ما يجب عمله في الحالات الطارئة . وكان لكل مواطن حق الكلام غير ان للمسنين رأيا اكثر وزنا من رأي الاخرين . وكان الاجتماع يستمر حتى يتم الوصول الى قرار نهائي وبالاجماع ويعلن القرار الى الناس من قبل مجموعة صغيرة من المجتمعين في المجلس تعرف بـ (مشرعي القانون) ومن بين الامور التي كان المجلس يجتمع من اجل ان يأخذ قرارا فيها هو اختيار موظف يقوم بالامور الدينية بالدرجة الاولى وبعض الامور الدنيوية ولعل هذا الموظف هو من اوائل الحكام في دويلات المدن السومرية من الكهنة الذين اطلق عليهم المصطلح السومري (اين EN) الذي يعني الكاهن خاصة وان المعتقدات الدينية القديمة تؤكد بان البشر خلقوا لخدمة الالهة وتوفير ما تحتاجه . وان اله المدينة هو ملكها الحقيقي لذلك فان العراقيين القدماء وضعوا كل ثقتهم بالكاهن الاعلى للمعبد والحاكم . اي انه كان يجمع ما بين السلطتين الدينية والدنيوية في الوقت نفسه . وكان يسكن في جناح خاص ملاصق للمعبد يسمى كيبار أو إكيبار . حيث كان المعبد مركز القرية الزراعية ثم المدينة حين تطورت القرى الى مدن ثم الى دولة المدينة حيث اصبح مدار حياتها الدينية والدنيوية . وهناك امثلة كثيرة في القسم الجنوبي في العراق من عصر فجر السلالات حيث كان للكهنة نفوذ واسع . فاصلاحات اوروكاجينا (اورو انيمكينا) ٢٣٥٠ ق . م تعطينا صورة واضحة عن الصراع الذي دار بين الملوك والكهنة حتى انه قلص من نفوذ اولئك الكهنة في اصلاحاته . وفي منتصف الالف الثالث ق . م اتسعت سلطة دويلة المدينة وضمها اكثر من دويلة واحدة زادت واجبات ومسؤوليات الـ (اين) ولم تعد بامكانه القيام بالواجبات الدينية والدنيوية في وقت واحد . حتى بدأ الانفصال بين الوظيفتين في فترة لاحقة من عصور فجر السلالات حين ظهر الى جانب الكاهن حاكم دنيوي مفوض من اله المدينة واطلق عليه المصطلح (انسي Ensi) (بالاكدية ايشاكو) الذي يعني ((وكيل الاله)) أو القائد الذي يشرف على تنظيم الاعمال الزراعية . وانتقل الى قصر خاص مستقل عن المعبد وظل ممثل للالهة على الارض وأدى دوراً في الامور الدينية . وفي اواخر الالف الثالث ق . م ونتيجة

---

(٧) يتألف المجلس العام من مجلسين الاول مجلس المسنين (الاعيان) ويضم الشيبة Sibu وربما كانوا يمثلون روساء الاسر والعوائل بينما يمثل المجلس الثاني المحاربين الشباب (النواب) يضم جميع المواطنين بما فيهم النساء القادرين على حمل السلاح .

لتطور الاوضاع السياسية في البلاد فقد تطلب اختيار احد الاشخاص الاقوياء الذين اتصفوا بصفات القادة لتولي ادارة شؤون المدينة أو الدولة وقت الطواريء والازمات ولا سيما في حالة هجوم احنبي مفاجيء او نتيجة حدوث كوارث طبيعية والتي تحتاج الى اتخاذ القرارات الفورية والحاسمة . وهكذا فان اختيار (اللوكال Lugal) وتعني بالسومرية الرجل العظيم) اي الملك وهو لقب جديد اكثر اجلالا فقد استخدمه بعض الحكام من الذين اقتصرت سلطتهم الى اكثر من مدينة واحدة تم ضمها بعد ذلك بدولة مركزية واحدة . وكانت وظيفة اللوكال مؤقتة في بداية امرها تتحدد بفترة الطواريء وشهدت الفترة السومرية الاولى صراعاً بين الملك والكهنة وهناك امثلة كثيرة عن كهنة كان لهم نفوذ واسع في العراق القديم وبدأت سلطتهم بالتعاظم وخاصة بعد الصراع بين الملوك والحكام والكهنة في نهاية حكم اي ـ اناتم ملك لكش . ولم تعد السلطة الدينية والدنيوية في يد واحدة وهكذا استغل الكهنة ذلك الصراع من خلال سلطتهم الدينية فمارسوا الظلم الاقتصادي على الفقراء والارامل واليتامى غير ان ذلك لم يدم طويلا فقد عادت الدول بسيطرتها التامة . فضربت على ايدي الكهنة . لقد اصبح قصر الحاكم أو الملك يضاهي المعبد الذي كان له الدور الرئيس في بداية امره . في النفوذ والسلطة واصبح اكثر اتساعا في المساحة والتنظيم . ولقد زودتنا التنقيبات الاثارية بصورة مشرفة لتلك القصور من عصور فجر السلالات مثل قصر كيش واريدو وماري والرابع هو القصر الشمالي في تل اسمر (منطقة ديالى)(٨) ومن هنا فقد رجحت كفة القصر أي السلطة الدنيوية على المعبد والسلطة الدينية حيث تركت السلطة الدينية وادارة المعبد بين موظفين خاصين يشرف عليهم الانسي وكانوا مسؤولين امامه يستحصلون الضرائب المفروضة على المواطنين .

وتخبرنا نصوص شروباك (تل فاره) من عصر فجر السلالات الثالث بان الملك المسؤول الديني والدنيوي في الدولة . فقد ادار ممتلكات اله المدينة وكان المسؤول الاول عن الاعمال العامة فارتفع شأنه مما جعل مركزه ساميا أكثر من أي وقت مضى . ومن هنا تظهر حركة استقلال أو انفصال من جانب الملوك عن المعابد واستحوذ على املاكها ووضعوا الضرائب على الطلاق . لقد اعتقد العراقيون القدماء من ان الالهة هي التي تختار الملك واكن حسب العادة المتعارف عليها ينتخب من قبل مجلسين مجلس الشيوخ ومجلس الشباب وكلا المجلسين يسميان

---

(٨) سيتون لويد . المصدر السابق ، ص ٢٨٠

اونكين اي دائرة الشعب وكان المجلسان ـ يجتمعان معاً لاتخاذ القرارات الحاسمة في حالة الطوارىء وقد كان النظام في بداية امره ديمقراطيا الا انه في اواخر عصر فجر السلالات اصبح النظام ملكيا وراثيا مستبداً . ولقد افتخر ملوك العراق القدماء من اختيارهم من قبل الالهة من بين رجال المدينة . وكان الانسي واللوكال يقومان مقام الكاهن الاعلى في الوجبات ويشرفان على بناء المعابد وترينا المنحوتات السومرية كيف ان الملك كان يحمل عدة البناء ويكون في مقدمة الناس باعتباره ممثل الالهة على الارض وكان كلكامش يدعى اول امره بالكاهن الاعلى ثم حمل لقب اللوكال لمدينة الوركاء وهناك كثير من الامثلة حول تعيين زوجات وبنات الملوك بصفة كاهنة عليا للمعبد . فمس ـ انيبدا حاكم مدينة اور عين زوجته كاهنة عليا لمعبد سين بمدينة اور .

لقد نظر السومريون للملك ككاهن اعلى لاله المدينة وممثلا عنه على الارض . وكان والد لوكال زاكيزي كاهنا اعلى في خدمة اله المدينة اوما . وعندما سيطر لوكال زاكيزي على مدينة الوركاء الحق نفسه بكهنتها بدرجة كاهن تطهير لاله السماء (انو) وهو ادنى مراتب الكهنة مما يدل على حرصه لاظهار نفسه بقبول اصغر المناصب مما يدل على الانفصال الكامل انذاك بين وظيفة الملك والكاهن . ومن واجبات الملك انه كان يحكم بين الناس بالعدل ـ ويخبرنا اوروكاجينا بقوله : (لم يترك اليتيم والارملة يقعان ضحية القوي) فالملك ذو صلاحيات مطلقة وان نظام الحكم كان اوتوقراطيا ويمكن نعته بالثيوقراطي على اساس رعاية الملك السومري للشؤن الدينية في عصر فجر السلالات حيث ادى الدين فيه دورا اساسيا . وهناك من الادلة ما يشير من وجود هيئات منبثقة من المجتمع كانت قد ساهمت في الحكم مع الحاكم كما بينا سابقا حيث كانت الفترة الاولى قد تميزت بالنظام الديمقراطي فالملك ممثل الاله على الارض ووكيله بين البشر وان الحروب التي دارت بين دويلات المدن السومرية تصور كحروب بين الهة تلك المدن واعتبر الكثير من الملوك انفسهم ابناء للالهة او ذا علاقة بها . وذلك لاضفاء الشرعية على توليهم الحكم .

السومريون(٩)

بدأ تاريخ السومريين ببداية العصور التاريخية التي تتوافق مع عصور فجر السلالات . وان هناك شعبا سكن منطقة سومر قبل ان يظهر السومريون الى الوجود بمئات او الاف السنين وان المدن السومرية كلها ازدهرت بعد هذا العصر بالفي سنة أي في عصر فجر السلالات مثل لكش والوركاء ونفر واور وغيرها وحتى اريدو التي تعد اقدم مدينة في منطقة سومر كلها كانت تقوم فوق بقايا قرى سكنية من حضارة دور العبيد مما يدل دلالة واضحة من ان هناك شعبا جزريا ذا حضارة اقدم من حضارة العصر السومري سكن هذه المنطقة . ظهر السومريون في عصر فجر السلالات (٣٠٠٠ ـ ٢٣٧٠ ق . م) وسكنوا منطقة سومر جنبا الى جنب مع الجزريين الذين كانوا في المنطقة قبل استيطان السومريين وسبقوهم في تأسيس حضارتهم الجزرية منذ عهد ماقبل التاريخ . عاش الشعبان جنبا الى جنب بسلام تسود بينهما روح المودة والتآلف متعاونين معاً في جميع المجالات الفكرية والاجتماعية والسياسية لصنع حضارة مشتركة على ارض سومر واكد في جنوب العراق واخذ كل منهما الشيء الكثير من الاخر واسهموا في بناء الحضارة العراقية الناضجة المزدوجة المتحدة . ولم يكن لكل منهما حدود طبيعية مما يدل على ان بلاد سومر واكد كانت تؤلف في هذه المرحلة وحدة جغرافية لاتتجزأ . فتلقب ملوكهم بملك سومر واكد وان هناك ملوكا سومريين حكموا في مدن غير سومرية وهناك ملوكا جزريين حكموا في مدن سومرية كما استقرت جماعات من كليهما في المدن الاخرى فهي حضارة واحدة حضارة وادي الرافدين حضارة العراقيين دون تميز بين السومريين والجزريين .

اصل السومريين(١٠)

منذ قرن من الزمن والبحث مستمر لمعرفة أصل السومريين على ضوء اولى مخلفاتهم فمن هم السومريون ؟ وكيف وصلوا الى القسم الجنوبي من السهل الرسوبي ؟ ويخبرنا المرحوم الاستاذ طه باقر من ان السومريين هم احد الجماعات المنحدرة

(٩) حول تاريخ السومريين السياسي والحضاري انظر (١) طه باقر . المصدر السابق . الفصل الخامس ص٢٥٢ وما بعدها . (٢) صموئيل نوح كريمر . السومريون . ترجمة د . فيصل الوائلي . الكويت . ١٩٧٣ . (٣) د . سامي سعيد الاحمد . السومريون وتراثهم الحضاري . بغداد . ١٩٧٥ (٤) صموئيل نوح كريمر . من الواح سومر . ترجمة طه باقرص ٧ .

(١٠) طه باقر . المصدر السابق . ص ٥٦ ـ ٦٤ .

من بعض الاقوام المحلية من شمال بلاد وادي الرافدين في عصور ما قبل التاريخ البعيدة . وانهم عرفوا باسمهم الخاص . اي السومريين نسبة الى اسم الاقليم الذي استوطنوا فيه اخيراً من السهل الرسوبي من العراق في حدود الالف الخامس ق . م او بعد ذلك بزمن قليل فقد استعمل السومريون الرمز الخاص . للجبل والبلاد للتعبير عن مدلول واحد وهو كون استقرارهم المنطقة الجبلية من العراق قبل نزوحهم الى منطقة السهل الرسوبي . ثم ولعهم ببناء الزقورات في معابدهم واهميتها في الديانة السومرية . ووجود الاشجار والحيوانات الجبلية في رسوم اختامهم الاسطوانية ويعتقد بعض المؤرخين من ان السومريين قد وصلوا القسم الجنوبي من العراق في عصر العبيد حيث تظهر بداية عناصر حضارتهم .

فالحضارة السومرية حضارة عراقية اساساً وجوهراً فقد استمرت آثارها حتى بعد افتقار السومريين وانتهاء سلطتهم السياسية من قبل الاقوام التي استلمت السلطة من بعدهم وبالتعاقب .

والسومريون هم سكان البلاد الاصليين الذين اقام اسلافهم اقدم القرى الزراعية في شمال القطر والتي تمثلت في ادوار عصور ما قبل التاريخ . مثل جرمو وحسونة وحلف وسامراء وانهم نزحوا الى الجنوب بعد توفر اسباب العيش لهم هناك . وبدأ تاريخهم ببداية العصور التاريخية التي تتوافق مع عصور فجر السلالات .

فقد اميط اللثام عن الوجه المشرق لحضارتهم بفضل المكتشفات الاثرية في العديد من مدن السهل الرسوبي وخاصة عاصمتهم الدينية نفر التي كانت من اشهر المراكز الثقافية والدينية في تاريخ حياتهم ففي اواخر القرن التاسع عشر تم الكشف بما لايقل عن ٣٠ ألف رقيم طيني مدون باللغة السومرية وبالخط المسماري بشتى صنوف المعرفة وهي تعود الى الفترات الممتدة من منتصف الالف الثالث ق . م وحتى القرون المتأخرة من الالف الاول ق . م . وتوالت التنقيبات في مدن سومرية اخرى منها مدينة كيرسو ((تللو حاليا)) وشروباك ـ (فارة) وادب (بسمايا) وكيش (تل الاحيمر) والوركاء واور . كشفت العديد من المنجزات الحضارية للسومريين في مختلف النشاطات كالعلوم والمعارف والفنون والعمارة والنظم الاجتماعية والسياسية وغيرها من مقومات الحضارة التي اثرت اثراً بارزاً في تقدم شعوب الشرق الادنى القديم . واوجد السومريون اراء وتصورات وافكار في الديانة والاوجه الروحية وقد دخل الكثير من معتقداتهم الدينية الى معتقدات الديانة في

الحضارة الحديثة . وللسومريين نتاج ادبي[11] اصيل معظمه من الشعر وكان له اثره العميق في الاقوام القديمة ولا سيما البابليين والاشوريين وغيرهم . وعنهم وصل اثره الى الحضارة الحاضرة . عرف السومريون باسمهم الخاص بهم (أي السومريين) نسبة الى بلاد سومر ((كي . اين . جي)) (KI EN GI) التي تعني حرفيا بلاد سيد احراش القصب . الذين استطنوا فيه اخيراً في القسم الجنوبي من السهل الرسوبي من العراق في حدود مدينة نفر الى اقصى الاراضي الجنوبية من العراق في حدود الالف الثالث ق . م . او بعد ذلك بزمن قليل . أي التسمية لاحقة للاستيطان ومشتقة من اسم موضع جغرافي ولا تحمل مدلولا قوميا .[12] وكان يجاورهم الى الشمال من هذه المنطقة مباشرة الاكديون (الجزريون) الذين نزحوا من شبه الجزيرة العربية واستوطنوا العراق في وقت مبكر جداً في بلاد اكد من حدود مدينة نفر الى الخط الوهمي هيت ـ سامراء وبلد شمالا . لقد عاش الشعبان جنبا الى جنب وساهموا سوية في بناء الحضارة العراقية منذ القدم . وهكذا لا يمكن التمييز بين السومريين والاكديين عرقياً بل لغويا . فقد اثبتت الدراسات الانثروبولوجية بقايا الهياكل العظمية التي عثر عليها في المدن السومرية تشير الى عدم وجود ما يمكن تسميته بالعرق السومري بل هناك خليط عرقي منذ اقدم الازمنة . ففيها صفات اقوام البحر المتوسط ذات الرؤوس الطويلة وصفات اقوام اوربا الوسطى وبلاد ارمينيا ذات الرؤوس المدورة . ولقد اثبتت المكتشفات الاثرية في تلك المدن ان سكانها من سومريين واكديين كانوا جزءاً من حضارة واحدة هي الحضارة العراقية التي نشأت وازدهرت في القسم الجنوبي من العراق .

ولهذا السبب فنحن نقصد بكلمة ((سومري)) تلك المجموعة من الناس الذين كانوا يتكلمون اللغة السومرية . ونقصد بكلمة ((اكدي)) تلك المجموعة من الناس التي تتكلم اللغة الاكدية (التي تمثل احدا اللغات الجزرية) ولا يمكن ان تكون اللغة مؤشراً مفيداً في البحث عن اصل السومريين حيث ان اللغة السومرية تعد لغة منفردة لا يمكن ارجاعها الى عائلة لغوية حية أو مندثرة . لذلك فقد اعتبر العديد من الباحثين اصل السومريين مشكلة مثيرة للجدل في حين لا يمكن أن يكون

---

(١١) ترك لنا السومريون مأثرهم من اداب واساطير وشعائر وطقوس ومعتقدات تحمل طابعاً محليا ليس غريباً عن بيئة بلاد وادي الرافدين .

(١٢) وهناك الكثير من الاقوام التاريخية التي سميت باسماء المواقع التي حلت فيها مثل الاكديون نسبة الى مدينة اكد والبابليون نسبة الى مدينة بابل والاشوريون نسبة الى مدينة اشور .

هؤلاء الاقوام قد نزحوا من مكان خارج العراق . بل هم اقوام محلية انحدرت من شمال القطر الى الجنوب من السهل الرسوبي بعد ان توفرت لهم سبل العيش وذلك في نهاية العصر الحجري المعدني . وقد اكدت الدراسات على سكنى جنوب العراق من قبل الاقوام الجزرية فنجد صدى حضارتهم وبقاياها بين طيات ما نعرفه عن حضارة السومريين . فبالنسبة الى بعض الباحثين فان السومريين ليسوا بالمستقرين الاوليين في منطقة السهل الرسوبي ولا بخالقي حياة المدينة . ان دخول هذه العناصر الجزرية الى جنوب العراق حتى قبل دخول السومريين اليه امر طبيعي لقرب الصحراء منه والاتصال ما بينهما نتيجة عدم وجود الموانع الطبيعية . ومن المحتمل ان يكون استيطانهم للمنطقة في الالف الخامس قبل الميلاد في الفترة التي اطلق عليها الباحثون اسم دور العبيد ويعرف الطور الاول منه بطور اريدو . وتدل الدراسات التي قام بها العالم ((لاندزبركر)) بان السومريين لم يكونوا اول من استطنوا القسم الجنوبي من العراق بل سبقتهم الى ذلك سكان اخرون يمكن الاستدلال على وجودهم من بعض الاثار المادية أو اللغوية التي خلفوها لنا . وحيث ان الكتابة لم تكن معروفة انذاك لذا من الصعب تحديد هوية تلك الاقوام بشكل دقيق . فاسماء معظم المدن السومرية لم تكن سومرية امثال اور واوروك ولارسا وادب ولكش ونيبور وايسن وغيرها واسمي النهرين العظيمين دجلة والفرات واسماء الكثير من الصناعات والحرف(١٣) منها فكل هذه المفردات والاسماء الدخيلة على اللغة السومرية والاكدية لابد من انها تمثل التراث اللغوي للاقوام التي استقرت في القسم الجنوبي من العراق على اطراف نهر الفرات واطلقنا عليهم مصطلح الفراتيين الاوائل او سكان دور العبيد نسبة الى الاثار المادية التي يعتقد بانها تعود الى هذا الدور . والتي كانت اساساً لنشوء وازدهار الحضارة العراقية القديمة في الفترة السابقة لاستيطان السومريين القسم الجنوبي من العراق . ومن المحتمل ان هؤلاء الفراتيين الاوائل كانوا يضمون عنصراً جزريا أي تلك الاقوام النازحة من شبه الجزيرة العربية قبل هجرة الاكديين للعراق . وان هجره الاقوام الجزرية قد تتابعت في العصور التالية . وفيما يلي قائمة ببعض المفردات التي تعود الى لغة الفراتيين الاوائل والتي ظلت مستخدمة حتى الوقت الحاضر : ـ

---

(١٣) د . عامر سليمان ابراهيم (التراث اللغوي) . حضارة العراق . الجزء الاول . بغداد . ١٩٨٥ ص ٢٧٣ ـ ٣١٨ .

اللفظ بالحرف العربي	اللفظ بالحرف اللاتيني	المعنى
انكار	engar	فلاح
آبن	apin	محراث
نمبار	nimbar	نخلة
سولومب	sulumb	تمر
تبيرا	tibira	نحاس . تعدين
سِمُك	simug	حدّاد . نحّاس
نكَار	nagar	نجار
ملاخ	malaḫ	ملاح
پخار	paḫar	فخار
دمكَار	damgar	تاجر
إشبار	ishbar	حائك
أشكَاب	ashgab.	اسكافي (صانع الجلود)

اللغة السومرية(١٤)

ومع ان لغة الفراتيين الاوائل تمثل لغة اول من استوطن ارض جنوب العراق الا ان اللغة السومرية تبقى اقدم اللغات العراقية بل العالمية من حيث تاريخ التدوين . فتعد من اللغات الملصقة ولا يمكن مقارنتها باية لغة معروفة اخرى لم يكن من المستطاع التوصل الى حل رموزها بسهولة .

ومما ساعد العلماء على معرفة هذه اللغة ومفرداتها هو العثور على مجاميع من النصوص المدونة بالخط المسماري والتي كانت تحمل اللقب الملكي الذي استخدمه عدد من الملوك والحكام الاوائل وهو ملك (بلاد سومر واكد) وعكف على دراستها العالم يوليوس اوبرت في عام ١٨٦٩ م وتوصل بان اللقب سومر كان يطلق على الاقوام السومرية واللقب اكد يطلق على الاقوام الجزرية (الاكدية والبابلية والاشورية) واكدت صحة التنقيبات التي اجريت في مواقع سومرية عديدة في جنوب العراق مثل لكش والوركاء واور ونفر وغيرها . وان اللغة السومرية لغة

(١٤) حول اللغة السومرية وقواعدها انظر د . فوزي رشيد . قواعد اللغة السومرية بغداد ، ١٩٧٢ .

منفردة لا تشبه اللغة الاكدية (البابلية والاشورية) أو غيرها من اللغات المحلية من حيث القواعد والتراكيب والمفردات وحتى الاصوات . بل ان اللغة السومرية لا تنتمي الى اية عائلة من العائلات اللغوية المعروفة حتى الان .

هذا من جملة الاسباب التي جعلت الباحثين يختلفون في تحديد اصل السومريين وموطنهم الاول وظهرت اراء ونظريات عديدة حول ذلك كان جل اعتمادها على اللغة . ويبدوا ان اللغة السومرية هي اللغة الوحيدة التي تنتمي الى عائلة لغوية قديمة انقرضت فروعها قبل ان تبتكر الكتابة كوسيلة للتدوين وعندما وجدت هذه اللغة طريقها للتدوين ظلت منفردة بين بقية اللغات .

ظلت اللغة السومرية لغة تخاطب الاقوام السومرية التي اخترعتها في القسم الجنوبي من العراق منذ اواسط الالف الرابع قبل الميلاد وحتى جزء من الالف الثاني قبل الميلاد في حين ظلت تستخدم لغة للتدوين فترة اطول من ذلك بكثير حتى شملت الالف الاول قبل الميلاد واقتصر استعمالها على تدوين النصوص الدينية أو العلمية ذات الاهمية الخاصة . اما اللهجات السومرية(١٥) فقد ظهرت تحت تأثيرات الظروف المحلية والفترات الزمنية . لقد مرت الكتابة السومرية بثلاث مراحل(١٦) هي : ـ

١ ـ **المرحلة الصورية** : ـ وهي علامات تمثل الاشياء المراد تدوينها أي ان كل صورة تمثل كلمة فمثلا سمكه اكتفي برسم صورتها وهكذا .

٢ ـ **المرحلة الرمزية** : ـ وهي طريقةمختصرة تمكن بواسطتها الكاتب القديم من تدوين الافكار والاشياء المعنوية من رسم صور لها بهيئة مختصرة فاصبحت العلامات لا تعبر عن الشيء الذي تصوره فقط بل تعبر عن افكار ذات صلة بما تمثل تلك العلامة . فاصبحت صورة القدم لا تستخدم لتدوين القدم أو الرجل بل اتخذت لها معاني جديدة اخرى مستمدة من المعنى الاصلي مثل (ذهب ، وقف ، مشى ، قام ، اتى) وهكذا .

---

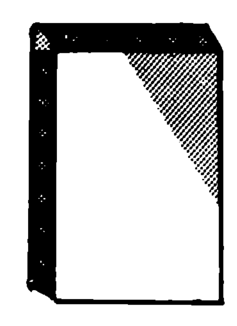
(١٥) د . عامر سليمان ، (التراث اللغوي) حضارة العراق ، الجزء الاول ص ٢٧٨ ـ ٢٨٤

(١٦) حول مراحل تطور اللغة السومرية انظر : ـ
د . بهيجة خليل اسماعيل (الكتابة) حضارة العراق ، الجزء الاول ص ٥٧ ـ ٧٢ .

٢ ـ **المرحلة الصوتية** : ـ وهي آخر مرحلة من مراحل التطور والمقصود بها اعطاء اصوات للعلامات تتناسب ولغتهم مجردة عن مدلولاتها الصورية والرمزية . ولم يتوصل الكاتب العراقي القديم الى الطور الهجائي أي استخدام الحروف الهجائية .

ظلت الكتابة المسمارية مستعملة في التدوين حتى بعد انتهاء اخر الادوار الحضارية في العراق وسقوط بابل عام ٥٣٩ ق . م . ويظهر ان الخط المسماري بقي مستخدما من قبل الكهنة في تدوين ملاحظاتهم حول الفلك الى منتصف القرن الاول الميلادي .

لقد استخدم الخط المسماري لتدوين اللغة السومرية واللغة الاكدية ومن اللغة الاكدية تفرعت لهجتان هما اللهجة البابلية واللهجة الاشورية وقد تفرعت كل منها الى عدد من اللهجات ايضاً .



الفصل الخامس

الأكديون

اهم هجرات الاقوام الجزرية
سرجون الاكدي وخلفاؤه
الكوتيون
حرب التحرير
اهم الخصائص الحضارية والسياسية
للدولة الاكدية

الفصل الخامس

الأكديون

وهم فرع من الاقوام الجزرية التي نزحت من شبه الجزيرة العربية نتيجة للجفاف وضيق الحالة الاقتصادية فيها وقلة موارد العيش وما حل بها من نكبات في فترات مختلفة . وكانت هجرتهم على هيئة جماعات وقبائل وعشائر كبيرة وصغيرة واستقروا سلميا أو بالقوة في الاقاليم المجاورة كوادي الرافدين وسوريا وفلسطين واستقرت جماعات منها في مصر وشمال افريقيا . وقد تميزت الاقوام الجزرية بجملة من السمات التاريخية والسمات السايكولوجية وفي الاعراف والقوانين والتقاليد والمعتقدات الدينية وغيرها ومنهم من كان مزوداً بالخبرة الفنية في الري والزراعة التي مارسوها في وطنهم الاصلي قبل الجفاف . وقد استطاعوا تكوين الامبراطوريات العظيمة والتي سيطرت على بقاع واسعة من منطقة الشرق الادنى القديم . ومما ساعد الاقوام الجزرية المهاجرة الى البلاد المتاخمة للجزيرة العربية هو ان حدود العراق الغربية وحدود مصر الشمالية الشرقية وحدود الاردن مفتوحة للصحراء . فكان في مقدورهم ان يتوغلوا الى الاقطار المذكورة دون ان يصادفهم حاجز جغرافي يصدهم . واخذوا يبنون حياة جديدة في عالمهم الجديد . فتمكنوا في وقت قصير نسبيا من وضع اسس اعظم حضارة عرفها الانسان القديم .

ومن الهجرات الجزرية التي تشير اليها الحقائق التاريخية هي : ـ

آ ـ هجرة الاقوام الجزرية (الفراتيون الاوائل) الالف الخامس ق . م

ب ـ هجرة الاكديين الى وادي الرافدين خلال الالف الرابع ق . م

حـ ـ هجرة الكنعانين ـ الفينقيين والاموريين الى وادي الرافدين وسوريا وفلسطين ولبنان خلال الالفين الثالث والثاني ق . م .

د ـ هجرة الاراميين للمنطقة ايضا خلال القرن الثاني عشر ق . م .

هـ ـ هجرة الانباط وغيرهم قبل الاسلام منذ القرن الثاني ق . م حتى القرن السادس الميلادي .

و ـ واخيراً هجرة العرب المسلمين في القرن السابع الميلادي .

وكان استقرار الاكديين في العراق القديم منذ العصر السرجوني فصاعداً شمال بلاد سومر في المنطقة المحصورة ما بين نفر في الجنوب وخط هيت سامراء في الشمال بما فيها منطقة ديالى والذي اطلق عليه اسم بلاد ((اكد)) الذي كتب بالصيغة السومرية (KI . كي اوري) وبالصيغة الاكدية (مات اكديم) اي بلاد الاكديين وهي تسمية لاحقة لوجود الاكديين . اما عاصمتهم اكد وربما تقع بين اليوسفية وبابل فلم تكشف بقاياها بعد . وتعد لغتهم الاكدية فرعا خاصا من لغات العائلة الجزرية وكانوا يكتبون بالخط المسماري وقد اخذت مكاناً بارزا لكونها لغة الدولة الرسمية الى جانب كونها لغة محكية منذ اقدم الازمان . وفي نفس الوقت انتقل العديد من الفردات السومرية الى اللغة الاكدية . في حين ان السومريين اكتفوا باستعارة عدد محدود من الكلمات الاكدية .

ومن الممكن القول ان التنظيم الاجتماعي والنظامي السياسي الخاص بالاكديين يختلف عن ذلك الذي ارتكزت على اساسه دويلات المدن السومرية . وقد مارس الاكديون النشاط الزراعي وعاشوا جنبا الى جنب مع السومريين في القرى والمدن فشاركوهم في الحياة والديانة والحضارة . وان الاختلاف الوحيد بينهم هو اختلاف لغوي اذ لا يمكن ان يميز هاتين المجموعتين عن بعضهما في اي مجال اخر . فقد كانا يعيشان بسلام جنبا الى جنب . وقد غيرت السيطرة الاكدية على العراق القديم في العصر السرجوني مجريات التاريخ اذ بدأت الملامح الحضارية تتبدل اساسياً من الناحية القومية واللغوية والسياسية . فقد استمر الاحتكاك بين الاكديين والسومريين عندما استوطنوا العراق لعدة قرون تمكن بعدها زعيمهم سرجون الاكدي مؤسس السلالة الاكدية (٢٣٧١ ـ ٢٢٣٠ ق . م) من القضاء على المملكة السومرية التي استطاع لوكال زاكيزي حاكم مدينة اوما من ان يسيطر على عدد من المدن السومرية ويوحدها والتي كانت اول مملكة موحدة ضمت معظم المدن السومرية وكانت تلك اول محاولة ناجحة في التوحيد تلتهامحاولاتناجحة اخرى .

استطاع القائد العظيم سرجون الاكدي من توسيع مملكته فمدها بالفتوح الى خارج البلاد بعد توحيد دويلات المدن السومرية واقام بذلك ما يصح تسميته بالامبراطورية الاكدية والتي كانت اولى الامبراطوريات في الشرق القديم والتي امتدت الى بلاد عيلام شرقا وسوريا غربا وسيطرت على الموانيء الفنيقية وبلاد الاناضول شمالا وامتدت الى جبال الفضة (جبال طوروس) والخليج العربي جنوبا . وهو اول حكم مركزي وحد بلاد وادي الرافدين تحت ادارة سياسية واحدة وقد

ساهمت فتوحاته العسكرية من تأديب القوى المعادية ونشر حضارة بلاد وادي الرافدين الى ارجاء واسعة من العالم القديم . فقد ترك لنا حفيده نرام ـ سين منحوته تمثل انتصاره على الملك الحوري نحتت على واجهة جبل (بير حسين) قرب ديار بكر ومحفوظة الان في متحف اسطنبول كما سجل نرام ـ سين انتصاراته على اللولوبو الذين كانوا يشكلون تهديداً مستمراً للحدود العراقية من منطقة لورستان وقد تعاقب في حكم الدولة الاكدية خمسة ملوك هم (سرجون ، وريموش ، ومانشتوسو ، ونرام ـ سين ، وشاركالي ـ شاري) .

سرجون الاكدي (٢٣٧١ ـ ٢٣١٦ ق . م)

اعتلى سرجون العرش باسم شروكين Sharru - ken أي الملك الصادق أو الملك الشرعي وهو مؤسس السلالة الاكدية وقد استمر حكمه خمسة وخمسين عاماً ثبت خلاله بانه كان قائداً عسكريا واداريا من الطراز الاول . وانه حقا من الشخصيات التاريخية المعروفة . وظل اسمه عالقا في اذهان الكثير الى درجة ان بعض الملوك الاشوريين تسموا باسمه ميخبرنا سرجون على لسانه في احد نصوصه عن اصله بانه مجهول الاصل وان امه كانت كاهنة عظمى وانه لم يكن يعرف اباه مما اضطر امه ان تضعه في سلة مغطاة وتلقيه في النهر فانتشله بستاني اسمه (اكي) رباه وعلمه البستنة وعندما بلغ اشده احبته الالهة عشتار واعجبت به فمنحته الملوكية . فهذه القصة تشبه اسطورة ولادة النبي موسى عليه السلام المشهورة في التوراة .

ظهر سرجون الاكدي في مدينة كيش حيث بدأ حياته فيها وكان من مقربي الملك اور ـ زبابا ملك المدينة ، واستطاع سرجون الاستئثار بالسلطة فالتف حوله العراقيون فشكل منهم جيشا فتح به المدن المجاورة لمدينة كيش ، ووحد البلاد واصبحت مدينة اشور ونينوى من المراكز الادارية المهمة منذ وقت مبكر . وتم العثور على بعض الاثار الاكدية منها رأس من البرونز يمثل سرجون أو حفيده نرام ـ سين ، ثم فتح الاقطار المجاورة مثل الاناضول وسوريا وفلسطين وسواحل البحر المتوسط وفتح عيلام ومنطقة الخليج العربي وصارت منطقة الشرق الادنى تحت حكمه في امبراطورية شاسعة الاطراف . لهذا يعد بحق واحدا من اعاظم القادة السياسيين والعسكريين في التاريخ القديم . وتشير النصوص المسمارية الى اعماله العسكرية وعن انتصاراته وانه استطاع احكام سيطرته من الخليج العربي الى البحر المتوسط .

لقد اتخذ سرجون مدينة اكد عاصمة له وهي العاصمة الوحيدة التي لم يعرف موقعها بصورة اكيدة ولعلها تقع بين مدينة سپار « ابو حبة » في اليوسفية ومدينة بابل .

وتنسب النصوص المسمارية المتأخرة الى ان امبراطورية سرجون توسعت الى اسيا الصغرى . فقد قام بحملة عسكرية على مدينة كانيش (كول تبه) في كبدوكيا في اسيا الصغرى انتصاراً لجالية اكدية كانت تتعامل فى الصوف والفضة وتعرضت لاضطهاد احد الحكام المحليين فيها فاخذ سرجون بثأرها . فازدهرت التجارة الخارجية في عهده مع الاقطار وكانت التجارة مع الخليج العربي وقد وصلت اوج عظمتها حيث كانت السفن من دلمون (البحرين) ومكان (عمان) وملوخا (بلاد السند) ترسو في المرفأ امام مدينة اكد حتى انه تمكن من الوصول الى قبرص وكريت . وبعد وفاة سرجون تبعه خلفاؤه ريموش ثم مانشتوسو وقد بذل كل منهما قصارى جهده للابقاء عى كيان الامبراطورية الشاسعة الى ان تولى الحكم الملك نرام ـ سين (محبوب سين) (٢٢٩١ ـ ٢٢٥٥ ق . م) الذي يعد بحق من اعظمهم واكثرهم شهرة ـ فقد استطاع نرام ـ سين من اعادة فتح الاقطار التي كانت تحت حكم سرجون واخضاعها ثانية واضاف اليها مقاطعات جبلية جديدة كمنطقة اللولوبيين في جبال زاكروس واخضع العيلاميين وقد خلد نرام ـ سين فتوحاته هذه على مسلة كبيرة من الحجر تمثله وهي في مقدمة جيشه في منطقة جبلية وعرة ويحمل القوس والرمح ويلبس خوذة مقرنة ويصعد جبلا شاهقا وقد تساقط تحت قدميه جنود الاعداء وتعرف هذه المنحوتة باسم مسلة النصر ومحفوظة اليوم بمتحف اللوفر بباريس ، وقد وجدتها البعثة الفرنسية قبل اكثر من نصف قرن في سوسة عاصمة عيلام . وكانت هذه المسلة ضمن مانهبه العيلاميون بعد غزوَهـم البلاد في اواخر حكم الكشيين .

وقد قام نرام ـ سين باعمال عمرانية واسعة فنظم الحياة الاجتماعية في البلاد وجعل اللغة الاكدية لغة رسمية للبلاد . ويعتبر نرام ـ سين اخر ملك قوي للسلالة الاكدية ، وقد عد الاها وعبد في حياته وتصفه المصادر بل وتضع أمام اسمه اشارة الاله .

وترسمه المنحوتات وعلى رأسه الخوذة بالقرنين (رمز الالوهية) . وفي اواخر عهده بدأ الاضطراب في البلاد وعند وفاته اعتلى العرش ابنه وخليفته الملك شار ـ

كالي ـ شاري (٢٢٥٤ ـ ٢٢٣٠ ق . م) الذي لم يكن قادرا على مجابهة الاخطار المحدقة بالبلاد . ولا سيما بالنسبة لتغلغل الاقوام الهمجية الكوتية التي كانت تستوطن اواسط جبال زاكروس في منطقة همدان .

الكوتيون (الفترة المظلمة الاولى) : ـ

كانت هذه القبائل البربرية تتحين الفرص للانقضاض على مراكز الحضارة العراقية في القسم الجنوبي من العراق . وعلى الرغم من محاولات الملك الاكدي شار ـ كالي ـ شاري لدرء الاخطار المحدقة بالبلاد . فقد انهارت الدولة الاكدية اثر هجوم هذه الاقوام الهمجية وتعد فترتهم (٢٢١١ ـ ٢١٢٠ ق . م) من الوجهة التاريخية اولى الفترات المظلمة في تاريخ العراق القديم . فهي فترة تتميز بندرة الكتابات التاريخية وبالغموض الذي يكتنف الاوضاع السياسية التي تمخضت عنها الاحداث كما تشير الى ذلك جداول الملوك السومرية الى فترات حكم واسماء واحد وعشرين من اطلق عليه ملكاً في فترة الكوتيين الذين اقتبسوا اصول الحضارة السومرية والاكدية وتكلموا اللغة الاكدية وكتبوا بها اخبارهم القليلة حتى انه لم يكن يعرف (من هو الملك ؟ ومن هو غير الملك ؟) وهكذا توقفت عجلة التقدم الحضاري في كافة المجالات ويظهر ان سيطرة الكوتيين كانت متمركزة في المدن الاكدية (القسم الشمالي) على وجه الخصوص وبقيت المدن السومرية تتمتع بشيء من الحرية السياسية والتجارية ومما يؤيد ذلك قيام سلالة سومرية في مدينة لكش والتي تعرف بسلالة لكش الثانية التي اشتهرت باميرها كوديا وقد كشفت التنقيبات الاثارية عن بعض التماثيل الحجرية الخاصة به منقوش عليها بنصوص مسمارية وعلى الكثير من المخاريط الطينية والاسطوانات التي حوت على كتابات مطولة دونت باسلوب ادبي تشير الى اعمال كوديا العمرانية وجهوده في صيانة مالا يقل عن خمسين معبداً من معابد الالهة وكان من ابرزها معبد اي ـ ننو (معبد الخمسين) الخاص بننكرسو اله مدينة لكش .

اما اسباب سقوط الدولة الاكدية هو ان السلطة تركزت بيد الملك بدلا من النظام الثيوقراطي السومري وقد ادى ذلك الى حدوث تناقضات حادة بين القصر والمعبد وكان للكهنة دور كبير في ذلك فقد سادت الاضطرابات بعد حكم الملك نرام ـ سين مما ساعد الاقوام الكوتية الغازية من دخول البلاد بعد ان دمروا واحرقوا الكثير من المدن الاكدية واتصفت فترة السيطرة الاجنبية بالضعف واللامركزية مما

شجع دويلات المدن السومرية في منطقة السهل الرسوبي من استعادت نشاطها وسلطانها السياسي ثانية . فتمكنت من القضاء على الغزاة الكوتيين الاقوام البربرية التي لاتعرف الحضارة كما وصفتهم النصوص المسمارية .

حرب التحرير

في حدود عام ٢١٢٠ ق . م ظهر في مدينة الوركاء زعيم سومري هو الحاكم أوتوحيكال الذي تمكن من دحر اخر حكام الكوتيين واعترف به بحق في مدينة نيپور كملك للجهات الاربعة . وعندما دحر العدو الاجنبي حاول ملك الكوتيين تريكان ان يلوذ بالفرار ولكنه لم يفلح إذ إلقي القبض عليه وجاءوا به ليركع عند قدمي القائد السومري اوتوحيكال(١) . ويظهر ان هذا الانتصار العظيم الذي حققه اوتوحيكال قد اقترن بحدوث خسوف للقمر في البلاد في الرابع عشر من شهر تموز في عام ٢١٢٠ ق . م ولذلك اتخذ المنجمون والعرافون من هذا الحدث التاريخي العظيم فالاً دونوه في كتب العرافة . وذكر اوتوحيكال كيف ان الكوتيين قد فصلوا النساء عن ازواجهم وسرقوا الاطفال من ابائهم واقاموا العداوة والعصيان في البلاد ... . لقد تُمكن اوتوحيكال من طرد الاعداء الغزاة وتوحيد البلاد تحت زعامته ولو لفترة قصيرة حيث تمكن حاكم مدينة اور انذاك اورنمو الذي استطاع ان يستقل بمدينته ويؤسس سلالة جديدة تمكنت من القضاء على اوتوحيكال وبقية الحكام المستقلين واعاد وحدة البلاد السياسية بتأسيس اول امبراطورية سومرية واسعة الارجاء عرفت باسم امبراطورية اور الثالثة وكانت نهايتها تمثل اخر ادوار السومريين السياسية وقمة ماوصلت اليه الحضارة السومرية من تقدم وازدهار .

اهم الخصائص الحضارية والسياسية للدولة الاكدية :ـ

١ ـ بدأت هجرة الاقوام الاكدية الى جنوب العراق منذ الالف الرابع ق . م وعاشت الى جانب السومريين واثرت وتأثرت بهم حضاريا . غير ان تأثير الاكديين الحضاري لم يظهر بشكل واضح الا بعد ان استلم الاكديون زمام السلطة على البلاد واصبحت الدولة التي اقامها سرجون (٢٣٧١ ـ ٢٢٣٠ ق . م) تضم تحت نفوذها جميع الدويلات والمدن السومرية وكانت اول محاولة ناجحة لتأسيس

---

(١) حول تفاصيل حرب التحرير التي قادها اوتوحيكال ضد الحكم الكوتي في العراق انظر د . فاضل عبد الواحد . اقدم حرب تحرير عرفها التاريخ ، سومر ٣٠ (١٩٧٤) ص ٤٧ ـ ٥٨ .

دولة القطر الواحد التي ما لبثت ان اصبحت امبراطورية واسعة شملت اقاليم وبلدان تقع خارج حدود العراق القديم (بلاد سومر واكد) . ويمثل هذا الاتجاه الجديد في السياسة ونظام الحكم الذي اتبعه العراقيون القدماء . ولا سيما في العهود البابلية والاشورية التالية . وغدت سياسة الدولة باتجاه توحيد ارض الرافدين وارساء قواعد الدولة المركزية المثل الاعلى لعدد كبير من الملوك العراقيين القدماء مثل حمورابي ومن بعده الملوك الاشوريين والبابليين الذين تعاقبوا على حكم المنطقة فالبرغم من اتساع الامبراطورية الاكدية الا ان معلوماتنا عن القانون والنظم والقواعد القانونية ضئيلة جداً لعدم العثور على اية مجموعة قانونية أو اصلاحات تعود لهذه الفترة .

٢ ـ انتشار اللغة الاكدية وهي تسمية مشتقة من اسم الاقوام الاكدية وهي اول الاقوام الجزرية المعروفة التي استوطنت اواسط وجنوب العراق منذ مطلع الالف الثالث ق . م . وبدأ استخدام اللغة الاكدية اللغة الرسمية في البلاد الى جانب اللغة السومرية والتي استخدم في تدوينها الخط المسماري ايضا الذي ابتدعه السومريون .

وما لبثت ان انتشرت اللغة الاكدية بين السكان واصبحت لغة تخاطب الكثير منهم . وهي تمثل الفرع الشمالي الشرقي من عائلة اللغات الجزرية وتضم مجموعة كبيرة من اللغات المهمة التي انتشرت وسادت معظم انحاء الشرق الادنى القديم منذ اقدم عصوره التاريخية وحتى الان وهي اللغة الاكدية . بلهجتها البابلية والاشورية المختلفة واللغة الكنعانية . بلهجاتها الاوغاريتية والعبرية والفينيقية . واللغة الارامية . بلهجاتها الارامية القديمة وارامية الدولة والارامية الحديثة والنبطية والمندائية . واللغة العربية الشمالية والجنوبية وبعض لغات الحبشة . وتختلف اللغة الاكدية تمام الاختلاف عن اللغة السومرية سواء من حيث تركيبها واصواتها أو صياغة مفرداتها واساليبها النحوية .

وقد حلت اللغة الاكدية محل اللغة السومرية في جميع المجالات ولم تعد اللغة السومرية تستخدم الا في الامور الدينية وبعض النصوص الخاصة . واستمر استخدام اللغة الاكدية في العراق القديم حتى نهاية العصر البابلي الحديث كما شاعت في البلاد النظم والتقاليد ذات الاصول الجزرية غير ان سيطرة الاكديين السياسية وانتشار حضارتهم لا يعني ان الحضارة السومرية كانت قد انتهت وحل محلها حضارة جديدة . بل ان جميع الادلة تشير الى استمرار الحضارة السومرية

وامتزاجها بالحضارة الاكدية وانصهارها ببوتقة واحدة هي بوتقة الحضارة العراقية القديمة . حتى عاد من الصعب على المرء التمييز بين ماهو سومري وبين ماهو اكدي .

٣ ـ اتخذ الملوك الاكديون القابا جديدة اضافة الى ((ملك بلاد سومر)) تدل على سعة سلطانهم وامتداد نفوذهم السياسي الى الاقطار المجاورة مثل لقب ((ملك العالم)) (شار ـ كيشاتي) و ((ملك الجهات الاربعة)) باللغة الاكدية (شاركبرات اربعيم) وهو لقب بالاضافة الى كونه مظهراً من مظاهر اتساع السلطة وازدياد رقعة المملكة . فانه ذو مدلول ديني لتثبيت السلطان السياسي . فقد كان لقبا من القاب بعض الالهة العظام مثل انو وانليل وشمش بصفتهم اسياد الخليقة والكون وان استخدامه من قبل الملوك الاكديين يدل على انهم صاروا ممثلين لهؤلاء الالهة في حكم البشر على الارض .

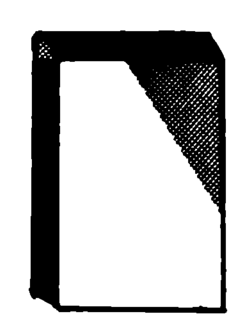
٤ ـ اتصفت السياسة الداخلية التي سارت عليها الدولة بالمركزية والاعتماد على الحكام الاكديين في ادارة شؤون الاقاليم والمقاطعات التابعة لها وتقليص نفوذ الحكام لمنع تعاظم قوتهم ومن ثم تهديدهم للسلطة المركزية والعودة الى التجزئة التي سادت البلاد قبل حكم سرجون وكان كل حاكم يزود بقطعات عسكرية كفوءة قادرة على المحافظة على الامن والاستقرار في حدود المقاطعة كما كان بعض افراد الاسر الحاكمة المحلية يؤخذون رهائن لدى البلاط الملكي في العاصمة اكد زيادة في الحيطة والحذر من اي تمرد او عصيان قد تقوم به الاسر المحلية الحاكمة .

ومن دراسة النصوص المسماوية لهذه الفترة ومتابعة الاحداث السياسية التي وقعت انذاك يظهر بما لا يقبل الشك بانه لم يكن هناك صراع قومي بين السومريين والاكديين وان الاجراءات التي اتخذها الحكام الاكديون في قمع واخماد بعض التمردات التي قامت في بعض المدن التابعة للدولة الاكدية لم تقتصر على المدن السومرية بل شملت المدن التي يمثل غالبية سكانها من الاكديين . ويظهر كذلك ان السومريين والاكديين كانوا يعيشون جنبا الى جنب دونما تمييز عرقي . وقد اعتمد سرجون بالدرجة الاولى على اتباعه الذين اقطعهم الاراضي . وذكرت الوثائق التي خلفها ان اهل بلاطة سكنوا فيما لا يقل عن خمسة اميال مربعة حول قصره . وان حرس قصره بلغوا ٥٤٠٠ جندي كانوا يأكلون يومياً على مائدته .

٥ ـ وفي عصر سرجون حدثت اول محاولة من اقدم المحاولات لتقريب اسماء الشهور في المدن العراقية القديمة من بعضها البعض تمهيداً لتوحيد التقاويم فيها بعد

ان كان لكل دويلة مدينة في العصر السابق تقويمها الخاص واسماء اشهرها واعيادها الخاصة .

٦ ـ اما سياسة الدولة العسكرية فان سرجون اول من اوجد نظام الجيش الدائم واحدث تغيرات اساسية في اساليب القتال والسلاح واستخدام سياسة الفتوح العسكرية ضماناً لامن دولته . وقد وصل بها من سواحل البحر المتوسط الى سواحل الخليج العربي والتي كان لها دور حضاري مهم هو نقل التراث الحضاري العراقي القديم ومقومات الحضارة العراقية القديمة الى البلدان والاقاليم التي تم فتحها بل وتجاوزها الى المناطق البعيدة الاخرى الى اسيا الصغرى وجزر البحر المتوسط ولعل ابرز تلك المقومات هو انتشار الخط المسماري في عدد من البلدان الواقعة خارج حدود العراق وكذلك انتشار العديد من القصص والاساطير والمعتقدات الدينية العراقية القديمة الى تلك البلدان . كما تأثر الاكديون بالوقت ذاته ببعض المظاهر الحضارية المحلية في البلدان المفتوحة والمجاورة ونقلوا بعضها الى العراق .



الفصل السادس

عصر النهضة السومرية
سلالة اور الثالثة وتكوين الامبراطورية السومرية

اورنمو مؤسس السلالة
خلفاء اورنمو
زحف الاقوام الامورية من الغرب

عصر النهضة السومرية
(سلالة اور الثالثة ٢١١٣ ـ ٢٠٠٦ ق . م)

بعد سبع سنوات من حكم اوتوحيكال بطل التحرير حاكم مدينة الوركاء ، استطاع أحد رجاله وهو اورنمو حاكم مدينة اور من السيطرة على الوضع السياسي واتخذ لنفسه الالقاب التالية « ملك اور ، ملك سومر وأكد » واسس بذلك سلالة اور الثالثة ٢١١٣ ـ ٢٠٠٦ ق . م ومالبث ان سيطر على جميع المدن السومرية والاكدية خلال فترة قصيرة وامتد نفوذه الى بعض البلدان والاقاليم المجاورة فأعاد بذلك وحدة البلاد وقضى على الانقسامات الموجودة فيها . ولم يكتف اورنمو وخلفاوه بتأسيس اول امبراطورية سومرية تضاهي الامبراطورية الاكدية بطولها وعرضها ، بل وضمنوا لوادي الرافدين ايضا قرنا كاملا من السلم والازدهار . بعد عصر نهضة لامثيل له في كل ميادين الفن والادب السومري استمر اكثر من مائة عام فشيدت المعابد الفخمة واقيمت لها الزقورات العالية ودونت كثيراً من الاساطير واخبار الملوك واعمالهم . وكانت نهاية سلالة اور الثالثة نهاية لتراث السومريين السياسي حيث لم تظهر لهم اية سلالة حاكمة بعد ذلك . غير ان سموهم الحضاري ظل مستمراً في حضارة العراق القديم لقرون طويلة .

اورنمو (٢١١٣ ـ ٢٠٩٥ ق . م)

وهو مؤسس السلالة التي بلغ عدد ملوكها خمسة حكموا اكثر من مائة عام اشتهرت بتعمير البلاد واعلاء مجد السومريين باعادة اللغة السومرية الى البلاد والتداول بها وتقديم الالهة السومرية القديمة على غيرها من الالهة واقامة الشعائر والطقوس الخاصة بهم . فقد اعيدت مدينة اور في عهده وتم تسوير العاصمة البيضوية الشكل التي اطلت على نهر الفرات بمينائها ذي الارصفة الواسعة . وقد تقدمت الحضارة السومرية في هذا العهد تقدما محسوساً . فلم يكتف اورنمو بتوحيد مدن العراق القديم بل فتح اجزاء مهمة من اقطار الشرق القديم من بينها بلاد أشور وعيلام وسوريا والاجزاء الشرقية من اسيا الصغرى ومنطقة الخليج العربي .

وكان عصر اور الثالثة ابتداء من عهد اورنمو يمثل فترة نهضمة اللغة السومرية كما يتبين من الاف الوثائق المدونة بالسومرية . اكثر من مائة الف نص مسماري من فترة اور الثالثة وقد ترجم ونشر ما يقرب من عشرين الف نص منها وهي تمثل عقود البيع والشراء والمستندات المالية وجداول الرواتب والحسابات وغيرها .

وانتشرت التجارة حتى ظهرت علاقات مع اقطار خارجية مثل دلمون ومكان وملوخاً وعم الرخاء الاقتصادي في البلاد بعد ان عم الامن والاستقرار وقويت الحكومة المركزية . واتخذ اورنمو لقباً جديداً هو . ملك سومر واكد . الى جانب اللقب . ملك الجهات الاربع .

حكم اورنمو ثماني عشرة سنة قضاها باهتمامه بتوحيد البلاد وتوسيع سلطانة وبانجاز عدة مشاريع عمرانية كبيرة في مقدمتها زقورة المدينة وتم العثور على العديد من تماثيل الاسس النحاسية وهي تمثل الملك اورنمو واقفا وعلى راسه سلة فيها التراب ليضع حجر الاساس للمباني التي شيدها . وقد وصلنا قانونه(١) الذي يعد من اقدم القوانين المعروفة في العالم القديم والمكتشفة لحد الان . فقد عثر على رقيم طيني في مدينة نفر يحمل جزءاً من المقدمة وبضعة مواد (لاتتجاوز الخمسة) وتم العثور على رقيم اخر في مدينة اور وهو يكمل القانون وهكذا امكن قراءة ما يقرب من اثنين وعشرين مادة قانونية اضافة الى اجزاء كبيرة من المقدمة .

ويعتقد ان القانون كان يتضمن في هيئته الكاملة اكثر من ثلاثين مادة قانونية . وقد دون بالخط المسماري وباللغة السومرية . ورغم كون الكتابات المسمارية من عهد اورنمو لاتضع اشارة الالوهية امام اسمه ولكنه يظهر انه عبد في مدينة اور . واعتبر ابنه شولكي واولاده انفسهم الهة في حياتهم وربما بدأ هذا الاتجاه منذ نهاية حكم اورنمو حيث وردت اسماء ملوك السلالة وامامهم اشارة الالهة ويلبسون في الصور الخوذ ذات القرنين ويقدم لهم نوع من النذور بنفس الطريقة التي يقدم بها الى الالهة مع ترتيل لهم . وكان عهد شولكي ابن وخليفة مؤسس السلالة الذي دام عهده مدة سبع واربعين سنة (٢٠٩٤ ـ ٢٠٤٨ ق . م) زاخرة بالاعمال العمرانية ولا سيما تشييد المعابد والزقورات اضافة الى الاعمال العسكرية التي وجهها تجاه الاقاليم التي تمردت ضده بعد وفاة ابيه في منطقة جبال زاكروس وذلك في سنة حكمه

---

(١) حول قانون اورنمو انظر ، د . عامر سليمان . القانون في العراق القديم ، الموصل . ٩٧٧ ص ١٩١ ـ ١٩٧ وكذلك د . فوزي رشيد ، الشرائع العراقية القديمة . بغداد . ١٩٧٩ . ص ٣٣ ـ ٣٦ .

الثانية والعشرين . وكانت سياسته اكثر دبلوماسية من سياسة والده اذ زوج بناته من حكام المقاطعات المجاورة ولقب نفسه ملك الجهات الاربع (ملك العالم) وعبدكأله اثناء حياته وبعد مماته ايضاً واصبح يعرف باسم « الملك الاله » وخصص لنفسه الكهنة والمعابد كما اطلق اسم (شولكي المقدس) على احد اشهر السنة كما ادخل نظاماً موحداً للتقويم حيث صار يقرر في مدينة اور العاصمة اسم السنة الرسمي ثم يعمم في كافة ارجاء الامبراطورية كما جعل الموازين والمكاييل على قياس واحد . وتم العثور على نماذج منها منقوشة بكتابة قصيرة بأسم الملك ومقدار الوزن وهي مصنوعة من الحجر على هيئة البط . رؤوسها ملتفة الى الوراء . وقد تم العثور على العديد من تماثيل النحاس تمثله حاملا سلة التراب ليضع حجر الاساس للمباني التي شيدها او التي اكمل بناءها وتشير النصوص المسمارية الى انه كان مولعا بالكتابة والتأليف ومغرماً بالعزف على عدد من الالات الموسيقية حتى انه عرف بلقب الموسيقار الملك . وقد توفي شولكي بعد ان حكم ٤٧ سنة ووجد له في مدينة اور مرقد ضخم مبني بالاجر يتكون من عدة اقبية .

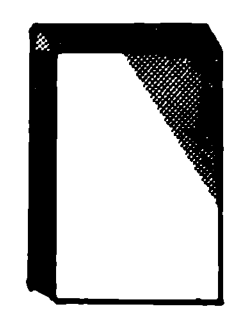
ويستدل من اسماء الحكام والاشخاص ان السومريين كانوا يعيشون بسلام وأمان مع الاكديين دونما تمييز عرقي ، حتى ان اسماء سلالة اور الثالثة ، التي تعد اخر سلالة سومرية حكمت في العراق القديم خاصة مؤسس السلالة أورنمو وابنه شولكي كانت اسماء سومرية . في حين ان بقية اسماء السلالة هم امار ـ سين وشو ـ سين وابي ـ سين هي اسماء اكدية .

وقد جهزت بعض الحملات العسكرية لاخضاع المقاطعات الشرقية التابعة لامبراطورية اور الثالثة في عهد ملكها امار ـ سين (٢٠٤٧ ـ ٢٠٣٩ ق . م) أبن شولكي لتثبيت السيطرة عليها . واستمرت في عهده الذي دام تسع سنوات النشاطات العمرانية في المدن السومرية والاكدية وعندما توفي دفن الى جانب والده شولكي في ضريح تحت الارض وخلفه في الحكم ابنه شو ـ سين (٢٠٣٨ ـ ٢٠٣٠ ق . م) الذي حكم تسع سنوات ايضا شغلها مثل اسلافه في مشاريع البناء والتشييد والحملات العسكرية . وفي السنة الرابعة من حكمة بدأت بوادر اندفاع الاقوام الامورية القادمة من سوريا على طريق الفرات وقد بنى سوراً دفاعياً ضخماً سماه (سور امورو) كما تشير النصوص المسمارية . وهي القبائل البدوية التي كانت تجوب ارجاء بادية الشام لرعي مواشيها في سهوب وادي الرافدين . وقد احتفظ السومريون بعلاقات وثيقة معهم .

ثم تولى الحكم من بعده ابنه ابي ـ سين عام (٢٠٢٩ ق . م ـ ٢٠٠٦ ق . م) آخر ملوك سلالة اور الثالثة وقد حكم (٢٤) سنة قضاها في ايقاف زحف الاموريين القادمين عن طريق ماري (تل الحريري) على الفرات الاوسط . وضعفت اخيراً سلطة هذا الملك وكانت بداية ضعف وتدهور الامبراطورية ومن ثم انهيارها . ومع ذلك تدل النصوص المسمارية المكتشفة من ان هذا الملك قام في سنوات حكمه الاولى بتجهيز عدد من الحملات العسكرية الى الاقاليم الجبلية في المنطقة الشمالية الشرقية من البلاد . وفي نهاية حكمه استقلت بعض البلدان وعم الاضطراب السياسي والفوضى في المدن التابعه لسلالة اور الثالثة واستقلت عن السلطة المركزية في اور . بالاضافة الى ذلك فقد عم التدهور الاقتصادي في البلاد فارتفعت الاسعار ارتفاعاً فاحشاً وكان ذلك من جملة اسباب سقوط هذه السلالة . وقد استغل العيلاميون هذا الارتباك والفوضى فقاموا بهجوم مباغت على مدينة اور وانهوا سلالتها الحاكمة واستحوذوا عليها واحرقوها وخربوا البلاد تخريبا كاملا وانسحبوا منها بعد ان تركوا فيها حامية عسكرية صغيرة . وقد دونت الاشعار المحزنة في رثاء هذه المدينة المجيدة وهكذا كانت سلالة اور الثالثة ونهاية العصر السومري الاخير في نحو عام ٢٠٠٦ ق . م . وانتهى حكم السومريين نهائياً حيث لم تنشأ بعد سقوطها سلالة سومرية حاكمة . ورغم سقوط سلالة اور الثالثة وزوال سلطة السومريين السياسية الا ان تراثهم استمر الى اخر ادوار حضارة وادي الرافدين .

كانت سلالة اور الثالثة تمثل فترة انتعاش سياسي واقتصادي وعمراني . ففي هذه المرحلة نشطت الحركة العمرانية وخاصة في مجال بناء المعابد . فأصبحت الزقورة التي عرفت في (العصر الشبيه بالكتابي) تمثل مرحلة تطور للمعابد التي كانت تقام فوق المصطبة .

واستطاعت الاقوام الامورية (الجزرية) في الغرب بهجوم على المدن الغربية من انبلاد وتمكنت من السيطرة عليها ومن ثم على معظم المدن العراقية التي كانت تابعة لسلالة اور الثالثة وتم طرد الوحدات العسكرية العيلامية التي تركت في اور . وبأنهيار سلالة اور الثالثة تجزأت البلاد ثانية واستقل عدد من الحكام الاموريين في مدنهم التي سيطروا عليها فاستقل اشبي ـ ايرا في مدينة ايسن واستقل نبلانم في مدينة لارسا وكذلك استقلت بلاد اشور وهكذا عاد الوضع السياسي للبلاد الى سابق عهده في عصور فجر السلالات من انقسام وتعدد في السلالات الحاكمة التي عاصر بعضها البعض . وكان ذلك بداية لما يعرف بالعصر البابلي القديم ونهاية الكيان السومري .



الفصل السابع

العصر البابلي القديم

من هم الاموريون
السلالات الامورية
حمورابي وعصره الذهبي
موجز الخصائص الحضارية
للعصر البابلي القديم
الكشيون (الفترة المظلمة الثانية)
بلاد بابل بعد فترة الغزو الكشي
سلالة ايسن الثانية (سلالة بابل الرابعة)

الفصل السابع
العصر البابلي القديم

يطلق اسم العصر البابلي القديم على الفترة الزمنية المحصورة ما بين سقوط سلالة اور الثالثة عام ٢٠٠٦ ق . م وبين نهاية سلالة بابل الاولى ١٥٩٥ ق . م (حيث دامت اربعة قرون) تألفت فيها عدة دويلات امورية (جزرية) تمكنت من دخول البلاد من جهة الغرب واستقرت في مدن مختلفة احداها في ايسن (ايشان البحزيات حاليا) والاخرى في لارسا (السنكرة) والثالثة في بابل واستقلت اوروك (الوركاء) واشنونا (تل اسمر) شرقي دجلة من ضمنها « يموت بعل » واشور (قلعة الشرقاط) . كما حكم في مدينة ماري (تل الحريري) ومنطقة عانة (Ḫanat) (خانه القديمة) وغيرها من سلالات مستقلة وهكذا عادت البلاد الى نظام الممالك الصغيرة ودويلات المدن الذي كان اول نظام عرفه العراق القديم .

ظهرت الصراعات بين تلك الدويلات التي عرفت « بدويلات المدن الثانية » استناداً الى الوضع السياسي العام الذي عم البلاد في هذه الفترة . واستمر الوضع كذلك حتى تمكنت سلالة بابل الاولى من توحيد تلك الدويلات على يد ملكها السادس حمورابي الذي استطاع خلال فترة حكمه من بناء صرح الامبراطورية البابلية التي ضمت جميع اجزاء بلاد وادي الرافدين بما فيها بلاد اشور كما فتحت بلاد عيلام في الشرق ومدن بلاد الشام في الغرب . وتمكن حمورابي من انهاء عهد التجزئة ودويلات المدن الذي حل بعد سقوط سلالة اور الثالثة واعاد للبلاد وحدتها بتأسيس امبراطورية واسعة الارجاء والتي اعتمدت المركزية في سياستها الداخلية الى درجة كبيرة .

من هم الأموريون

الاموريون(١) هم فرع من الاقوام الجزرية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية متجهة نحو بوادي الشام والعراق وتوغلت جماعات منها سلمياً الى وسط وجنوب العراق منذ نهاية الالف الثالث واوائل الالف الثاني قبل الميلاد عن طريق الفرات بشكل افراد وجماعات مسالمة منذ العصر الاكدي وما قبله تدفق الاموريين الى العراق في اواخر سلالة اور الثالثة وهناك ما يدل على وجود اعداد كبيرة منهم كانت تعمل في المعابد العراقية القديمة وبعضهم يعمل في الجيش واخرين باعمال خدمية اخرى. وتمكنت جماعات منهم من السيطرة سياسياً على عدد من المدن التابعة لامبراطورية اور الثالثة وشكلت دويلات مدن امورية متعاصرة ومتحاربة لكل منها نظامها الخاص وسلالتها الحاكمة. عرفت بدويلات المدن الثانية اسوة بدويلات المدن الاولى (السومرية) التي سبقتها الى ان تمكن حمورابي (سادس ملوك سلالة بابل الاولى) (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق . م) من القضاء على نظام دويلات المدن واعاد للبلاد نظام مملكة القطر الواحد.

ان معلوماتنا عن الاموريين ماتزال قليلة فقد امدتنا الاسماء الامورية الكثيرة التي وصلتنا بالكثير من المعلومات عن دينهم وحالتهم الاجتماعية.

وفي عصور سابقة اخبرنا كوديا حاكم لكش عن المناطق التي جلب منها المواد الاولية لبناء معابده التي شيدها بامر من الاله ننكرسو. فقد ذكر جبل باساللا الذي اسماه جبل امورو (وهو في الغالب جبل بشري) موطن الاموريين. ويمكن تحديده ما بين تدمر ودير الزور ويمتد من شمال شرقي تدمر الى الفرات وورد في النصوص المسمارية بهيئة بسرى أو بسير. وتخبرنا النصوص المسمارية من عصر سلالة ايسن عن الكثير من الموظفين الاموريين منهم (ناسخ المارتو) و (رئيس المارتو) و (ناظر المارتو). ويمكن ملاحظة اهمية الاموريين في شؤون البلاد من كثرة اسمائهم كما كانت غالبية اسماء ملوك لارسا وبابل امورية واخرى اكدية.

---

(١) امورو Amurru الصيغة الاكدية للتسمية السومرية « مار ـ تو » MAR.TU وتعني حرفياً « ارض مستقر الشمس » أي الغرب. وهي اشارة الاتجاه الذي جاءت منه تلك الاقوام (الامورية) والاموريون اسم اطلقه السومريين على القبائل البدوية القادمة من الغرب وعرفت هذه الكلمة في المصادر المسمارية بالامورو كما اطلق هذا الاسم على الاله الخاص بالاموريين. اما الباحثون المحدثون فيدعوهم بالكنعانيين الشرقيين تمييزاً عن الكنعانيين الغربيين (الفينقيين) وهم الاقوام التي استوطنت في الاجزاء الساحلية من بلاد الشام.

وبدلاً من ان يدون هؤلاء الاموريون بلغتهم الجزرية الغربية اتخذوا اللغة الاكدية التي يطلق عليها اللهجة البابلية القديمة في هذا العهد . فلم يصل الينا من السلالات الامورية الحاكمة اية نصوص مدونة بلغتهم باستثناء اسماء الاعلام الكثيرة . وطغت الاكدية على كل شيء .

ولم تستعمل السومرية في الكتابات التاريخية والقانونية والدينية وفي نهاية العصر البابلي القديم انصهرت العناصر السومرية والامورية ببوتقة الحضارة العراقية وقد تميز العصر البابلي القديم بسيادة العناصر الجزرية ودخول الكثير من المعتقدات الدينية والنظم والقواعد القانونية الجزرية الغربية الى البلاد . فقد وصلت التشريعات في هذه الفترة الى القمة من حيث النضج والتقدم ، وان ماوصلنا من هذه الفترة من وثائق قانونية ومن نصوص تشريعية يفوق ماوصلنا من اية فترة اخرى . حتى يمكن القول ان هذه الفترة تعتبر بحق العصر الذهبي بالنسبة للقانون العراقي القديم . فقد تم الكشف حتى الان عن ثلاث من اهم النصوص القانونية المعروفة وهي قانون لبت ـ عشتار وقانون مملكة اشنونا وقانون حمورابي . ومن الجدير بالذكر ان الهجرات الامورية لم تكن على شكل موجة واحدة كما انها لم تنحصر في استيطانها على منطقة السهل الرسوبي أي بلاد سومر واكد كما ذكرنا فبالنسبة لبلاد وادي الرافدين يمكن تمييز موجتين كبيرتين من الهجرات الامورية جاءتا في فترتين من الزمن واستوطنتا في أجزاء مختلفة من العراق فالاولى جاءت في اواخر سلالة اور الثالثو وذلك في زمن الملك ابي ـ سين أو قبله أي في زمن اخيه الملك شو ـ سين وتمكنت من تأسيس عدد من السلالات الحاكمة اشهرها سلالتا أيسن ولارسا وكذلك سلالة اشنونا وبعد زهاء ما يقرب من مائة عام على الهجرة الاولى انحدرت من جهة الفرات الاعلى والاوسط جماعات اخرى، من الاموريين الى العراق واستطاع شيوخها من تأسيس سلالات حاكمة اشهرها سلالة بابل الاولى التي أسسها « سومو ـ ابوم » كما قامت منهم ممالك في اشور وسبار والوركاء وغيرها من المدن .

وقد ازدهرت سلالات امورية في مدن عديدة منها ماري (تل الحريري في منطقة الفرات الاوسط) أستمرت حتى عام ١٧٠٠ ق . م . وفي خانه (عانة حاليا) على الفرات وفي منطقة أشنونا (تل أسمر) وفي يموت بعل (شرق دجلة) باتجاه نهر ديالى ومن القبائل الامورية قبيلة امنانوم التي استوطن فرع منها في منطقة الوركاء وفرع اخر في منطقة سپار (ابو حبة) بحيث سميت هذه المدينة في بعض النصوص مدينة الامنانيون **Amnanum** واستوطنت قبيلة ياخروروم الامورية في منطقة سپار ونجد أسمها يتردد كثيراً في رسائل ماري الشهيرة ويظهر أنها قد طغت

على منطقة سپار بحيث اصبحت المدينة تدعى باسم سپار ياخروروم . وقد استوطنت جماعات من هذه القبيلة في منطقة اشنونا ما بين الزاب الاسفل وديالى .

ومن القبائل الامورية الاخرى، القبيلة التي ورد ذكرها بأسم « جانيين أو خانيين » التي استوطنت منطقة خانة (عانة) المذكورة في رسائل ماري بحيث انتشرت هذه القبيلة من عانة الى ماري على الفرات الاوسط وقبيلة اخرى، جاء ذكرها على هيئة « سوتو » والتي استوطنت غربي الفرات الاوسط . ووردت في نصوص مدينة ميتوران في حوض حمرين بديالى قبيلة امورية اخرى، على هيئة ياباسا(٢) .

اهم السلالات الامورية الحاكمة :

سلالتا ايسن ولارسا

بعد سقوط سلالة اور الثالثة ظهرت وسط وجنوب العراق سلالتان مهمتان هما سلالتا أيسن ولارسا . فقد اسس الاولى اشبي ـ ايرا الاموري (٢٠١٧ ـ ١٩٨٥ ق . م) واتخذ عاصمتها عند مدينة ايسن (ايشان البحريات حاليا) على بعد ١٤ ميلا الى الجنوب من عفك في محافظة القادسية . وتلقب بملك سومر واكد وحكم ٣٢ سنة واتخذ لنفسه الصفات الالهية وخلفه اربعة خلفاء من اسرته انتقل العرش بعدهم لاسرة ثانية . وقد دخل في خصام مع العيلاميين الذين كانوا يحتلون مدينة اور لمدة ثمانية سنوات منذ سقوطها بايديهم واسترجعها اشبي ـ ايرا منهم في حرب لا تعرف تفاصيلها ، اندحر فيها العيلاميون اندحارا لم يحاولوا بعده التحرش بمدن العراق الجنوبية لمدة طويلة . وقد تعلق ملوك هذه السلالة بالثقافة السومرية وصارت اللغة السومرية اللغة الرسمية تقريباً كما تدل على ذلك الكتابات الملكية التي جاءت الينا من ملوكهم . وفي هذه الفترة كانت سلالة أيسن قد قويت وتوسعت ولا سيما في عهود ملوكها الاربعة الذين خلفوا اشبي ـ ايرا وقد عمل الملكان الاولان شو ـ اليشو واشمي ـ دكان على توسيع رقعة المملكة الى الخليج العربي ومن بينها دلمون (البحرين حاليا) كما امتدت شمالا الى منطقة سپار . وبذلك استطاع ملوكها الاوائل من اقامة علاقات تجارية واسعة مع الاقطار المجاورة كما اعيد الامن والنظام في المناطق الواقعة تحت نفوذ ايسن وغدت الظروف ملائمة لاعادة العلاقات

---

(٢) انظر الطروحة الدكتوراه للمؤلف غير منشورة .

Abdul-Kader, J. Mustafa, The Old Babylonian Tablets from Me-Turan, Glasgow uni. 1983, P. 234.

التجارية التي كانت مزدهرة في عهد سلالة اور الثالثة . وتشير بداية الدلائل على ضعف سلالة أيسن في عهد اشمي ـ دكان (١٩٥٣ ـ ١٩٣٥ ق . م) وهو الخليفة الثالث لاشبي ـ ايرا واتخذ ملوك أيسن لانفسهم الالقاب (ملوك اور وملوك سومر وأكد) . وكانت اللغة السومرية هي اللغة الوحيدة المستخدمة في المدونات الرسمية لمملكة أيسن . واستمرت المملكة في تفوقها دون اية عقبة تذكر حتى عهد حكم ملكها الخامس لبت ـ عشتار (١٩٣٤ ـ ١٩٢٤ ق . م) الذي وضع شريعته باللغة السومرية والتي بقيت منها سبع وثلاثون مادة واجزاء من مقدمتها وخاتمتها ويعتقد ان القانون بهيئة الكاملة كان يضم اكثر من مائة مادة وتعالج مواده القانونية الباقية قضايا الارث والزواج والاراضي الزراعية وعقود الايجار واحوال العبيد والسرقة والتهرب من دفع الضرائب للدولة والاتهام الباطل .

أما من الناحية السياسية فقد اصطدم لبت ـ عشتار المسالم في صراع في اواخر حياته مع كونكونم ملك لارسا (١٩٣٢ ـ ١٩٠٦ ق . م) الذي هاجم في سنة حكمه الثامنة مملكة ايسن وسيطر على اور ونصب نفسه حاكما على بلاد سومر واكد وبعد بضعة سنين وقعت في قبضته لكش سوسه وربما الوركاء ايضا . فاصبحت مملكة لارسا تمتلك منذ ذاك نصفـ جنوب العراق ولها بوابة تطل على (البحر الاسفل) الخليج العربي وهي المفتاح المهم للتجارة الخارجية .

كانت خسارة ايسن لمدينتها الرئيسية وميناءها ضربه موجعة لها زاد من تدهورها وقام خلفاء كونكونم بتوسيع نفوذهم عسكرياً باتجاه شمال بلاد بابل وسيطروا في النهاية على عدد من المدن بصورة خاصة على مدينة نيبور المقدسة التي كانت تعود سابقاً الى مدينة أيسن ثم حكم اورننورتا (١٩٢٤ ـ ١٨٩٦ ق . م) الذي ادعى السيطرة على أور ويبدو أنه كان ملكاً مؤلها ولم يكن اورننورتامن العائلة الحاكمة السابقة . وكان خليفته الثالث ايرا ـ ايمتي (١٨٧٠ ـ ١٨٦٤ ق . م) الذي وقع في عهده حدث غريب لاتعرف تفاصيله . فقد تم اختيار ملكاً بديلاً له على حسب العادة المعروفة في بلاد وادي الرافدين ليحكم مدة معينة . عندما يشعر الكهنة بأن هناك مايشير الى تعرض البلاد وشخصية الملك للخطر عن طريق التنبؤ بالفأل ولكي لايتعرض شخص الملك المقدس لهذه الاخطار كان يعين ملكاً بديلاً عن الملك الاصلي . فيتوج ويحكم طوال فترة الاخطار ثم ينحى عن الحكم عند زوالها ويقتل في نهاية الفترة المحددة ويدفن وسط أبهه . وحدث ان اختير البستاني انليل ـ باني ليكون الملك البديل على العرش ووضع التاج الملكي فوق رأسه . ولكن الملك الحقيقي

ايرا ـ ايمتي مات في فترة حكم الملك البديل اثناء تناول الحساء . اما انليل ـ باني فلم يتخل عن العرش بل صار ملكاً حقيقياً بدله (١٨٦٤ ـ ١٨٤١ ق . م) وليس من المستبعد أن يكون الملك الحقيقي قد مات مسموماً لعله على يد ذلك الملك البديل او ربما بواسطة مؤامرة حيكت من قبل الكهنة .

واستمرت مملكة ايسن في التدهور . وكان الملوك الثلاثة الذين جاءوا بعد انليل ـ باني لاتربطهم مع بعضهم صلة قرابة مما يدل على الاضطراب الداخلي التي عانته الدولة . ولكن الفترة الاخيرة من حياة مملكة أيسن في عهدي سين ـ مايكر وداميق ـ ايليشو (١٨٢٧ ـ ١٧٩٨ ق . م) كانت اكثر استقراراً حتى أن ريم ـ سين ملك لارسا هجم على أيسن في عام ١٧٩٤ ق . م . وضمها الى مملكته . وهكذا زالت واحدة من اقوى السلالات المنافسة في مطلع العهد البابلي القديم وانحصر النزاع بين لارسا وبين سلالة بابل الاولى في عهد الملك حمورابي سادس ملوك السلالة الذي خلف اباه سين ـ موبالليط بعد عامين من انهاء سلالة أيسن وظل حمورابي يتربص لريم ـ سين طوال ٣٠ عاماً حتى كانت الغلبة في نهاية الأمر لحمورابي الذي تمكن بعدها من القضاء على الممالك الاخرى وأخضاعها وانفرد بزعامة البلاد بعد توحيده الممالك بدولة واحدة قوية بعد أن كان يحكم فيها عدد من الممالك المتنازعة فيما بينها .

سلالة لارسا :

أما السلالة الثانية لارسا (وهي المدينة التي تقع خرائبها الان في تل السنكرة) على بعد ٣٠ كم شمال غرب الناصرية فقد اسسها الملك نبلانم (٢٠٢٥ ـ ٢٠٠٥ ق . م) وقد دخل خليفته الرابع كونكونم في صراع مع لبت ـ عشتار ملك ايسن التي كانت تتمتع حتى ذلك الوقت بتفوق سياسي كبير . فقد وجه كونكونم جيشاً نحو عيلام وهاجم مدينتي باشيمي وانشان . وفي السنة الاولى من حكم ملك لارسا سومو ـ ايل ١٨٩٤ ق . م ازدادت الاوضاع تعقيداً عندما بزغ نجم سلالة بابل الاولى بقيادة مؤسسها سومو ـ ابوم وكان لظهور هذه السلالة تأثير واضح على مجريات الامور السياسية والثقافية والعمرانية . ومن الجدير بالذكر ان القبائل الامورية التي دخلت بلاد وادي الرافدين في عهد سلالتي أيسن ولارسا فأنها تمثل الموجة الاولى . اما القبائل الامورية التي تزعمها سومو ـ ابوم فتمثل الموجة الامورية الثانية . لقد اخذ نفوذ سلالة بابل الاولى بالتوسع وادي ذلك الى شن حرب على سلالة لارسا فقتل

ملكها صلي ـ ادد عام ١٨٣٤ ق . م . فتمكن حاكم اقليم (يموت ـ بعل) المدعو كودور ـ مابك في التدخل في شؤون لارسا . ويشير الاسم العيلامي لهذا الحاكم الى ان مملكته كانت تحت نفوذ العيلاميين . وجاء من بين القابه انه (ابو الاموريين) وبعد ان استولى على لارسا نصب على عرشها ابنه ورد ـ سين وبعد حكم دام اثنى عشرة سنة (١٨٣٤ ـ ١٨٢٢ ق . م) خلفه اخوه ريم ـ سين (١٨٢٢ ـ ١٧٦٣ ق . م)) الذي حكم امدا طويلاً واستطاع القضاء على سلالة أيسن كما مرّ بنا سابقاً .

مملكة أشنونا :

تقع هذه المملكة في الاراضي الخصبة في المثلث المحصور مابين دجلة وديالى وسفوح مرتفعات زاكروس شرقاً وكانت هذه المملكة ذات اهمية سياسية واقتصادية نظراً لمجاورتها لبلاد اشور في الشمال وعيلام في الشرق ولوقوعها على الطرق الشرقية الواصلة بين اشور والخليج العربي . وكانت هذه المملكة خاضعة لنفوذ الدولة الاكدية ثم نفوذ سلالة اور الثالثة قبل قيام مملكة اشنونا غير أنها استقلت في اواخر عصر اور الثالثة وكانت فيها سلالة امورية ازدهرت في عهدها المملكة واتسع نفوذها وزاد نشاطها التجاري . وقد احتفظت بعلائق وثيقة مع البلدان الشمالية فكان الاهها الرئيسي تشباك يتشابه مع الاله الخوري (تيشوب) وقد اطلق حكام اشنونا على انفسهم « خادم الاله تشباك » وابدلوا اسماء الاشهر والسنين السومرية بأسماء محلية .

واستبدلت اللغة السومرية باللغة الاكدية في المدونات الرسمية فقام حكامها بمساعدة الاقوام الامورية بفرض سيطرتها على كامل وادي نهر ديالى الاسفل . وتعرف اطلال اشنونا اليوم بتل أسمر (نسبة الى العاصمة) . والتي تبعتها عدة مدن متمثلة اليوم في العديد من المواقع الاثارية(٢) ضمن مواقع حوض ديالى ومنها تل

---

(٢) حول مواقع العصر البابلي القديم في حوض ديالى وحوض حمرين انظر . اطروحة الدكتوراه للمؤلف غير منشوره والمذكوره سابقاً . انظر كذلك احمد كامل محمد . دراسات في النصوص المسمارية غير منشورة من منطقة ديالى (حوض حمرين) رسالة ماجستير غير منشورة . جامعة بغداد . ١٩٨٥ . ص ٤٢ .

محمد . وتل حرمل (شادبوم)(٤) وخفاجي (توتوب) وتل الضباعي (زرالولو او اوزارلولو) وتل اشجالي (نير يبتوم) وتل أجرب (دور ريموش) وبسمايا وتلول العليميات وتلول خطاب وتل المقدادية وهناك العديد من مواقع العصر البابلي القديم التي تم اكتشافها حديثاً في مواقع حوض حمرين (قرب السعدية وجلولاء) والتي تعود ضمن حدود هذه المملكة منها تل الزاوية وسليمة . وحلاوة وخيط كنج واليلخي وتلول العبابرة ومدينة ميتوران (تلول السيب وحداد) حيث امتد نفوذ الاموريين ملوك مملكة اشنونا لتوسيع رقعة مملكتهم فسيطروا على مناطق ديالى السفلى والعليا وربما وصلوا الى منطقة كركوك واربيل . واخذ التوتر يسود العلاقات الدولية نتيجة للدور الذي قام به العيلاميون في اذكاء روح الفتنة بين الممالك الامورية بغية اضعافها ليتسنى لهم تحقيق اطماعهم التوسعية عن طريق المصاهرة السياسية او عن طريق المحالفات الدولية في الوقت الذي رفع فيه حمورابي راية وحدة البلاد الا أنهم ادركوا أن وحدة البلاد تعني الحد من اعمالهم العدوانية ونواياهم التوسعية فيها ومما زاد في حدة ذلك التوتر محاولة بعض الملوك الاموريين من ضم اراضي جديدة لهم وحل بها ضعف جعلها تابعة لايسن ثم ديرثم كيش وكانت اشنونا قد خسرت معظم المناطق التي كانت تحت سيطرتها بعد هزيمة بلالاما من قبل ملك الدير (قرب مدينة بدره الحالية) الا انها سرعان ماستعادت هيبتها السابقة بتعاقب ملوك اقوياء على عرشها كان اولهم (أيبق ـ ادد الثاني حوالي عام ١٨٥٠ ق . م) الذي دعا نفسه « الملك القوى، موسع اشنونا ... » وبدأ

---

(٤) لقد نقبت مديرية الاثار العامة في تل حرمل ويدعى قديماً (شادوبوم) وكان مركزاً ادارياً لمقاطعة زراعية تابعة لمملكة اشنونا . وكشفت عن اكثر من الفين رقيم طيني واثار اخرى متفرقة ضمن حدود المدينة التي كانت مسورة بسور مستطيل الشكل وفي الوسط يقع معبدها الرئيس تحيط به بيوت السكن وتتضمن رقم الطين هذه على العديد من صنوف العلوم والمعارف كالرياضيات والهندسة والجبر وقوائم باسماء مدن وجبال واشجار ومعاجم باللغة السومرية والاكدية كما تم الكشف فيها عن قانون لايعرف مشرعه لذلك سمي بأسم العاصمة والذي بقي من مواده أحدى وستون مادة قانونية دونت بالخط المسماري وباللغة الاكدية (اللهجة البابلية القديمة) وقد عثر عليه في تل حرمل الواقع في بغداد الجديدة ويسبق قانون لبت ـ عشتار ملك أيسن وكذلك يسبق قانون حمورابي بنحو قرن ونصف من الزمن وتتعلق مواده القانونية بتحديد اسعار الكثير من المواد الضرورية كالشعير السمسم والزيت والملح والنحاس وتأجير العربات والقوارب والعمال الزراعيين والاجراء واحكاماً خاصة بالعبيد والزواج والطلاق والاقراض والتبني والارث واحكاماً خاصة بالعبيد والزواج والبيع والشراء وتحديد العقوبات على الجرائم وهكذا تناولت هذه التشريعات اغلب مشكلات الحياة في عصرها . وكذلك عثر في بقية مدن ديالى على العديد من الرقم الطينية منها رقيم رياضي هندسي نو اهمية علمية كبيره عثر عليها في تل الضباعي .

يفرض سيطرته السياسية والعسكرية على رابيقوم(٥) وميتوران(٦) وتخلصت المملكة في عهده من السيطرة الخارجية ثم تولى العرش من بعده أبنه نرام ـ سين الذي خسر بعض الاقاليم الا انه وسع المملكة واتخذ لقب ملك اشور واخضع مدينة سبار وكاكولا توم(٧) ثم اشناكوم(٨) وربما سمي هذا الملك اعتزازاً بما قام به الملك نرام ـ سين الاكدي من اعمال عظيمة وقبل ان يتوج حموراببي ملكاً بابل عام ١٧٩٢ ق . م بعامين اعتلى دادوشا عرش اشنونا وكان ملكاً قوياً تمكن من استعادة معظم مافقده سلفه من اقليم وساعد زمري ـ ليم ملك ماري على استرجاع عرشه من الاشوريين . وقد تم العثور مؤخراً على مسله لهذا الملك في منطقة ديالى معروضة حالياً في المتحف العراقي . ويظهر فيها الملك دادوشا وهو يتسلق المنطقة الجبلية مع قواته . وتخبرنا كتابات هذه هذه المسله عن اعماله الادارية والعسكرية في المنطقة الشمالية والشمالية الشرقية من العراق وتحريرها من المعتدين في اوائل الالف الثاني قبل الميلاد . وخلفه في حكم المملكة عام ١٧٨٥ ق . م الملك « ايبال ـ بي ـ ايل الثاني » واتخذ لقب الملك القوي ملك اشنونا . ومنذ ذلك الوقت اصبحت العلاقات متذبذبة بين اشنونا وما جاورها من الدول . وقد حصل بعض التقارب بين اشنونا واشور بوفاة شمشي ـ ادد عام ١٧٨١ ق . م . الا أن هذا التقارب لم يدم طويلاً . ان ظهور قوة حموراببي المفاجئة في وقت تنازعت فيه البلاد عدة مراكز قوى، قد ادى، الى قيام سلسلة من الاحلاف والاحلاف المضادة . وقد استغل العيلاميون الفرصة للتدخل واستغلال الصراع الدائر بين الدويلات الامورية لصالحهم فدخلوا في حلف عسكري مع اشنونا ضد حموراببي في الوقت الذي تحالف زمري ـ ليم ملك ماري مع حموراببي بعد أن شعروا بخطورة اشنونا . واستطاع حموراببي في سنة حكمه الثلاثين (١٧٦١ ق . م) من ايقاع هزيمة كبرى، بحلف اشنونا والعيلاميين ومنذ ذلك الحين اصبحت اشنونا تحت النفوذ لسياسي لبابل بعد ان تزوج ملكها صني ـ سين من ابنة الملك حموراببي . وكان آخر حكام اشنونا ايلوني الذي أقتيد أسيراً الى بابل في السنة الثالثة والعشرين من حكم سمسوايلونا خليفة حموراببي على عرش البلاد .

---

(٥) رابيقوم على نهر الفرات (منطقة قرب الرمادي) وكانت تتحكم بالطرق التجارية المارة مبين اواسط الفرات والاناضول .

٦) ميتوران فهي تلول السيب وحداد وربما بردان في منطقة حمرين في محافظة ديالى .

(٧) كاكولاتوم وتقع هذه المدينة الى القرب من نهر ديالى ولا يعرف موقعها بالضبط .

(٨) اشناكوم ربما تقع هذه المدينة في مكان ماقرب نهر الخابور .

ماري وآشور .

في نهاية القرن العشرين ق . م ظهرت دولتان عظيمتان جديدتان لتصبحا بارزتين في الحقل السياسي هما ماري (تل الحريري الحالية) على ضفة الفرات الغربية قرب البوكمال واشور (قلعة الشرقاط) . وكانت ماري من اهم المراكز السياسية والحضارية التي اقامها الاموريون في بلاد سوريا والتي تعد بمثابة جسر تمر عليه موجات الهجرة الامورية عند قدومها من الغرب الى بلاد وادي الرافدين اضافة الى اهميتها التجارية لوقوعها على الطريق الموصل بين العراق وسوريا . وكانت ماري كغيرها من المدن تابعة لنفوذ الدولة الاكدية فسلالة أور الثالثة ثم قامت فيها سلالة امورية حاكمة في بداية الالف الثاني ق . م . واستقلت عن نفوذ الجنوب وامتد نفوذها على طول نهر الفرات والخابور غير انها دخلت تحت نفوذ الدولة الاشورية القوية وظلت كذلك حتى تمكن احد امرائها من السيطرة على الوضع السياسي من جديد والاستقلال ثانية . غير ان استقلال ماري كان في وقت تعاظم قوة حمورابي ، الذي تمكن من فرض سيطرته السياسية عليها وقضى على سلالتها الحاكمة وضمها الى حدود دولته العظيمة وذلك في سنة حكمه الخامسة والثلاثين . وعندما بدأت التنقيبات الفرنسية في مدينة ماري باشراف اندريه باروت عام ١٩٣٣ كان اول اكتشاف لهم معبداً من عصر فجر السلالات مكرساً كالذي في اشور الذي يماثله كثيراً الى الالهة عشتار واكتسبت المدينة في بداية الالف الثاني ق . م أهمية خاصة كمحطة على الخط التجاري الكبير وكشفت البعثه الفرنسية عن آثار ومخلفات بالغة الاهمية منها القصر الملكي للملك زمري ـ ليم الذي ضم اكثر من ثلاثمائة غرفة وكثير من الابنية الاخرى، ومنها ايضاً النصوص المسمارية التي بلغ عددها اكثر من عشرين الف رقيم طيني بشتى المواضيع التي القت الضوء على تاريخ المدينة والمناطق التي جاورتها واتصلت بها بصورة عامة وعلى حياتها الاقتصادية والاجتماعية والدينية فكانت خير عون للمؤرخين لملء الفجوات الموجودة في تاريخ العراق القديم خلال الالف الثاني ق . م .

ومن هذه النصوص رسائل ماري الشهيرة التي عرفتنا ببعض الملوك الجزريين وترينا هذه الوسائل الصلات القوية مع شمال سوريا وفلسطين .

أما بلاد اشور فقد نالت استقلالها قبل ان تقوى، بابل في عهد ملكها حمورابي وكان مؤسس السلالة الامورية الملك شمشي ـ ادد الأول (١٨١٤ ـ ١٧٨٢ ق . م) فكان معاصراً لملك بابل سين ـ موبا لليط وكانت العلاقات بين الدولتين علاقات

مهادنة ومجاملة اكثر منها علاقة صداقة . فقد ضيق شمشي ادد الاول الخناق على مملكة اشنونا وكان هذا الملك فاتحاً قوياً في عهد المملكة الاشورية القديمة وشملت فتوحاته اواسط العراق ومنطقة اشنونا واطراف بابل ثم اخضع مدينة ماري وعين عليها ابنه يسمخ ـ ادد . واستطاع بعض ملوك اشنونا وبوجه خاص نرام ـ سين أن يبسط حمايته على بلاد اشور وفي عهد شمشي ـ ادد سيطر حمورابي على بلاد اشور وضمها الى مملكته بابل .

سلالة دير .

وقامت سلالة اخرى، في مدينة دير (دور ـ انو DUR. AN)والذي يعني أسمها حصن الاله انو المتمثلة اليوم بتلول العقر القريبة من مدينة بدرة الحالية وكان لموقعها اهمية استراتيجية فهي تقع على الحدود العراقية الايرانية . وكانت من المواقع الرئيسة التي، تقع على الطريق التجاري والحربي الذي يربط بين البلدين في العصور القديمة وقد ورد أسمها في الكثير من النصوص التاريخية والاقتصادية وكثيراً ماجتازتها الجيوش من بلاد بابل وعيلام ووقعت عندها معارك حربية هامة في العصور التاريخية المختلفة.ومع الاسف لم تجر فيها تحريات اثرية واسعة مما تلقي لنا الاضواء عن تاريخ هذه المدينة وحضارتها . ومهما يكن فأننا نعرف عن تعاظم هذه المدينة في العصر البابلي القديم وتهديداتها للمناطق القريبة منها وتشير النصوص المسمارية في العصر البابلي القديم انه كانت فيها سلالة حاكمة بلغت من القوه والبأس في فترة حكمها القصيرة درجة بحيث استطاعت مهاجمة مملكة اشنونا في زمن ملكها بلالاما . ومما يؤسف له ان اسماء حكام هذه المدينة لمن تصلنا بشكل مضبوط . ويظهر ان ملوك هذه المدينة قد الهوا أنفسهم في العصر البابلي القديم . ويعتبر الاله ساتران هو الاله الحامي لهذه المدينة . وانتهى استقلال مملكة دير على يد ملك ايـن ادن ـ دكان (١٩٧٤ ـ ١٩٥٤ ق.م) .

سلالة الوركاء

فقد قامت في مدينة الوركاء سلالة حاكمة من العصر البابلي القديم وكان اقدم ملوكها سين ـ كاشد وخلف في مدينة الوركاء مآثر بنائية مهمة وفي مقدمتها قصره القريب من سور المدينة . و[illegible] الدينية في منطقة (اي ـ اننا) واقام معبداً لتقديس الاله لوكال ـ بندا وزوجته الالهة ننسون . وخلفه في حكم الوركاء عدد من الملوك منهم سين ـ ايريبام وسين ـ كامل واردا ـ نيتي الذي عاصر دامق ـ ايليشو

ملك لارسا ثم أنام الذي جدد اسوار المدينة ومعبد (أي ـ اننا) . وقد عثر في الوركاء على الرسالة التي وجهها الى ملك بابل سين ـ موبالليط والد حمورابي يستنجد فيها على القبائل التي كانت تهدد أمن سلالة الوركاء وانتهى استقلال الوركاء عندما ضمها ريم ـ سين ملك لارسا الى مملكته عام حكمه العشرين (١٧٧٤ ق . م) .

سلالة كيش .

فقد قامت في كيش (تل الاحيمر قرب الحلة) سلالة أمورية في فترة تأسيس سلالة بابل الاولى تقريباً . وقد جائتنا بعض النصوص التاريخية من أحد حكامها المسمى اشدوني ـ آريم وهي تسجل جانباً من اعماله ونشاطه الحربي ويظهر أنه ظل يحارب اعداءه طوال ثمانية أعوام ولكن الهة مدينة كيش قدمت له العون والمساعدة ونصرته فتغلب على اعدائه . وقوى اسوار المدينة .

سلالة سپار

نسبة الى مدينة سپار (ابو حبه قرب اليوسفية) فقد استوطنتها جماعات من الاموريين . وعرفت من قبائلهم قبيلة ياخروروم او ياحروروم ومنها جاء اسم مدينة (سپار ياخرورم) ويستدل ان سلالة حاكمة قامت في هذه المدينة في حدود الزمن الذي اسس فيه سومو ـ ابوم سلاله بابل الاولى وكان ملك سپار المدعو اميروم يعاصر الملك البابلي سومو ـ لا ـ ايل .

وهناك عدد آخر من السلالات الامورية الصغيرة منها سلالة ماراد (تل دليهم قرب نفر) وسلالة مالكيوم ولعلها تقع في مكان ماسفل ملتقى ديالى بدجلة ولعلها قرب الكوت . واصبحت جميع هذه السلالات الامورية تحت نفوذ دولة حمورابي .

سلالة بابل الاولى

وتعرف بالسلالة الامورية ايضا وعدد ملوكها أحد عشر ملكا حكموا ثلاثة قرون (١٨٩٤ ـ ١٥٩٥ ق . م)

وقد بلغت حضارة العراق في هذه الفترة اوج عظمتها وازدهارها وعمت اللغة البابلية بلاد الشرق الادنى القديم قاطبة وارتقت العلوم والمعارف والفنون وازدهرت

التجارة واتسعت اتساعا لامثيل له في تاريخ هذه المنطقة وكانت الادارة مركزية تحكم البلاد بقانون واحد سنّه الملك حمورابي لجميع شعوب المنطقة .

اسس هذه السلالة في بابل الشيخ الاموري سومو ـ ابوم حيث شيد سورا للمدينة (ولعله كان ترميماً لسورها واحكاما لتحصينها) وعمر المعابد وحكم اربعة عشر عاما ولم يعقبه احد من ابنائه وقد شغل معظم سنوات حكمه في توطيد سلطته في مدينة بابل وتقوية وسائل دفاعها وحصونها واستطاع من ضم بعض المدن المجاورة لدويلته مثل دلبات وكيش وسبار وسيطر على كزاللو في نهاية حكمه . وخلفه سومو لاايل الذي لايمت له بصلة قربى ، وعلى هذا تكون سلالة بابل الاولى (اي هذه الاسرة) قد بدأت منذ عهد هذا الملك الذي دام حكمه ستاً وثلاثين عاما قضى جزءا كبيرا منه في حروب مع الدول المجاورة وكان يعاصر في حكمه ملك لارسا سين ـ ايدنام وقد عمل على تقوية تحصينات مدينة بابل وسورها وشغل في اعمال البناء في اقامة المعابد كما قام بجملة مشاريع للري ، ومد نفوذه السياسي الى مدينة نفر ، وايسن ، ومراد (تل دليهم الان في الطريق مابين الحله والديوانية) وكوثا (Kuti) (حبل ابراهيم) ٥٠ كم شمال شرقي بابل .

ثم تولى الحكم في بابل ابنه سابيئوم الذي كان حاكما من قبل ابيه على مدينة سبار وقد حكم ١٤ عاما وظلت سبار تابعة لى بابل وكذلك الحال بالنسبة الى كيش ودلبات وقد شيد هذا الملك معبد بابل الشهير المعروف بأسم اي ـ ساك ـ ايلا المخصص للاله مردوخ . وخلفه في الحكم ابنه آبيل سين (Apil - Suen) ، ودام حكمه ١٨ عاما وكان يعاصر ملك لارسا ورد ـ سين ثم اخاه ريم ـ سين . وقام بجملة اعمال عمرانية ولا سيما في العاصمة بابل والمدن التابعة لها مثل السور الذي اقامة في بابل وسماه السور الجديد العظيم ، ومعبد الالهة عشتار ، وجدد معبد الاله نركال في كوثا وشيد سور مدينة بورسبا (برس نمورد) على بعد ٢٠ كم جنوب بابل وقام بجملة مشاريع للري وحصنا سماه قلعة آبل ـ سين لحماية الطريق من بابل الى مدينة سپار ومنها الى مدينة آشور .

خلفه بالحكم ابنه سين ـ موبالليط وهو الملك الخامس من ملوك سلالة بابل الاولى ووالد الملك الشهير حمورابي وحكم عشرين عاما . تعاظمت فيها المملكة وكان يعاصر ريم ـ سين ملك لارسا وشغل نفسه في اعمال البناء وتوطيد العاصمة وعمل على تقوية سلطانه في المدن التابعة لبابل وفي عهده انتقلت مدينة بابل من

موقف التربص والدفاع الى موقف الهجوم وذلك في عام حكمه الرابع عشر . حيث استطاع ان يدحر لارسا كما هاجم مدينة أور وأيسن ومهد الطريق لابنه حمورابي بالقيام بالمشاريع العسكرية وتأديب القوى المناوئة . ان معظم المعلومات المدونة عن أخبار بابل لم تأت الينا من مدينة بابل نفسها على الرغم من التنقيبات الاثارية الواسعة وذلك لان ارتفاع مناسيب المياه الجوفية الناشئة من ارتفاع مستوى نهر الفرات القريب من المدينة قد سبب في طمس بقايا سلالة بابل الاولى ولاسيما ادوارها القديمة فلم يستطع المنقبون التعمق في حفرياتهم الى طبقات اثرية اقدم من العصر الكشي ولكن وصلت الينا وثائق متنوعة وكثيرة عن اخبار هذه السلالة من المدن الاخرى ، ومن بين ذلك الالوف من العقود التجارية والقانونية والمعاملات المختلفة الخاصة بشؤون الحياة العامة . ووسائل ملوك السلالة ، ولاسيما رسائل حمورابي الى حكام المقاطعات ورسائل اولئك الموظفين الاداريين والحكام اليه ، وشريعته المشهورة ، وكذلك اثبات ملوك هذه السلالة ، واثبات الحوادث المؤرخ بها ، والاخبار الخاصة بالعلاقات التي نشأت مابين ملوك هذه السلالة وبين ملوك السلالات الاخرى المعاصرة . ولاسيما سلالتي ايسن ولارسا ، ورسائل مدينة ماري الشهيرة التي اشير اليها سابقا .

حمورابي وعصره الذهبي

وحكم هذا الملك العظيم في بابل نحو أثنين واربعين عاما (١٧٩٢ ــ ١٧٥٠ ق . م) ومعنى اسمه الاله حامو(٩) العظيم او المكثر . وعند تسلم الحكم كانت في البلاد قوى متعددة تتنازع على السلطة فيما بينها منها مملكة لارسا وملكها ريم ـ سين الذي استطاع في السنة السابعة من حكم حمورابي السيطرة على مدينة ايسن وضمنها لحكمه ، بالاضافة الى مملكة لارسا التي كانت تهدد مملكة حمورابي بالزوال كانت الى الشمال منها ثلاث دويلات اخرى تحت سلطان الملك الاشوري شمشي ـ ادد الاول وهي بلاد اشور واقليم ايكلاتوم ومملكة ماري . والى الشرق كانت مملكة اشنونا المستقلة في الاقليم الواقعة مابين نهر دجلة وديالى وقد استطاع حمورابي بما عرف عنه بقدراته المتعددة الجوانب ، من أن يقضي على هذه الدويلات الواحدة تلو الاخرى فينفرد في نهاية المطاف في زعامة البلاد ويحقق لها وحدتها السياسة التي فقدتها نتيجة تعدد الممالك منذ نهاية سلالة أور الثالثة .

(٩) (خمّو Hammu من الالهة الجزرية الغربية .

لقد امضى حمورابي سنوات حكمه الاولى في تقويه البلاد واقام الحصون ونظم الادارة والجيش واقام مشاريع الري والمشاريع العمرانية المختلفة . ووضع الخطط الدقيقة لادارة مقاطعاته ادارة مركزية .

لقد كشفت نصوص مدينة ماري عن جوانب من الوضع السياسي في بداية حكم حمورابي . فكانت الاحلاف تقام بين بعض الدويلات من آجل محاربة دويلة قوية اخرى، او مجموعة اخرى، من الدويلات . ولعل النص التالي يوضح ذلك : « ليس هناك من ملك واحد يمكن ان يقال عنه أنه اقوى، الجميع . فان عشرة او خمسة عشر ملكا يتبعون حمورابي (ملك) بابل . ومثل هذا العدد يتبعون ريم ـ سين (ملك) لارسا . ومثلهم يتبعون ايبال ـ بي ـ ايل (ملك)اشنونا . ومثلهم يتبعون ياموت ـ بي ـ ايل (ملك) قطنا . وعشرون ملكا يتبعون يارم ـ ليم (ملك) يمخد(١٠) وعندما اطمأن حمورابي الى متانة موقفه تفرغ الى توحيد ممالك حلفائه فمال ميزان القوى، الى جانبه منذ عام حكمه الثلاثين . وفرّ ريَم ـ سين الى منطقة يموت ـ بعل وتبعته القوات البابلية اليها ثم واصلت انتصاراتها فيما يليها من ارض عيلام وسيطرت على جزء منها وهكذا لتت جهود حمورابي وجيوشه ثمارها . واتسعت شهرة دولته فاعترفت بنفوذها آشور في الشمال وماري في الغرب حيث مدّ نفوذها الى بلاد سوريا وسيطرت على مراكز الامويين فيها . كما خضعت لها المناطق الجبلية الشمالية والشمالية الشرقية من العراق وهكذا غدت بابل ومنذ عام حكمه الثامن والثلاثين عاصمة لبلاد واسعة امتدت من بلاد سوريا وحتى الخليج العربي . واصبح سيد بلاد الرافدين بلا منازع بعد أن كانت البلاد وقت استلامه السلطة فيها تمتد من سپار شمالا حتى مدينة مراد (تل دليهم قرب نفر) اي الى حدود مدينة الديوانية . فلم تعم شهرة حمورابي على اعماله الحربية فحسب بل على الاصلاحات التي قام بها وعلى نشر الحضارة والثقافة البابلية في البلاد التي فتحها . ومن أهم اعماله التي نالت شهرة واسعة اصداره في اعوام حكمه الاخيرة قانونه الشهيرالذائع الصيت لتسري احكامه على ارجاء مملكته الواسعة والذي تضم فيه الحياة الاقتصادية والاجتماعية في البلاد وركز السياسة المركزية للبلاد . وحق له ان يتخذ اللقب « الملك العظيم » ملك بابل ملك بلاد الامورين كلها (بلاد الشام) . ملك بلاد سومر واكد . « ملك الجهات الاربع » وقد تم العثور على مسلته التي دون فيها شرائعه في مدينة سوسه عاصمة عيلام جنوب [illegible] أيران عام (١٩٠١ ـ ١٩٠٢ م) من

---

(١٠) د . عبد العزيز صالح . الشرق الادنى القديم . القاه[illegible] [illegible] لاول . ١٩[illegible] . ص٤٦٠ .

قبل البعثة الفرنسية ومحفوظة الان في متحف اللوفر في باريس . لقد سبق للعيلاميين ان سرقوها من العراق اثناء الغزو العيلامي على بلاد بابل في القرن الثاني - عشر ق . م[١١]

ويمكن تصنيف مواد قانونه الى عشرة انواع : -

١ - مواد تبحث بالدعاوى، وشملت الاتهام الباطل وشهادة الزور وتغيير القاضي لقرار حكمه بعد اصداره .
٢ - مواد خاصة بالاموال وفيها مواد تخص السرقات وخطف الاطفال وايواء العبيد .
٣ - مواد تتعلق بالعقار والاراضي وفيها التزام الاراضي الزراعية ومسؤوليات الفلاحين والمزارعين واخرى، خاصة بحوادث الري والبستنة والرعي .
٤ - مواد تبحث بالقضايا التجارية وشملت الموصلات والحانات ومحلات السكن والديون والرهن والامانات والودائع .
٥ - الاحوال الشخصية وفيها قضايا الزواج والطلاق والارث وتبني الاطفال والزنى .
٦ - الاعتداءات والمخالفات كالاستهانة بالوالد والاسقاط .
٧ - مواد تتعلق باجور اصحاب المهن ومسؤولياتهم . والمتعلقة بالاطباء والبياطرة والحلاقين والبنائين والملاحين وصناع السفن .
٨ - احكام خاصة بالفلاحين والماشية والالات الزراعية وتأجير العربات والحيوانات والعمال .

---

(١١) والمسلة منشورية الشكل من حجر الديوريت الاسود يبلغ ارتفاعها ٢٢٥ سم ومحيطها من الاعلى ١٦٥ سم ومن الاسفل ١٩٠ سم بينما يبلغ قطرها من الوسط ٦٠ سم وقد نحتت على الجزء العلوي من وجه المسلة نحتا بارزا يمثل اله الشمس « شمش » اله الحق والعدالة . جالسا على عرشه وبيده اليمنى عصا الراعي وخيط القياس الخاص بالبناء وتحديد الاسعار وهو يسلمها الى حمورابي . وتنبعث من كتفي الاله شمش حزمتان من الشعاع ترمزان الى اشعة الشمس المبددة للظلم والظلام . ويظهر حمورابي واقفا امامه بكل خشوع مرتديا لباسا خاصا شبيها بلباس الكهنة وعلى رأسه غطاء الرأس الخاص بالملوك الجزريين .
وفي اسفل النحت البارز تبدأ الكتابة المسمارية المنحوتة بها النصوص القانونية حول المسلة باربعة واربعين حقلا يفصل بين كل حقل واخر خط واضح . وتضمنت النصوص المنقوشة على المسلة المقدمة بخمسة حقول ونصف والقوانين وبلغ عددها ٢٨٢ مادة قانونية وعدد من المواد الاخرى مخربة لعلها كانت في الاصل ٣٠٠ مادة قانونية واخيراالخاتمة وقد شغلت خمسة حقول .
لقد خربت بقية المواد القانونية من قبل حاملي المسلة من بابل الى عيلام في محاولة لكتابة اسم الملك العيلامي شتروك - ناخونتي بدل حمورابي وكان الملك العيلامي قد هاجم بلاد بابل واستولى على مدينة سپار عام ١١٥٧ ق . م ومن المحتمل ان المسلة نقلت كجزء من الاسلاب التي اخذها العيلاميون اثناء غزوهم مدينة سپار .

٩ ـ الأسعار والاجور التي حددت فيها اجور الصناع وايجار السفن .
١٠ ـ مواد تتعلق بتملك وبيع العبيد .

وكان لوفاة حمورابي ايذانا بزوال امبراطوريته الواسعة الارجاء خيث لم يكن خلفاؤه الخمسة(١٢) من القوة وحسن الادارة بحيث يتمكنوا من المحافظة على الانتصارات التي حققها حمورابي . ولم تخل اعوام حكم خلفائه من تجريد الحملات العسكرية في الداخل والخارج للقضاء على محاولات الانفصال وصد الطامعين بخيرات وادي الرافدين الى ان قضى على كيان هذه السلالة الاقوام الحثية الغازية في حدود عام ١٥٩٥ ق . م . في عهد آخر ملوك سلالة بابل الاولى (سمسو ـ ديتانا Samsu - ditana) . حيث هجم في عهده الحثيون بقيادة ملكهم مرشيليش الاول على بلاد بابل حيث اتبع طريق الفرات اليها ودمروها وقفلوا راجعين الى آسيا الصغرى محملين بالغنائم والكنوز التي لا تحصى بعد سماعهم بحدوث مؤامرة في البلاط الحثي كان من نتائجها ان أغتيل مرشيليش الاول بعد عودته مباشرة وتركت بابل في فوضى سياسية واقتصادية بعد أن غزاها الحثيون واحرقوا قصورها ومعابدها وربما تركوا فيها حامية قليلة ، واستغلت الاقوام الغازية الكشية وهجمت على بلاد بابل وسيطرت عليها واقامت فيها سلالة حاكمة استمرت لعدة قرون .

أما في القسم الجنوبي من البلاد فقد قامت ثورة داخلية عارمة ضد سلطة ونفوذ بابل قام بها ايلوما ـ ايلوم واستقل في المناطق الجنوبية من البلاد مؤسسا بذلك مايعرف في تاريخ العراق القديم بأسم (سلالة القطر البحري) لمجاورتها لمناطق الخليج العربي والاهوار الجنوبية . وقد عرفت ايضا بأسم سلالة بابل الثانية (١٧٤٠ ـ ١٥٠٠ ق م) وقد خصصت لها جداول اثبات الملوك احد عشر ملكا . وتلا قيام هذه السلالة سلسلة من الحروب مابين ملوكها وبين ملوك سلالة بابل الاولى دمرت خلالها مدن جنوبية مهمة وظلت هذه السلالة منفصلة عن ملوك بابل ، الى مطلع السيطرة الكشية حيث قضى على استقلالها في حدود ١٥٠٠ ق . م .

---

(١٢) أعقب حمورابي في حكم البلاد ابنه سمسو ـ ايلونا (١٧٤٩ ـ ١٧١٢ ق . م) الذي اشتهر بحفر القنوات والترع وصد أحدى غزوات الكشيين ثم خلفه ابي ايشوخ (١٧١١ ـ ١٦٨٤ ق . م) وأمي ـ ديتانا (١٦٨٣ ـ ١٦٤٧ ق . م) وامي ـ صدوقا (١٦٤٦ ـ ١٦٢٦ ق . م) الذي اشتهر بتشييده سورا في الجنوب ليحمي بلاد بابل من الغزو الاجنبي . واخيرا تسلم الحكم في البلاد سمسو ـ ديتانا (١٦٢٥ ـ ١٥٩٥ ق . م) وهو الملك الحادي عشر من سلالة بابل الاولى وآخر ملوكها . وقد قام الملوك الخمسة بعدد من المشاريع العمرانية ومشاريع الري التي حافظت نسبيا على الوضع الاقتصادي العام في البلاد .

موجز الخصائص الحضارية للعصر البابلي القديم : ـ

تميزت فترة العصر القديم التي استمرت اكثر من اربعة قرون بخصائص حضارية جعلتها بحق من ازهى العصور التاريخية حضاريا واغناها بما خلفته لنا من نصوص مسمارية واثار تدل على التقدم الحضاري الذي وصل اليه سكان بلاد وادي الرافدين خلال تلك الفترة . وفيما يلي أهم تلك الخصائص : ـ

١ ـ الوضع السياسي : ـ

سبق أن ذكرنا عن احوال البلاد السياسية التي اعقبت سقوط امبراطورية اور الثالثة في حدود ٢٠٠٦ ق . م وشملت فترة طويلة امتدت حتى نهاية سلالة بابل الاولى ١٥٩٥ ق . م . وكان من الناحية السياسية في بداية امره عبارة عن عصر ممالك ودويلات مدن مستقلة حكمت متعاصرة ومتحاربة وتصفية احداها الاخرى ، حتى ان بعض الباحثين اطلقوا على هذه الفترة مصطلح « عصر دول المدن الثاني » تمييزا لها عن دول المدن الاولى التي ظهرت في عصر فجر السلالات والتي تم توحيدها من قبل لوكال زاكيزي ومن ثم سرجون الاكدي . وكانت كل دولة من دويلات المدن الامورية تسيطر على جزء من البلاد وتتبع نظمها وقوانينها وتقاليدها الخاصة ولها سلالتها الحاكمة . وكانت كل السلالات الحاكمة في جميع الدويلات التي برزت بعد سقوط سلالة اور الثالثة وحتى توحيدها من قبل حمورابي من الاقوام الامورية القادمة من الغرب . وانفرد بزعامة البلاد الملك حمورابي سادس ملك من ملوك سلالة بابل الاولى (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق . م) الذي وحد القطر في مملكة واحدة كبرى، عرفت فيما بعد بالامبراطورية البابلية والتي شملت بعض الاقاليم المجاورة للعراق .

٢ ـ التركيب السكاني واللغوي : ـ

تميزت هذه الفترة بهجرة الاقوام العربية القديمة ومنهم الاقوام الامورية (الكنعانيين الشرقيين) الى مختلف بلاد الشام وبلاد وادي الرافدين فتغيرت البنية العامة فيهما من النواحي القومية والسياسية واللغوية . فقد طغى الطابع الاموري على الطابع السومري من الناحية السياسية منذ سقوط سلالة اور الثالثة وتفردت بالحكم الاقوام العربية القديمة الى نهاية الدولة الكلدية عام ٥٣٩ ق . م . وهكذا أصبحت اللغة الاكدية لغة التدوين الرسمية والدبلوماسية في سائر أحاء الشرق الادنى القديم .

٢ ـ الحركة العلمية : ـ

اتسعت عملية التدوين باللغة الاكدية في حضارة بلاد وادي الرافدين في العصر البابلي القديم حيث ظهرت حركة واسعة في التدوين والتأليف والنقل والترجمة ، وفي مقدمتها تدوين المعارف والعلوم والتي بدأت في طور نضجها

فقد قام عدد من الكتاب القدماء باستنساخ العديد من التأليف السومرية الدينية والادبية اما بلغتها السومرية الاصلية او ترجمتها الى اللغة الاكدية وادخال التعديلات والتغيرات اللازمة عليها بما يتلاءم والظروف والفكر الجديد ومن ابرز التأليف التي أستنسخت وترجمت بما يتلاءم والظروف والفكر الجديد ومن أبرز التأليف التي استنسخت وترجمت في هذه الفترة ملحمة كلكامش وقصة الطوفان البابلية التي كان بطلها رجل حكيم اسمه (اتراخاسيس = اوتونابشتم) الذي استطاع انقاذ نسل البشرية من الدمار الذي ارسلته الالهة للقضاء على الارض ومن فيها . وكذلك قصة الخليقة البابلية الموسومة « اينوما ايلش » (عندما في العُلا) التي تتحدث عن الصراع الرهيب الذي حدث بين قوى الخير المتمثلة بالاله مردوخ اله مدينة بابل . وقوى الشر المتمثلة بالالهة تيامة .

وهناك الكثير من الاساطير والقصص الدينية الاخرى . كما ظهرت في هذه الفترة محاولات لتأليف نصوص تشبه المعاجم اللغوية(١٣) الحديثة دونت باللغتين السومرية والاكدية وتعريف الكتاب الاكديين بالمصطلحات السومرية ووضع مرادفات لها كما في اللغة البابلية . بدأ الكتبة البابليون منذ هذا العصر يؤلفون نصوصا لغوية مهمة بعضها بهيئة معاجم لشرح العلامات المسمارية من ناحية قيمتها الصوتية ومرادفاتها البابلية . فقد خلفوا لنا نماذج متنوعة من هذه المعاجم بعضها بهيئة جداول باسماء النباتات والحيوانات والمدن والمواقع الجغرافية واسماء الاشياء والمواد المختلفة . وهناك نصوص اخرى عبارة عن جداول منفصلة للاحداث المهمة مرتبة حسب تاريخ وقوعها كما دونت أسماء الملوك والسلالات المتعاقبة وهذا مانسميه باثبات الملوك أوجداول الملوك .

---

(١٣) ان النصوص المعجمية موجودة منذ أقدم العصور التاريخية واقصد به عصور فجر السلالات وماتلاها لاسيما ماعثر في كيش . ونفر وابو الصلابيخ ومؤخراً في ابلا (تل ماردیخ) .

٤ ـ السياسة الداخلية :

لقد اتبعت دويلات المدن الامورية سياسة مركزية تعتمد على سلطة الملك المطلقة دون اي تدخل من قبل الكهنة وسبق للسلطة الدينية أن انفصلت عن السلطة الدنيوية منذ اواخر عصر فجر السلالات الا أن هذه الظاهرة لم تظهر بوضوح الافي العصر البابلي القديم .

ومما يؤيد ذلك سعة وضخامة القصور الملكية التي شيدها بعض ملوك السلالات الامورية مثل قصر زمري ـ ليم في ماري وقصر بلالاما في اشنونا وقصر سين ـ كاشد في الوركاء والتي ضمت المئات من الغرف في حين ان المعابد في هذه الفترة اقتصرت على الاجنحة وبعض الغرف الضرورية فقط . وكان القصر الملكي يدعى بالسومرية (اي ـ كال) (E. GAL) وبالاكدية « ايكالوم » "ekallum" ومعناها البيت العظيم والذي أصبح له مكانة مهمة في هذا العصر واصبح احدى مميزاته .

٥ ـ نظام ملكية الأراضي :

استطاعت الدولة في العصر البابلي القديم من أن تسيطر على العديد من الاراضي نتيجة الحملات العسكرية التي قامت بها فأصبحت هذه الاراضي ملكا للدولة المتمثلة سلطتها في القصر الملكي . وتقلصت بموجب ذلك الاراضي العائدة للمعبد الذي كانت له الهيمنة عليها فيها سبق . واصبحت الاراضي الملكية على ثلاثة اصناف وهي :ـ

١ ـ الاراضي الملكية الخاصة التي تستغل من قبل العاملين في القصر الملكي أو التابعين له لسد حاجات البلاط .
٢ ـ الاراضي الملكية المقطوعة او الممنوحة التي كانت تقطع الى الافراد مقابل خدمات معينة يقدمونها الى القصر الملكي .
٣ ـ صنف الاراضي المؤجرة التي كانت تؤجر الى الفلاحين مقابل أجرة مقطوعة او حصة من انتاج الغلة .

لقد ركز حمورابي على الصنف الثاني حيث وزع الاقطاعيات على بعض الافراد في القوات المسلحة وعدد من اصحاب المهن والحرف والصناع والتجار مقابل خدمات مجانية كانت تقدم للقصر . وكان هدف حمورابي من ذلك هو ربط هؤلاء الافراد بالارض من جهة وليضمن ولاءهم له ودفاعهم عن املاكهم من جهة اخرى .

لقد شاعت الملكية الخاصة للاراضي والعقارات في هذه الفترة ايضاً . فقد اصبح بامكان كل فرد ان يمتلك ارضاً عن طريق الشراء كما كان بامكانه ان يتصرف بارضه الا اذا كانت من صنف الاراضي العائدة للقصر (اي الاراضي الملكية الممنوحة التي لايسمح ببيعها او شراءها او رهنها) .

د ـ الناحية الدينية :

اشرنا فيما سبق في السياسة الداخلية الى الاهتمام بالقصور ففي هذا العصر تميزت المعابد بصغر حجمها مقارنة بالقصور الملكية فقد اقتصرت المعابد على المرافق الضرورية فقط . فلم تظهر في هذا العصر المعابد الفخمة ذات الزقورات المرتفعة التي تعرفنا عليها في العصور السابقة ولاسيما في عصر سلالة اور الثالثة . بل ان بعض المعابد من العصر البابلي القديم كانت نماذج مصغرة للمعابد القديمة وقد شيدت تابعة للبيوت اذ خصصت لعبادة افراد الاسرة . وقد شيدت المعابد الصغيرة ايضاً في الطرقات وخصصت لعبادة الالهة الثانوية . وهذا مايشير الى علاقات شخصية مع الالهة ، وهو اتجاه جديد في الديانة يدور حول تعلق الفرد بالالهة لاعن طريق السلطة . فمع أن الاله امورو الذي يتسمى الاموريون باسمه كانت لديه معابده الخاصة به غير انه لم يحظ باحتفاء ولا بشهرة كبيرة . فقد ارتقى الاله مردوخ الى المنزلة الاعلى في مجمع الالهة وامتلاكه لقوى الاله انليل الاله القومي للسومريين ، وهكذا فقد اصبح مردوخ الاله القومي للبلاد وعلى رأس مجموعة الالهة العراقية القديمة في هذا العصر . وكانت المعابد (بيوت الالهة كما كانت تسمى) ذات شكل وحجم متنوعين . فكان بعضها مجرد مصليات صغيرة ، تشتمل على فناء مكشوف له محراب وقاعدة للتمثال المقدس . كما كانت هناك معابد اخرى تضم عدة اقبية وغرف لايواء سكان المعبد وموظفيه . فكانت المعابد الرئيسة لبلاد وادي الرافدين تشترك بخصائص معينة . حيث تشتمل على فناء كبير محاط بغرف صغيرة تستخدم كمأو او مكتبات ، ومدارس للكهنة ، ودوائر ، وورشات ، ومخازن ، واقبية ، واصطبلات . وكانت تجري في المعبد الطقوس الدينية والاحتفالات في المناسبات والاعياد . وظلت الديانة في بلاد وادي الرافدين تتصف بمبدأ الشرك اي عبادة الهة عديدة . وهي الصفة التي ظلت ملازمة للديانة العراقية القديمة الى اخر ادوارها التاريخية .

٧ ـ القوانين المدونة :

لقد تم العثور على العديد من القوانين البابلية وهي مدونة بنصوص مسمارية من هذا العصر وتعد بحق اقدم واكمل مجموعة قوانين مكتشفة في العالم حتى الآن باستثناء قانون اورنمو مؤسس سلالة اور الثالثة ٢١١٣ ق . م الذي سبق ذكره فتعد مجموعة قوانين لبت ـ عشتار خامس ملوك سلالة ايسن التي وصلت منها سبع وثلاثون مادة ، اربعة منها تالفة وبعضها ناقصة . وقانون أشنونا الذي حوى، احدى وستين مادة قانونية . وقانون حمورابي اهم المجموعات القانونية المتوفرة حتى الآن ويتألف من ٢٨٢ مادة قانونية .

وشملت المواد القانونية لهذه الشرائع مختلف نواحي الحياة فعالجت القضايا الاقتصادية والاجتماعية ولم يتطرق قانون حمورابي الى الناحية السياسية او الدينية . وقد صدر في السنوات الاخيرة من عهده وطبق على جميع المدن والاقاليم التي اصبحت خاضعة للامبراطورية البابلية ، وضم القانون مختلف القواعد والاحكام القانونية التي كانت سائدة في ارجاء البلاد ونسقها ونقح فيها وعدل البعض منها واضاف اليها تبعاً للظروف السياسية التي مر بها العراق حينذاك .

الكشيون
(الفترة المظلمة الثانية)

الكشيون من الاقوام الجبلية التي كانت تقطن منطقة جبال زاكروس (لورستان حالياً) جنوب همدان وكان يجاورهم من جهة الشمال اقوام جبلية اخرى منهم الكوتيون واللولوبو . ولا يعرف شيئاً مؤكداً عن اصلهم ولغتهم وموطنهم الاول ولعلهم كانوا من جملة الاقوام الهندية الاوربية(١٤) التي انحدرت من منطقة السهوب الواقعة بين قزوين وبحر آرال واتجهت نحو الشرق القديم وضغطت على مراكز الحضارة فيه كالاقوام الحثية والخورية . وفي عهد الملك (سمسو ـ ايلونا) ابن وخليفة حمورابي استطاع في عام حكمه التاسع من صد الخطر الخارجي لمجموع الكشيين وكسر جيشهم . وواصل الملوك الاربعة الذين خلفوا سمسو ـ ايلونا الدفاع عن البلاد والمحافظة عليها طوال القرن الذي استغرقته مدة حكمهم . فنجد الملك ابي ـ ايشوخ الذي خلف سمسو ـ ايلونا يصد خطرا خارجياً آخر قام به الكشيون ومع نجاح هذا الملك في صدهم فقد تغلغلت جماعات منهم في بلاد بابل وعملوا فيها أجراء ومرتزقة بينما ظلت قبائلهم طامعة في الخيرات والسيطرة على بلاد بابل ، ولكنه لم يفلح في منع كاشتلياش الاول زعيم الكشيين من تأسيس كيان سياسي في منطقة عانة (Ḫanat خانة القديمة) على الفرات الاوسط . كما ان هذا الملك بذل جهود كبيرة لاخراج ايلوما ـ ايلوم من مكمنة في اهوار جنوب العراق فاقام سداً على دجلة ولكنه لم يفلح في الامساك بغريمه . فبقيت (سلالة القطر البحري) في الحكم رغم محاولات الملوك الذين جاءوا من بعده في اخضاعها والقضاء على كيانها السياسي .

ومع ان الغزاة الكشيين هم الذين خلفوا سلالة بابل الاولى في السيطرة على حكم البلاد الا ان نهاية السلالة البابلية كانت على ايدي الحثيين . فقد صادف قيام مملكتهم في بلاد الاناضول في حدود القرن السابع ق . م . ومن اشهر ملوكهم الاقوياء الملك المسمى « حاتوشيليش » نسبة الى عاصمة هذه المملكة « حاتوشا » (بوغاز

---

(١٤) يطلق هذا المصطلح (الاقوام الهندية الاوربية) على عائلة لغوية واسعة تضم اللغات التي تنطق بها شعوب بعيدة بعضها عن بعض كبعد امريكا عن الهند واسكندنافيا عن اسبانيا . وتنحدر كل اللغات الاوربية الحديثة (باستثناء لغة اقليم الباسك في اسبانيا واللغة الفلندية والهنكارية) . اضافة الى اللغة الارمنية والفارسية وعدد كبير من اللهجات الهندية وعلى الرغم من الاختلاف الواضح بين تلك اللغات . الا انه من السهولة بمكان اظهار ترابط بعضها مع البعض بشكل دقيق .

كوي حالياً) فقد زحف هذا الملك على بلاد الشام واستولى على بعض مدنها غير ان مدينة حلب عاصمة مملكة يمخد الامورية قاومته وصدته . ويبدو انه قتل في المعركة وخلفه في الحكم ابنه مورشيليش الاول (١٦٢٠ ـ ١٥٩٠ ق . م) الذي نجح في السيطرة على حلب ودمرها ثم استولى على كركميش (طرابلس الآن) واتجه بعد ذلك جنوباً على طوال نهر الفرات الى بابل نفسها . اما الذي حدث بعد ذلك فهو امر نجهله اذ لم يذكر لنا البابليون شيئاً عن تلك الحادثة المؤلمة . بل اقتصر الامر على اشارة عابرة وردت في احد التواريخ البابلية المتأخرة من ان جيوش بلاد الحثيين زحفت على الملك سمسو ـ ديتانا وعلى بلاد اكد . غير ان الرواية الحثية تشير الى ان مورشيليش الاول بعد ان دمر مدينة حلب واخذ الغنائم والاسرى توجه الى بابل واحتلها واخذ منها الغنائم الى حاتوشا . ويروى لنا احد الملوك الكشيين المسمى (اكوم الثاني) « اكوم ـ كاكريمة » (١٦٠٢ ـ ١٥٨٥ ق . م) من بين الغنائم التي نهبها الحثيون من بابل كان تمثال الاله مردوخ وتمثال زوجته الالهة صربانيتوم ولكن لاسباب غير معلومة لم ينقلها الحثيون معهم الى عاصمتهم بل تركوها في عانة اثناء انسحابهم اليها فقام هذا الملك الكشي من اعادتها الى بابل مستغلاً فرصة انسحاب الحثيين منها فزحف على بابل واعتلى عرشها في حدود ١٥٩٥ ق . م ، والذي ترك شاغلاً بمقتل اخر ملوك سلالة بابل الاولى سمسو ـ ديتانا من قبل الحثيين . وهكذا سيطر الغزاة الكشيون على حكم البلاد فعرفت سلالتهم باسم سلالة بابل الثالثة وكانوا يطلقون على البلاد في ذلك الوقت اسم « كار ـ دونياش » واستمروا في سيطرتهم اكثر من اربعة قرون (١٥٩٥ ـ ١١٥٧ ق . م) . ولكن لانعرف ماذا كانت هناك علاقة مابين الملك الكشي اكوم ـ كاكريمة والملك الحثي مورشيليش الاول الذي غزا بابل ماراً من منطقة الفرات الاوسط فهل تحالف الغزاة بغزوة عسكرية مشتركة على بابل ؟ ولعل التساؤل الثاني اقرب الى الواقع التاريخي لانه يفسر سبب انسحاب الحثيين من بابل كما ان بعض الغنائم التي اخذها الملك الحثي من بابل من بينها تمثالي الاله مردوخ وزوجته الالهة صربانيتوم قد تركها في منطقة عانة .

وبعد ان استوطن الكشيون بلاد بابل تعلموا اللغة البابلية وكتبوا بها كما استعملوا اللغة السومرية والكشية في بعض اخبارهم النزيرة واقتبسوا الحضارة البابلية ومارسوها وقلدوا فنها في مبانيهم ومعابدهم وتماثيلهم ولم يقم ملوكهم الاوائل باعمال تستحق الذكر الا ان بعضهم شيد المعابد في بابل والمدن الجنوبية .

وكان كل ماأضافوه للبلاد انهم ادخلوا اليها سلالات جديدة من خيول سهوب اسيا التي طغت شيئاً فشيئاً على انواع الحمير الجبلية وسلالة السيسو القديمة . وغيروا بعض وحدات الاوزان والمقاييس . وأرخ الكتبه الكشيون بسني حكم ملوكهم بعد ان كان العراقيون يؤرخون بالاحداث الرئيسية اكثر من غيرها . وشيد بعض ملوكهم مدناً جديدة نسبوها الى انفسهم . ومنها دوركوريكالزو (اي مدينة كوريكالزو) او (حصن كوريكالزو) مدينة عقرقوف حالياً على بعد ٣٠ كم غرب بغداد . لم يكن الكشيون ذوي حضارة زاهرة تضاهي حضارة العراق القديمة . بل كانوا اقواماً جبلية متنقلة تميزت بقابليتها على القتال فحسب . وعندما سيطرت بلاد بابل اخذت الكثير من حضارتها الزاهرة .

ان معلوماتنا عن فترة حكمهم في العراق قليلة ولا تتناسب وطول الفترة الزمنية التي شغلتها السلالة الكشية كما لاتتناسب والمعلومات الوفيرة الموجودة لدينا عن الفترة السابقة لها . وقد سمى بعض الباحثين فترة حكمهم في العراق بالفترة المظلمة الثانية لقلة معلوماتنا عنها اولاً ولركود الحضارة النسبي فيها ثانياً .

عبد الكشيون الهة العراق القديم الى جانب الهتهم القومية باسمائها القديمة وقد اتبع ملوكهم سياسة ملوك الشرق القديم في اكتساب دور رجال الدين وتأكيد القربى من الالهة عن طريق الهبات والاقطاعيات للمعابد واعفائها من الضرائب . وكانوا ينفقون على بعض هذه الهبات من خزائنهم ويسجل رجالهم اخبارها على مسلات حجرية مخروطية صغيرة غير منتظمة الشكل تسمى احجار الحدود كودورو او احجار تثبيت حدود الاملاك والعقارات واسمها باللغة الاكدية « كودورو » (Kudurru) والتي تعني الحد او التحديد الا انها كانت في الواقع بالدرجة الاولى سجلات باقطاعات تخص الاراضي الزراعية . تسجل فيها حدودها واوصافها وتودع عادة في المعابد مع وجود نسخ منها يتم تسجيلها على رقم الطين تكون في حوزة المالكين . ويقسم الحجر عادة الى قسمين فنشاهد في اعلى الوجه صور منحوته بالنحت البارز تمثل رموز الالهة فيشاهد من اشهر هذه الرموز قرص الشمس . رمز الاله شمش والهلال . رمز اله القمر سين اوننا والفاس والمحراث الصغير . رمز الاله مردوخ والكوكب . رمز الالهة عشتار . مع صور الحيوانات العائدة الى مثل هذه الالهة . كل ذلك للتمسك بنصوص الوثيقة . وينقش على ظهر الحجر النص المطلوب بذكر اسم المالك صاحب القطـ[illegible] الارض والامتيازات الاخرى الممنوحة له واسماء الشهود . وتذكر لعنات الالهة المختلفة في ختام النص على كل من يحاول ان يبدل نصوصها او يكسر الحجر .

وجرى الملوك على السياسة القديمة في منح الاقطاعيات العقارية للمقربين اليهم من العسكريين والمدنيين . ويبدو انهم حرروا ملكيتها بحيث اصبحت اشبة بالاملاك الخاصة باصحابها .

وتابع الكشيون عادة الغزاة محبي الاستقرار في اتخاذ رعاية المعابد ستارا ينسي الناس اصلهم الدخيل القديم . فاصلحوا معابد بابلية كثيرة واعادوا بناءها وبقيت من شواهد معابدهم الجديدة اطلال زقورة ضخمة بجانب قصر الحاكم في عاصمتهم دور كوريكالزو ، وهي على غرار زقورة اور وتصرفوا في شتى المجالات كملوك حكماء طيبين لذلك نرى، ان اول عمل قام به اكوم ـ كاكريمة بعد ان اصبح ملكا على بابل هو استعادة تمثالي مردوخ وزوجته صربانيتوم من عانة واعادة اقامتهما في بابل واحتفل بهما احتفالاً ضخماً ، كما انه قام باعادة بناء معبد الاله مردوخ في بابل . ويعتقد ان هذه الايماءة كان يستهدف منها كسب قلوب البابليين وعدّ هؤلاء الملوك الاجانب انفسهم الورثة الشرعيين للسلالة المنقرضة .

تعتمد معلوماتنا الرئيسة عن الكشيين على بضعة نصوص ملكية بعضها موجز وضئيل القيمة تاريخياً . الى جانب عدد من الرسائل القليلة والنصوص الاقتصادية والتجارية والقانونية وان هناك مصدراً مهما عن هذا العصر وعن علاقاتهم مع الدول المجاورة لم يأت الينا من بلاد بابل بل من وادي النيل ويقصد بذلك رسائل تل العمارنة(١٥) ومن مصادرنا المهمة عن العصر الكشي مايعرف باسم التاريخ التعاصري بين ملوك بلاد اشور وملوك بلاد بابل . وقد جمعه احد الكتبة الاشوريين في القرن السابع ق . م .

بالاضافة الى هذه المصادر الكتابية نضيف ماظهرته التنقيبات الاثارية المختلفة من اثار وبقايا في الطبقات الاثرية العائدة لهذه الفترة . بالاضافة الى موقع عقرقوف الذي اقتصرت بقاياه على العصر الكشي فقد كشفت لنا التنقيبات الاثارية العراقية التي اجريت فيه بين الاعوام (١٩٤٣ ـ ١٩٤٦ م) عن قاعدة الزقورة وسلمها الجميل

---

(١٥) يقع تل العمارنة على الضفة اليمنى من نهر النيل جنوب القاهرة بثلثمائة كيلو متر . وهو عاصمة الفرعون المصري اخناتون من السلالة الثامنة عشر من عصر الامبراطورية المصرية .
وقد وجدت فيه عن طريق الصدفة في اواخر القرن الماضي زهاء (٣٥٠) رسالة رسمية مدونة بالخط المسماري وباللغة البابلية . باستثناء ثلاث رسائل اثنتان منها باللغة الحثية والثالثة باللغة الخورية . وكانت هذه الرسائل قد تبودلت بين الفرعون امنوفس الثالث وابنه الفرعون امنوفس الرابع (اخناتون) في القرن الرابع عشر ق . م وبين ملوك الشرق الادنى القديم وحكام سوريا وفلسطين التابعين للامبراطورية المصرية .

اضافة الى ثلاثة معابد وقسم من قصر مزين بمنحوتات جصية يضم ممشى مسقفاً ذا اربعة اعمدة تعد تجديداً معمارياً ثانياً . وقد كرست تلك المعابد الى (العائلة المقدسة) انليل وننليل وابنهما ننورتا . والمرجع ان كوريكالزو الاول كان المؤسس الاول للمدينة ثم وسعها من بعده خلفاؤه وبوجه خاص الملك كوريكالزو الثاني . وتشير النصوص المسمارية المتوفرة الى انه تعاقب على حكم البلاد عدد من الملوك لانعرف عنهم سوى اسمائهم وبعض اعمالهم العسكرية والعمرانية . فقد صادف حكم السلالة الكشية في العراق تعاظم عدة قوى في المنطقة وظهورها على المسرح السياسي في منطقة الشرق الادنى القديم منها الدولة الاشورية بعد ان تخلصت من النفوذ الميتاني والدولة الحثية في اسيا الصغرى وشمال سوريا ومملكة مصر الحديثة في عهد اسرتها الثانية عشر وحتى الاسرة العشرين .

وقد اتصفت سياسة الكشيين الخاصة تجاه هذه القوى بالعلاقات السليمة وكسب ود القوى الكبرى في المنطقة كلما كان ذلك ممكناً غير ان هذا لا يعني ان الكشيين لم يدخلوا الحرب مطلقاً او انهم استسلموا لتلك القوى كي لا يدخلوا الحرب معهم بل انهم كانوا يتجنبون الحرب قدر الامكان . ومع ذلك فقد دارت عدة معارك عسكرية بينهم وبين الدولة الاشورية وكانت حدودها الشمالية مع بلاد اشور تتغير للظروف السياسية وثبتت الحدود بعد نزاع طويل بين الكشيين والاشوريين وعقدت معاهدة بين الجانبين وعرفت هذه النصوص بالتاريخ التعاصري والتي كان لها اهمية كبيرة في دراسة تاريخ الاشوريين والكشيين . اما علاقة الكشيين بالفراعنة المصريين فقد كانت ودية جداً واكتسبت العلاقة بينهما بطابع الصداقة الشخصية خلال القرن الرابع عشر ق . م وتمخضت هذه الصداقة عن المصاهرة السياسية بينهما واكثر من مرة .

وفي القرن الثالث عشر ق . م وقعت بابل فريسة لاطماع العيلاميين بعد معركة قوية بين القوات الغازية الكشية من جهة والعيلامية من جهة اخرى، اندحر فيها ملك الكشيين فتدخل الاشوريون في الوضع وسيطروا على بلاد بابل لمدة سبع سنوات نصب خلالها الملك الاشوري توكلتي ـ ننورتا الاول (١٢٤٤ ـ ١٢٠٨ ق . م) ثلاثة ملوك كشيين تابعين له .

ثم استعاد الكشيون سيطرتهم على البلاد وظلوا يحكمون فيها حتى جاءت نهايتهم في عهد اخر ملوكهم انليل ـ نادن ـ اخي في عام ١١٥٧ ق . م حيث غزا القائد العيلامي شوتروك ـ ناخنتي بلاد بابل فدمرها وقضى على اخر ملوك

الكشيين فنقل العيلاميون من بابل والمدن الاخرى غنائم لاتحصى واسلاب كثيرة من تماثيل الالهة والمسلات وكنوز المعابد وكثير من تلك الاسلاب عثرت عليها البعثة الفرنسية التي كانت تشتغل في مدينة سوسه عاصمة العيلاميين عام ١٩٠١ ــ ١٩٠٢ ومن جملة ذلك مسلة حمورابي الشهيرة ومسلة الملك الاكدي مانشتوسو ومسلة ابنه نرام ــ سين التي تعرف بمسلة النصر . وعدد من احجار الحدود المنقوشة برموز الالهة .

بلاد بابل بعد انتهاء الغزو الكشي
سلالة أيسن الثانية (سلالة بابل الرابعة)

لم يدم احتلال الغزاة العيلاميين لبابل فترة طويلة . فقد انسحب الملك العيلامي شيلاك انشوشناك وترك حامية من جنده فيها . فاغتنم الفرصة زعماء مدينة (ايسن) واعادوا استقلال البلاد وطردوا الحامية العيلامية . وقامت في البلاد سلالة وطنية حاكمة عرفت باسم سلالة ايسن الثانية والتي دعيت بسلالة بابل الرابعة . وقد حكم فيها احد عشر ملكاً دام حكمهم زهاء القرن (١١٥٧ ــ ١٠٢٥ ق . م) وكان اولهم الملك مردوخ ــ كابت ــ اخيشو . ولقد ساعدت ظروف المنطقة وخاصة ضعف الدولتين المجاورتين الاشورية والعيلامية . وملوك هذه السلالة من اعادة القوة والازدهار للبلاد . حتى ان بعض ملوكها بلغ من القوة درجة بحيث استطاع التدخل في شؤون بلاد اشور الداخلية . اما ملكها الرابع المسمى نبوخذ نصر الاول (١١٢٤ ــ ١١٠٣ ق . م) فيعد واحداً من اشهر ملوك بلاد وادي الرافدين ممن استطاعوا مقارعة العيلاميين ووضع حداً لتجاوزاتهم واعتداءاتهم على البلاد فقد انتهز ضعف بلاد عيلام فجهز حملة عسكرية لتأديبها وذلك نتيجة ماقامت به من تجاوزات وسرقة عندما دنسوا المعابد البابلية وسلبوا تماثيل الهتها التي نقلت الى سوسه . والراجح ان هذه الحملة اتبعت الطريق التقليدي الى عيلام مروراً بمدينة الدير بالقرب من مدينة بدرة الحالية الا انه اخفق في محاولته الاولى حيث توغل الى داخل الاراضي العيلامية . لكنه اضطر الى التوقف ثم الانسحاب عند نقطة غير معروفة على وجه التحديد عند نهر او لاي (فرع نهر الكرخة) وذلك بسبب تفشي المرض بين جنوده . ثم عاد الكره واحرز نجاحاً ساحقاً في حملته الثانية التي حشد فيها الكثير من العربات الحربية من المدن البابلية والقرى الحدودية التي كانت تسكنها قبيلة كرزيابكو . وقد استخدم عنصر المباغتة ضد العدو العيلامي . اذ انه شن

حملته في شهر تموز الذي يعد من اشد اشهر السنة حرارة وجفافاً وفي الوقت الذي لم يكن يتوقع العيلاميون قيام البابليين بمثل هذا العمل العسكري . وتعرف تفاصيل هذه الحملة باسم وثيقة النصر وهي مدونة على حجرة حدود (كودورو) والتي هي عبارة عن وثيقة رسمية يدون عليها تفاصيل الاقطاعات من الاراضي والحقول والامتيازات التي تمنح رسمياً للاشخاص مقابل خدمات او انجازات معينة . وان وثيقة النصر هذه مزينة في واجهتها بالرموز التقليدية للالهة والتي وزعت على ستة حقول متتالية من اعلى الواجهة الى اسفلها اما النص الكتابي فانه جاء في عمودين طويلين بلغ مجموع اسطر كل منهما ٦٠ سطراً أي ان الوثيقة تحتوي برمتها على ١٢٠ سطر والتي قسمت على اربعة اقسام تذكر تفاصيل الحملة ضد عيلام . وتفاصيل الامتيازات التي منحها الملك نبوخذ نصر الاول الى رتي – مردوخ قائد العربات للجناح الايمن تقديراً لبطولته في المعركة وهو شيخ قبيلة كرزيابكو التي كانت تستوطن في القرى الحدودية الشرقية لبلاد وادي الرافدين وتشمل الوثيقة ايضاً قائمة بالاشخاص الذين حضروا اعلان الوثيقة كشهود وقد بلغ عددهم ثلاثة عشر شاهداً . وكذلك نلاحظ الدعاء الموجه لكل الالهة العظمى في انزال اللعنة والاذى والشر والمرض على كل من يحاول تحريف او تزوير مضمون الوثيقة او كسرها او حرقها .

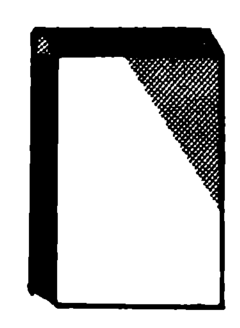
لقد ترك لنا نبوخذ نصر خبر حملته هذه مدوناً على هذه المسلة والتي تم العثور عليها في مدينة سبار (ابو حبه) او ربما في منطقة قريبة منها عام ١٨٨٢ م . والتي ضمنها اضافة الى وصف احداث المعركة وصفاً ادبياً ممتعاً . الاقطاعات والامتيازات التي منحها لقائد العربات رتي – مردوخ جزاء شجاعته وبطولته .

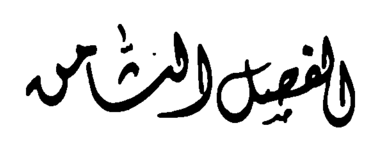
عاد نبوخذنصر الاول من عيلام وهو محمل بالغنائم وكان من ابرزها واعظمها شأناً تمثال الاله مردوخ اله مدينة بابل الذي سبق ان نهبه العيلاميون في وقت سابق عندما غزوا البلاد . وجرت اعادته الى معبد (أي – ساك – ايلا (E. SAG. ila وسط احتفالات كبيرة . اما الفترة الزمنية التي تلت حكم نبوخذ نصر الاول فانها تميزت بصورة عامة بتعرض سلالة ايسن الثانية (سلالة بابل الرابعة) الى تحديات قوية تمثلت بانتعاش الاشوريين وعودتهم كقوة مؤثرة في شمال وادي الرافدين خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد تعرضت بلاد بابل الى ضغوط من الاقوام الارامية وتدخلهم في شؤون السلطة السياسية .

وقد تزايد شأن الاراميين بمرور الزمن في بلاد بابل حيث توالت على الحكم سلالات ارامية لانعرف الكثير عنها .

وكانت نهاية المطاف ان بلاد بابل تعرضت لمواجهة عسكرية اشورية بزعامة الملك الاشوري سرجون الثاني (٧٢١ - ٧٠٥ ق . م) وبين الارامیین بزعامة مردوخ - ابلا - ادنا (٧٢١ - ٧١١ ق . م) الذي يعرف باسم (مردوخ بلادان) ملك القطر البحري (من سلالة بابل التاسعة) ولما فرغ الملك الاشوري من اعماله العسكرية في شمال وغرب البلاد توجه نحو الجنوب وحارب مردوخ بلادان وفتح بابل فهرب الاخير الى اقصى الجنوب .

وتعرضت بابل الى الحملات التاديبية من قبل الملوك الاشوريين سنحاريب واسرحدون واشور بانيبال الذين سعوا لتوحيد البلاد . وعندما تمرد شمش - شوم - اوكن شقيق آشور بانيبال ضد اخيه الملك وبتحريض من قبل الاقوام العيلامية فجرد الاخير حمله عسكرية تأديبية على بابل والامراء المتمردين فاخضعهم جميعاً وفتح بلاد عيلام ودمر عاصمتهم سوسه كما فتح مدينة بابل وتم توحيد البلاد .





الاشوريون
نزوحهم واستقرارهم

الادوار الحضارية والعصور التاريخية التي مرت بها بلاد اشور

عصور ماقبل التاريخ
عصر تقدم الحضارة السومرية والاكدية
عصر سيادة الاشوريين السياسية
العصر الاشوري القديم
المراكز التجارية الاشورية في اسيا الصغرى
العصر الاشوري الوسيط
العصر الاشوري الحديث
الامبراطورية الاشورية الاولى
الامبراطورية الاشورية الثانية
سقوط الامبراطورية الاشورية

الفصل الثامن

الاشوريون

الاشوريون من الاقوام الجزرية التي وفدت من الجزيرة العربية واستقرت في القسم الشمالي من العراق والتي كانت تتكلم احدى لهجات اللغة الاكدية في النصف الثاني من الالف الثالث قبل الميلاد .

كانت مناطق استقرار الاشوريين بعد هجرتهم من الجزيرة العربية على ضفاف نهر الفرات . ثم اندفعت بعد ذلك الى القسم الشمالي من بلاد وادي الرافدين واستقرت على ضفاف نهر دجلة . وربما يعود سبب اندفاعهم الى تغير الظروف المناخية في الجزيرة العربية ووجود مناطق جذب ذات عناصر حضارية متميزة كونتها لهم بلاد وادي الرافدين خلال تلك الفترة .

عرفت منطقة استقرارهم في شمالي العراق باسم بلاد آشور وهو اسم ماخوذ من اسم مراكزهم الحضارية اشور الذي اصبح عاصمة لهم . وتقع اشور في بقعة استراتيجية هامة امتازت بتحصيناتها بالمتانة فسيطرت على الطريق الذي يصل سومر واكد من جهة وبين الاقاليم الشمالية واراضي الجزيرة العليا من جهة اخرى وقد قامت على انقاضها الشرقاط الحالية .

كما عرف الههم باسم اشور ايضاً . غير اننا مازلنا نجهل اصل هذه التسمية وهل انها اطلقت في بداية الامر على البلاد على البلاد التي استقروا فيها او انها كانت تطلق على الاشوريين ثم سميت البلاد بهذا الاسم او انها اطلقت على الههم القومي اشور ثم اصبحت صفة نعت بها الاشوريون .

غير ان الرأي السائد والذي يؤكد من ان اسمهم مشتق من اسم مدينتهم هو ان اسماء الاقوام الاخرى، التي استقرت في بلاد وادي الرافدين كالسومريين والاكديين والبابليين اذ اننا لم نجد اية مجموعة من هذه الاقوام اطلقت على نفسها اسم الاهها القومي .

ومن خلال ذلك يمكن القول ان اسم الاشوريين مشتق من اسم مدينتهم اشور التي ورد ذكرها في النصوص الاكدية بصيغة (Aš - Šur[ki]) كما ورد اسمها في نصوص ابلا (تل ماريديخ غرب مدينة حلب) بصيغة (A-Šur[ki]) .

كما ورد في بعض النصوص القديمة كلمة (Gasur) والتي تكون مشابهة للفظة اشور وتدل دلالة واضحة على قدم هذه التسمية وعلى هذا الاساس فان تسمية الاشوريين نسبة الى مدينتهم شأنهم في ذلك شأن البابليين الذين عرفوا بهذا الاسم نسبة الى مدينة بابل والاكديين نسبة الى مدينة اكد(١) .

لم يكن اسم اشور معروفاً قبل منتصف الالف الثالث قبل الميلاد بل كان يطلق على السكان القاطنين في المنطقة اسم السوباريين . اما اسم البلاد فكان يعرف باسم سوبارتو . وعند مجيء الاشوريين الى المنطقة غلب اسمهم عليها . وعلى هذا الاساس فقد نعت الاشوريون باسم السوبارتيين في بعض النصوص المسمارية ولا سيما نصوص العهد البابلي القديم ، حيث يشير الملك دادوشا ملك اشنونا (اوائل الالف الثاني قبل الميلاد الذي وصف جيوش يسمخ ـ ادد الاول حاكم مدينة ماري بجموع السوبارتو وخانة . كما وصف المتمرد الكلدي مردوخ بلادان الثاني (٧٢١ ـ ٧١١ ق . م) ، جيش سرجون الاشوري بمجموع السوبارتو وملك سوبارتو . ويبدو ان الاشوريين اطلقوا على انفسهم اسم سوبارتو في بعض نصوص الفأل(٢)

الادوار الحضارية والعصور التاريخية التي مرت بها بلاد اشور : ـ

يمكن تقسيم تاريخ اشور والذي امتد فترة طويلة جداً ابتداء من اقدم ظهور للانسان في المنطقة في العصور الحجرية القديمة وحتى تدهورها وسقوطها في عام ٦١٢ ق . م بالادوار الرئيسة التالية : ـ

---

(١) ذكرت الالواح المسمارية بلاد اشور باسم (مات ـ اشوركي māt-A-Šur[ki]) وقد تكون ذات صلة بالتسمية السومرية (آ ـ اوسار A. USAR) وذكر اهلها باسم الاشوريين وبقيت اشور تكتب بحرف الشين الواحد الى منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد . وفي زمن الملك اشور ـ او باللط كتبت بتضعيف حرف الشين وقد ورد ذكرها بشكل AN. ŠAR وتعني AN السماء اما ŠAR فتعني الافق فيكون اسم المدينة افق السماء

(٢) انظر طالب منعم حبيب ، سنحاريب ، سيرته ومنجزاته ، رسالة ماجستير جامعة بغداد غير منشورة مايس ١٩٨٦ ص ٥ ـ ٨ .

١ ـ عصور ماقبل التاريخ :

وتشمل الفترة المحصورة ما بين ظهور اقدم استيطان للانسان في المنطقة وحتى بداية المرحلة التاريخية في العراق بداية ظهور الكتابة في اواسط الالف الرابع ق . م

٢ ـ عصر تقدم الحضارة السومرية والاكدية : ـ

وتشمل هذه الفترة من بداية عصور فجر السلالات في القسم الجنوبي من العراق وحتى نهاية حكم سلالة اور الثالثة ٢٠٠٦ قبل الميلاد . حيث كانت بلا آشور ضمن النطاق السياسي والثقافي للدولة العراقية في تلك المرحلة .

٣ ـ عصر سيادة الاشوريين السياسية ويمكن تقسيمه الى الاتي : ـ

أ ـ العصر الاشوري القديم : ـ

ويبدأ من بداية العصر البابلي القديم في حدود عام ٢٠٠٠ ق . م وينتهي بحدود ١٥٢١ ق . م .

ب ـ العصر الاشوري الوسيط :

ويبدأ من حوالي ١٥٢١ وينتهي ببداية فترة حكم ادد نراري الثاني عام ٩١١ ق . م .

جـ ـ العصر الاشوري الحديث : ـ

ويعرف ايضاً بعضر الامبراطوية الاشورية ونظراً لطول الفترة الفترة الزمنية لهذا العصر والذي يبدأ من ٩١١ ق . م وينتهي عام ٦١٢ ق . م . فقد قسم الى طورين اساسيين يمثل الاول عهد الامبراطوية الاشورية الاولى (٩١١ ـ ٧٤٥ ق . م) بينما يمثل الثاني عهد الامبراطورية الثانية (٧٤٥ ـ ٦١٢ ق . م) التي انتهى بنهايتها تاريخ الاشوريين السياسي .

١ ـ عصور ماقبل التاريخ :

يعود تاريخ منطقة اشور الجغرافية والتي كانت تعرف في الفترة الاولى ببلاد سوبارتو Subartu الى دور حضارة حلف على اقل تقدير حيث كانت مركزاً لها .

ومن المحتمل كانت مهدها . ثم طغى على هذه الحضارة ماعرف فيما بعد بحضارة العبيد ذات الاصل الجنوبي التي اصبحت بالتالي الحضارة الرئيسة المنتشرة في جميع ارجاء بلاد وادي الرافدين واخيراً وصلت الحضارة السومرية الى بلاد اشور ولعل ذلك بعد ظهورها في جنوبي العراق ببضعة قرون . واستخدم الاشوريون الخط المسماري الذي ابتدعه السومريون وطوره الاكديون والبابليون وتكلم الاشوريون لهجة من لهجات اللغة الاكدية ، وهي اللغة التي انتشر استخدامها في انحاء الوطن منذ اواسط الالف الثالث قبل الميلاد وحتى اواخر القرن الاول الميلادي .

ومنذ ان استوطن الاشوريون القسم الشمالي من العراق ، عرفت المنطقة في النصوص المسمارية ببلاد اشور . واشترك في هذا الاسم كل من ارضها وعاصمتها والاهها القومي وسكانها الاوائل ، مع تحويره في التشكيل والنطق .

وقد شهدت المنطقة التي عرفت ببلاد اشور اولى مستوطنات انسان العصر الحجري القديم في العراق التي تركز وجودها في شمالي العراق ولاسيما العصور الحجرية القديمة والحديثة ، دون القسم الجنوبي من العراق الذي لم يكن مأهولاً بالسكان . وكشف عن مخلفات العصر الحجري القديم في عدد من الكهوف والمغارات . وفي العصر الحجري الحديث ضمت بلاد آشور اولى المستوطنات الزراعية ، وكان الانسان العراقي القديم يعيش في تلك العصور حياة بدائية بسيطة معتمداً فيها على مايصطاده من الحيوانات وما يمكن جمعه من ثمار وحبوب برية ، حتى تغيرت حياته من جمع القوت الى انتاج القوت بعد ان اهتدى الى الزراعة وتدجين الحيوانات ، غير ان التحديات الطبيعية التي واجهها الانسان لم تكن في القوة والقسوة بحيث تدفعه الى توحيد الجماعات الصغيرة التي كانت تعيش في القرى الزراعية البسيطة في وحدات كبيرة ومتطورة على غرار ماحدث في القسم الجنوبي من العراق بل ظلت حياتهم بسيطة لفترة طويلة من الزمن حتى بدأت بوادر الحضارة الناضجة التي ظهرت في القسم الجنوبي من العراق واخذت تمتد بتأثيرها نحو الشمال .

وهكذا كان الاشوريون خلال الالفين الثالث والثاني قبل الميلاد ، وكذلك خلال الالف الاول قبل الميلاد ، على اتصال وثيق بما كان يجري في القسم الوسطي والجنوبي من العراق من تطورات حضارية ، بل واصبحوا في عصرهم الحديث جزء من تلك التطورات يتأثرون بها ويؤثرون فيها .

ومعلوماتنا عن الفترة الطويلة من تاريخ الانسان العراقي القديم قليلة جداً تعتمد على مايمكن استنتاجه من الاثار المادية التي خلفها لنا العراقي القديم في مستوطناته . وان هذه الاثار والبقايا المادية تشير دون شك الى التطور الذي احرزه الانسان القديم في اطوار العصور الحجرية المختلفة حتى استقر قرب حقوله ومزارعه في العصر الحجري الحديث والعصر الحجري المعدني .

واذا تجاوزنا عصور ماقبل التاريخ التي سبق الحديث عنها والتي انتهت بأبتداء الكتابة كوسيلة للتدوين في دور الوركاء وجمده نصر في معظم انحاء البلاد . يمكننا ان نقسم تاريخ الآشوريين الطويلة الى اربعة مراحل رئيسة : ـ

١) ـ عصر تقدم الحضارة السومرية والأكدية : ـ

كانت بلاد اشور طوال الالف الثالث قبل الميلاد ضمن النفوذ الحضاري والسياسي ، للدولة السومرية والأكدية التي قامت في القسم الجنوبي والوسطي من العراق . وان معلوماتنا عن هذه الفترة لاسيما في بلاد آشور قليلة جداً .

وكان الوضع في بلاد اشور في هذه الفترة مشابها الى حد كبير للوضع في بلاد سومر جنوبي العراق ، فقد نشأت عدة مدن ومراكز حضارية في بلاد آشور كمدينة آشور ونينوى، وغيرها . وربما كان بعضها على هيئة دويلات مدن صغيرة ومستقلة .

واصبحت بلاد اشور بعد ذلك جزءاً من امبراطورية سرجون الأكدية ضمن النطاق السياسي والثقافي للامبراطورية الأكدية التي جاءت لتقضي على عصر التجزئة والانقسامات التي شملت عصر فجر السلالات واقامت في البلاد دولة موحدة ضمت معظم اجزاء العراق من الشمال الى الجنوب . وتشير المعلومات المتوفرة الى ان مدينة آشور كانت تمثل احد المراكز الأدارية المهمة التابعة للدولة الأكدية في حين اظهرت التنقيبات التي اجريت في كل من مدينتي آشور ونينوى، شيوع العناصر الحضارية والسياسية الأكدية في بلاد آشور حيث عثر على عدد من المباني ذات الطابع الأكدي . ففي مدينة نينوى، عثر في الطبقة السادسة من معبد الالهة عشتار على اسطوانة حجرية منقوشة بكتابة يرقى تاريخها الى عهد الملك الاكدي (نرام ـ سين (٢٢٩١ ـ ٢٢٥٥ ق . م) كما عثر في نينوى، ايضاً على رأس تمثال من النحاس المسبوك لملك يظن انه سرجون او حيفده نرام ـ سين . كما تم العثور على تمثال من البرونز لشاب جالس وعليه كتابة تحمل اسم الملك نرام ـ سين اضافة الى عدد من القطع الفنية الاخرى، والابنية التي تحمل الطابع الاكدي الفني .

اما في مدينة آشور فقد تم الكشف عن عدد من النصوص التي تذكر اسم الملك الاكدي مانشتوسو بن سرجون واخاه ريموش اضافة الى الكشف عن ابنية ضخمة من بينها قصر واسع وجزء من زقورة معبد الاله انليل تحمل طابعاً اكدياً .

ولا تقتصر التأثيرات الأكدية في بلاد آشور على الاساليب والطرز العمارية والفنية والمعتقدات الدينية ، بل جاوزتها لتشمل اللغة والكتابة فاللهجة الآشورية القديمة تمثل احدى اللهجات الأكدية ، فقد اقتبس الاشوريين الكتابة المسمارية من السومريين واستخدموها طوال حياتهم السياسية .

اما الآشوريون أنفسهم ، فقد احتفظوا بذكرى طيبة للاقوام الاكدية بصورة عامة حتى ان قسماً من الملوك الآشوريين اتخذوا اسم مؤسس السلالة الاكدية سرجون اسماً ملكياً خاصاً لهم . ويبدو من كل ذلك ان مدينة اشور كانت مركزاً ادارياً مهماً من مراكز الامبراطورية الأكدية في بلاد اشور . ومن الالقاب الاكدية التي احتفظ بها ملوك بلاد اشور « ملك جميع البلدان » (شار كيشّات ـ ماتاتي) « وملك العالم » (شار ـ كيشاتي) ، وكان اقدم من استعمله من الملوك الآشوريين الملك شمشي ـ ادد الأول ، وهي القاب لم يستعملها البابليون كثيراً ، بأستثناء الملوك الكشيين الذين اخذوها من الاشوريين على مايرجح .

انتهى العهد الأكدي كما مر بنا بهجمات الكوتيين من المناطق الجبلية الشرقية ومن المرجح ان الكوتيين دمروا بلاد آشور ولم تقل فداحة التخريب عما وقع من بلاد سومر واكد كما تشير الى ذلك آثار التخريب في الطبقات السكنية التي يرقى تأريخها الى فترة الاحتلال الكوتي ، وذلك في مدينة آشور ونينوى ، ولايعرف هل ان بلاد اشور وقعت تحت نفوذ الاقوام الكوتية التي قضت على الدولة الاكدية أم انها استقلت عن الجنوب واقامت لها سلالة محلية .

وما ان تم طرد الاقوام الكوتية الغازية من البلاد ، بقيام سلالة أور الثالثة السومرية في اواخر الالف الثالث قبل الميلاد ، حتى عملت على اعادة توحيد البلاد وضم بلاد آشور سياسياً وحضارياً الى الدولة العراقية الموحدة .

وقد كشفت التنقيبات التي اجريت في مدينة نينوى عن معبد شيده الحاكم الاشوري زاريقم للالهة عشتار « سيدة القصر » من اجل حياة سيده امار ـ سين ملك اور . وبعبارة اخرى ، فان الحاكم زاريقم كان تابعاً للملك السومري في اور ، وكانت سلالة اور الثالثة قد اقامت لها دولة مركزية موحدة شملت جميع انحاء

القطر بما في ذلك بلاد آشور .. وبعد سقوط سلالة اور الثالثة في نهاية الالف الثالث قبل الميلاد استقلت بلاد آشور مع غيرها من الاقاليم المهمة في البلاد التي كانت تابعة لنفوذ سلالة اور الثالثة واقامت فيها سلالة محلية كانت بداية لعصر سيادة الاشوريين السياسية الذي اطلقنا عليه اسم العصر الاشوري القديم .

٢ ـ العصر الاشوري القديم : ـ

يبدأ من سقوط سلالة اور الثالثة وحتى منتصف الالف الثاني قبل الميلاد ، وهي الفترة المقابلة تقريباً لفترة العصر البابلي القديم .

وقد قامت في مدينة آشور كما في غيرها من المدن الرئيسة في العراق سلالة حاكمة مستقلة . وكان الصراع بين السلالات الحاكمة في بداية هذا العصر عنيفاً جداً من اجل السيطرة على الطرق التجارية والاراضي الزراعية ، واستمر هذا الصراع لفترة جاوزت القرنين ـ اخذت بلاد آشور بالتقدم نحو الاستقلال رويداً رويداً ، ففي زمن الملك الاشوري (ايلو شوما) الذي كان معاصراً لمؤسس سلالة بابل الاولى الذي حكم في اوائل الالف الثاني قبل الميلاد كانت فيه بلاد آشور مستقلة بل امتد نفوذها السياسي الى الجنوب . وكذلك بلغت مملكة آشور القديمة شأناً عظيماً من النفوذ في زمن ملكها الشهير شمشي ـ أدد الاول (١٨١٤ ـ ١٧٨٢ ق . م) الذي فتح مدناً كثيرة في اواسط العراق وعلى الفرات كمدينة ماري وفي اواخر عهده ظهر الملك البابلي الشهير حمورابي .

واعقبه في حكم بلاد اشور ابنه اشمي ـ دكان الذي حكم فترة طويلة من الزمن . وانتهى استقلال البلاد من بعده أو استطاع الملك البابلي حمورابي ان يضمها الى امبراطوريته الواسعة التي شملت جميع الدويلات والمدن العراقية القديمة في الشمال والجنوب . كانت عاصمة العهد الاشوري القديم مدينة اشور (قلعة الشرقاط حالياً) وهي من اقدم المدن الاشورية واقدسها وتقع على بعد ثمانين كيلومتراً جنوب الموصل على يمين نهر دجلة .

لقد تميزت هذه الفترة من تاريخ العراق القديم بتدفق الاقوام الامورية القادمة من شبه الجزيرة العربية عن طريق سوريا الى شمال وجنوب العراق في القرون الاولى من الالف الثاني قبل الميلاد ، وقد اصاب بلاد اشور نصيب من تلك الهجرات وان لم يكن بالقدر الذي اصاب بلاد بابل . وقد استطاعت هذه الاقوام الامورية

بتأسيس عدد من الدول والممالك التي اقتسمت البلاد بعد سقوط سلالة اور الثالثة . وكان من بين تلك السلالات التي قامت في هذه الفترة سلالة محلية في بلاد اشور . ومعلوماتنا عنها قليلة . وفي الغالب غامضة لاتعد احياناً اسماء لبعض الملوك والحكام واعمالهم العمرانية . كما ورد في جداول الملوك الاشوريين .

فقد تمكن احد الزعماء الاموريين من الاستقرار في المنطقة الواقعة مابين نهري الخابور ودجلة وحكمها خلفاؤه كاتباع للاشوريين الى ان تمكن احدهم من الاستيلاء على آشور واعتلاء عرش البلاد . وفي الوقت عينه تمكن زعيم اموري اخر من ان يصبح ملكاً على مدينة ماري . ومنذ ذلك الحين ارتبط مصير المملكتين العظيمتين كل منهما بالاخرى . فقد بدأت بينهما علاقات حسن الجوار أولاً ولكنها سرعان ماتغيرت وتمكن الاشوريون من السيطرة على ماري بعد ان اغتيل ملكها ياهدون ـ ليم .

وبعد ان انتهت فترة الاضمحلال التي كانت تمر بها بلاد اشور في اواخر القرن التاسع عشر قبل الميلاد تمكن الملك الاموري شمشي ـ أدد الاول من استلام السلطة في اشور وتأسيس سلالة جديدة بعد ان تسلم زمام الحكم وسيطر على بلاد اشور ووسع نفوذه وسيطرته على المنطقة الشرقية من البلاد وكذلك الى المنطقة الغربية حتى وصل الى ساحل البحر المتوسط . واتبع سياسة حازمة وعين احد ولديه (يسمخ ـ أدد) حاكماً على ماري وعين الابن الاخر اشمي ـ دكان حاكماً على ايكلاتم وهكذا خضع حوضي دجلة والفرات لسلطان الاشوريين . ولكن ذلك لم يدم طويلاً . حيث دابت بعض القبائل على احداث القلاقل وتهديد ممتلكات الدولة الاشورية وخاصة بالنسبة لمملكة ماري . واخيراً تمكنت مملكة بابل في السنة الثانية والثلاثين من حكم الملك حمورابي من ان تستولي على مدينة ماري وتسيطر على بلاد اشور . وظلت بلاد آشور تحت نفوذ الدولة البابلية طوال حكم الملك حمورابي .

ومعلوماتنا عن هذه الفترة قليلة نسبياً وربما استقلت اشور بعد وفاة حمورابي وقامت فيها سلالة محلية لانعرف عنها سوى بعض اسماء حكامها . وظل الوضع في بلاد اشور مرتكباً وغامضاً الى ان اعتلى العرش الاشوري بوزر ـ اشور الثالث عام ١٥٢١ ق . م . والذي يؤشر عهده بداية عصر جديد من تاريخ بلاد اشور .

بدأت الصلات . ولاسيما التجارية والحضارية ما بين حضارة العراق القديم وبين اسيا الصغرى، منذ عصور ماقبل التاريخ وازدادت اتساعاً في عصر دويلات المدن للمتاجرة بالمواد المهمة مثل الصوف والفضة وغيرها .

وسبق ان ذكرنا ان هناك علاقات تجارية بين العراق وبلاد الاناضول في عصر سرجون الاكدي . حتى ان الملك سرجون ارسل حملة عسكرية الى تلك البلاد لنجدة جالية من التجار الاكديين استغاثت وطلبت النجدة منه لرفع الاضطهاد الذي كانت تلاقيه من اهل البلاد . وتشير الاخبار التاريخية والقصص المماثلة الاخرى، الى سيطرة نرام ـ سين على اسيا الصغرى، . وقد تم العثور على نسخ من هذه القصص في العاصمة الحثية خاتوشا (بوغازكوى،) في عهد الملك الحثي حاتوشيليش واتسعت الصلات ما بين بلاد اشور وبين بلاد الاناضول في العصر الاشوري القديم . فقد قامت فيها جملة من المراكز التجارية الاشورية . في الاجزاء الشرقية من البلاد التي عرفت فيها بعد باسم « كبدوكيا » والتي كشفت فيها مجموعة من النصوص المسمارية . تشير احداها من ان الملك الاشوري ايلو ـ شوما (اوائل الالف الثاني ق . م) كان من القوة الى درجة انه قام بحملة على بلاد بابل . ربما للسيطرة على الطرق التجارية الموصلة ما بين بلاد عيلام والخليج العربي من جهة وبين بلاد اشور والمراكز التجارية في انضوليا من جهة اخرى، . فقد جائتنا معلومات هامة عن العلاقات التجارية ما بين بلاد اشور وشرقي بلاد الاناضول وذلك من النصوص المسمارية المكتشفة في منطقة كبدوكيا في موقع كانيش(٢) (كول تبة حاليا) ـ فقد اشارت هذه النصوص التي دونت باللغة الاكدية الى وجود جماعات من التجار الاشوريين كانت تقطن في مراكز تجارية ذات تنظيمات ادارية وقانونية خاصة بها . وكان كل مركز تجاري من هذه المراكز يدعى بالمصطلح الاكدي « كاروم » وكان تجار الكاروم يمارسون مختلف الاعمال التجارية . ويقومون بدور الوسيط بين الدولة الاشورية الأم وبين الدويلات المحلية في بلاد الاناضول. فكانت القوافل التجارية الاشورية تذهب محملة بالمنسوجات والملابس وخامات القصدير والرصاص وتعود بالسلع المستوردة الى

---

(٢) كشفت التنقيبات الاثارية على [illegible] من الواح الطين المكتوبة بالخط المسماري والبالغ عددها اكثر من ١٦,٠٠٠ لوح . نشر منها حوالي ٢,٠٠٠ لوح في الفترة المحصورة ما بين ١٨٨٢ ـ ١٩٦٣ م . فقد جاءت جميع هذه الالواح المكتوبة عن طريقة التجار الاشوريين منذ بداية الالف الثاني قبل الميلاد .

بلاد اشور كالذهب والفضة والنحاس والاحجار الثمينة . ولهذا الغرض كان للكاروم مخازن للبضائع التجارية . وبالاضافة الى هذه الاعمال المختلفة فانه كان يقوم بوظيفة المصرف للمداينات والقروض والشؤون المصرفية الاخرى . وكانت التجارة تدر ارباحاً وفيرة على بلاد اشور .

وكان لكل مركز من هذه المراكز التجارية كيان مستقل من الناحية الادارية والقانونية . وقد صادف فترة قيام هذه المراكز الاشورية تحرك الاقوام الهندية ـ الاوربية في المنطقة مما ادى، في النهاية الى قيام الدولة الحثية في بلاد الاناضول وهكذا عم الارتباك السياسي في اسيا الصغرى، نتيجة تحرك الاقوام الهندية ـ الاوربية . فانهارت الكيانات السياسية المحلية وتدهور نشاط هذه المراكز التجارية وانقطعت اخبارها بعد فترة وجيزة من ذلك التحرك . ولعله اسهم في تدهور الوضع في بلاد اشور قبيل قيام سلالة شمشي ادد الاول .

ويستدل من الوثائق التي خلفها لنا اولئك التجار مجموعة مهمة من الرسائل وكثيراً ماكان التزاوج يتم مابين التجار الاشوريين وبين السكان المحليين . ويبدو من طبيعة اعمال هذه المراكز التجارية انها كانت خاضعة سياسياً لامراء الدويلات المحلية مع تمتعها بنوع من الاستقلال الذاتي والحماية العسكرية مقابل دفع ضرائب معينة للامراء المحليين . اما علاقة هذه المراكز مع الدولة الاشورية فانها على مايبدو علاقة الفرع بالاصل . وقد شيد الاشوريون عدة معابد لعبادة الهتهم القومية وعلى راسها كبير الالهة الاشورية اشور . اما لغتهم المدونة فكانت تتمثل باستخدام الخط المسماري للكتابة وكانت لغتهم اقرب اللهجات الى اللغة الاكدية القديمة . وقد كان للاشوريين في بلاد الاناضول دور مهم في نقل العديد من العناصر الحضارية الاشورية الى بلاد الاناضول ومنها الى اوربا .

٢ ـ العصر الاشوري الوسيط :

شهدت بلاد اشور خلال هذا العصر الذي دام فترة طويلة زادت عن ستة قرون احداثاً هامة وتقلبات وتغيرات سياسية وعسكرية واجتماعية وحضارية في غاية الاهمية .

لقد بقيت بلاد اشور تحت الحكم البابلي الى ان سقطت بابل اثر الغزو الحثي للبلاد عام ١٥٩٥ ق . م . ولما تراجع الحثيون عنها احتلها الكشيون واقاموا سلالتهم

الحاكمة التي استمرت حتى القرن الثاني عشر قبل الميلاد . وقد حاولت بلاد اشور ان تحافظ على علاقتها مع السلالة الكشية الحاكمة حتى تتمكن من تقوية جبهتها الداخلية وحدودها الخارجية لتعيد النظر في سياستها معهم . فقد ظهر في بلاد اشور امراء اقوياء كافحوا طويلاً في جبهات مختلفة واستطاعوا في تثبيت الحكم الاشوري خلال خمسة قرون وكانوا في كفاح مرير ضد القبائل الارامية القادمة من الغرب والخوريين (Hurru) الذين شكلوا المملكة الميتانية في منطقة كركوك وضد الدولة الحثية في بلاد الاناضول والتي تسيطر على الفرات الاعلى والخابور . وضد اطماع الملوك الكشيين الذين فرضوا سيطرتهم على الشمال ايضاً. وقد خرج امراء بلاد اشور من تلك الازمات والصعاب التي تعرضوا لها . أقوياء اشداء كاملي النمو والكيان السياسي وقد انتعشت الدولة الاشورية في هذه المرحلة في عهد ملكها اشور او باللط (١٣٦٥ ـ ١٣٣١ ق . م) الذي حرر بلاده من سيطرة الميتانيين وتمكن من تقوية دولته الفتية من الداخل ورفع شأنها الى ان اصبحت من القوى الرئيسة في الشرق الادنى القديم .واتبع سياسة حكيمة مع جيرانه . فعلاقة اخناتون فرعون مصر مع الدولة الاشورية كانت علاقة صداقة وود متكافئة على الرغم من محاولات الملك الكشي الحاكم في بابل تقويض تلك الصداقة لكي تتاح له الفرصة من السيطرة على بلاد اشور . غير ان تعاظم قوة الدولة الاشورية جعل الكشيين يغيرون سياستهم بسياسة جديدة وهي سياسة التعايش السلمي . فعقدت معاهدة صداقة بين الطرفين ثبتت بموجبها حدود الطرفين . وختمت المعاهدة بمصاهرة سياسة تزوج بموجبها ولي العهد الكشي من ابنه الملك الاشوري .

وتلا اشور ـ او باللط في حكم البلاد عدد من الملوك الاقوياء قاموا بجهود مشكورة في تأمين حدود بلادهم وتزايد قوة دولتهم ووضوح سياستها وقد شهد عهدهم ضغطاً متزايداً من القبائل الارامية القادمة من الغرب وتمردات الاقوام الجبلية من الشرق فكانت بلاد اشور مهددة من جهاتها المختلفة بالاخطار التي كادت تؤدي بانهيارها لولا قيادة الدولة الاشورية الحكيمة التي خلقتها تلك التحديات . وكان من بين هؤلاء القادة الملك الأشوري شيلما نصر الاول (١٢٧٤ ـ ١٢٤٥ ق . م) رابع خلفاء اشور او باللط الذي تميز عهده بالحملات العسكرية المتتالية على الاقوام الجبلية وعلى مملكة اورارتو (ارمينيا حالياً) وبلاد الكوتيين ومملكة خاني كلبات الميتانية التي الحقت اراضيها بالدولة الاشورية وورد في اخبار حملته هذه ذكر احدى القبائل الارامية الكبيرة المعروفة بأسم احلامو او (اخلامو) ومن اعماله العمرانية المهمة التي ذكرتها أخبار الملوك الذين اعقبوه. تأسيس مدينة كالح او

كالحّو (نمرود حالياً) عاصمة جديدة للملكة الاشورية خصصها لتكون بالدرجة الاولى عاصمة عسكرية .

وقد اعاد بناءها ووسعها الملك الاشوري آشور ناصربال الثاني (٨٨٣ ـ ٨٥٩ ق . م) وخلف شليمانصر الاول على عرش اشور ملك كفوء هو ابنه توكلتي ننورتا الاول (١٢٤٤ ـ ١٢٠٨ ق . م) وكان ملكاً قوياً استمر في عهده تعاظم الدولة الاشورية .

واشتهر من بين اعماله العسكرية سيطرته على بابل بعد ان هزم الملك الكشي كاشتلياش الرابع وضمها الى مملكة آشور وهكذا اصبحت بابل ولاول مرة تحت الحكم الاشوري المباشر . غير ان قوة الدولة الاشورية لم تستمر طويلاً حيث عادت وانكمشت ثانية وتقلص نفوذها وتدهور الوضع العام وضاعت بعض المتكللات الشرقية من البلاد حتى مجيء الملك الاشوري تكلاً تبلازر الاول عام ١١١٦ ق . م . الذي استطاع ان يعيد الى البلاد بنشاطه وكفاءته ماضاع منها فقام بحملات عسكرية ناجحة في الشمال الشرقي والشمال من البلاد حتى وصل الى البحر الاسود ثم اتجه غرباً نحو سواحل اسيا الصغرى، وفينيقية كما تمكن من القضاء على ضغوط القبائل الآرامية في الغرب .

ونهج سياسة اجلاء (في الأكدية **gallatu**) سكان الاقاليم والبلدان المتمردة الى اماكن اخرى، وهي السياسة الاشورية التي سار عليها من تبعه من الملوك الاشوريين . وشن بعض الحملات العسكرية على بلاد بابل بعد ان ساءت العلاقة بين الاشوريين والكشيين . وقد شهدت هذه الفترة نهاية السلالة الكشية واقامت سلالة جديدة في بابل عرفت بسلالة ايسن الثانية او (سلالة بابل الرابع) التي اشتهرت بملكها الرابع المسمى نبوخـذنصر الاول (١١٢٤ ـ ١١٠٣ ق . م) فقد انتهز هذا الملك فرصة الانهيار الذي حدث في مملكة عيلام فهاجمها وانتصر عليها انتصاراً حاسماً كما اشرنا سابقاً .

انتهت فترة الانتعاش والقوة العسكرية في بلاد آشور بمقتل تكلا تبلازر الاول ودخول البلاد ثانية في فترة ضعف وارتباك سياسي واقتصادي دامت حتى نهاية العصر الاشوري الوسيط عام ٩١١ ق . م) .

وقد استغلت القبائل الآرامية(٤) هذا الضعف فزادت من ضغطها على حدود الدولة الآشورية من الغرب وسيطرت على منطقة الفرات الاوسط والتي كانت تابعة للنفوذ الاشوري . واقامت لها عدة دويلات حاكمة صغيرة منذ مطلع الالف الاول قبل الميلاد . وانتشرت في بلاد سوريا والعراق واثرت تأثيراً مباشراً على السياسة العامة في المنطقة . حتى ان مؤسس الدولة الاخيرة التي قامت في بابل وهي الدولة الكلدية كانوا من الآراميين وقد قضوا اخيراً على الآشوريين وأنهموا تاريخهم السياسي ونقلوا العاصمة من الشمال الى بابل ودخلت البلاد في تلك الفترة مرحلة جديدة .

٤ ـ العصر الآشوري الحديث :

يمكن تقسيم هذا العصر الذي شمل الثلاثة قرون الاخيرة من تاريخ الآشوريين السياسي الذي يبدأ من تولي الملك ادد ـ نراري الثاني الحكم عام ٩١١ ق . م . الى دورين متميزين من النهوض والقوة والازدهار تتخللهما فترة من الضعف والانتكاس وينتهي هذا العصر بسقوط العاصمة نينوى عام ٦١٢ ق . م .

لقد توفر للاشوريين قائد عظيم يستثير هممهم ويثبت قواعد حكمه ويوسع نفوذ الدولة الآشورية على تخوم المنطقة الغربية حول نهري الفرات والخابور وأمن حدوده الجنوبية . حيث ان بلاد بابل اصبحت في هذه المرحلة عاجزة وضعيفة ووقعت تحت نفوذ الدولة الآشورية . وهكذا بدأ ادد ـ نراري الثاني هذا العصر الذي وصل فيه الاشوريون الى قمة مجدهم وعنفوان قوتهم وامتدت امبراطوريتهم لتشمل معظم انحاء الشرق الادنى القديم من اسيا الصغرى شمالاً حتى الخليج العربي جنوباً ومن عيلام شرقاً وحتى مصر غرباً .

فكانت بذلك من اعاظم الامبراطوريات التي عرفها العالم القديم . والتي غلب عليها الطابع الحربي .

هناك عدة عوامل داخلية وخارجية ساهمت في تعاظم قوة الدولة الاشورية وازدهار حضارتها وتأسيس امبراطوريتهم الواسعة . ان الظروف السياسية العامة التي كانت تمر بها بلدان الشرق الادنى القديم في العصر الاشوري الوسيط في مطلع

٤) القبائل الآرامية نوع من الاقوام الجزرية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية وظلت تجوب في بوادي الشام والفرات وتهدد امن وسلامة الطرق التجارية والسلالات الحاكمة في المنطقة واثروا تأثيراً واسعاً في تاريخ الشرق الادنى القديم .

الالف الاول قبل الميلاد المتمثلة بالامبراطورية الحثية في اسيا الصغرى، وشمال سوريا والدولة الميتانية في اعالي ما بين النهرين والدولة الكشية في بلاد بابل والمملكة المصرية تتقاسم السيطرة والنفوذ على بلدان الشرق القديم . اضافة الى ضغوط القبائل الجبلية في جبال زاكروس التي كانت مصدر خطر دائم على الاشوريين . والقبائل الآرامية الجزرية الجوالة في بوادي الشام والعراق مما منع الآشوريين من توسيع نفوذهم واقامة دولة قوية تهمين على على بلاد آشور نفسها . وما ان اختفت القوى، القديمة التي كانت تنافس الدولة الاشورية من على المسرح السياسي والعسكري او انهارت وقل شأنها منذ اواخر العصر الاشوري الوسيط حتى ظهرت قوى، اخرى، جديدة أشد خطراً واكثر تأثيراً ولاسيما على الدولة الآشورية .

ففي الجبهة الشمالية والشمالية الشرقية كانت ضغوط الاقوام او القبائل الجبلية مثل دولة اورارتو الجبلية على اشدها والتي كانت تتحين الفرص للانقضاض على المدن ومراكز الحضارة الآشورية متى سنحت لها الفرصة لذلك ومتى ما كانت الحكومة المركزية ضعيفة وكادت تقضي على الدولة الآشورية لولا ثبات قواتها وصلابتها . ولم تكن من السهولة السيطرة على هذه المناطق الجبلية الوعرة وعلى مناطق التمرد فيها كمنطقة زاموا (سهل شهرزور) واقليم تشخان (جنوب شرقي تركيا) وبلاد نائيري والقبائل الميدية (شمال غربي ايران) بالاضافة الى الاورارتو . بل كانت من الامور الصعبة التي شغلت القيادة الاشورية وقطعاتها العسكرية لسنين طويلة . وفي الجبهة الغربية زاد ضغط القبائل الآرامية وغاراتها على حدود بلاد اشور الغربية وكانت هذه القبائل قد انتشرت في انحاء سوريا منذ مطلع الالف الاول قبل الميلاد . واقامت لها عدداً من الدويلات والممالك الصغيرة منها دويلة ارام نهر ايم (بين الخابور والفرات) وفدان ــ آرام . ومركزها مدينة حران . وارام صوباً في الجنوب ومملكة دمشق ودويلة سمعل (سنجرلي) وكانت هذه الدويلات والممالك غالباً ماتشكل احلافاً سياسية وعسكرية للوقوف بوجه الدولة الآشورية للحد من نشاطها وقطع مواصلاتها التجارية في حين كانت دويلتا اسرائيل ويهوذا تقومان بدورهما في هذه الاحلاف . وقامت بين الدولة الاشورية واليهود عدة حروب كانت الغلبة فيها للاشوريين على مملكة اليهود . التي سبق لها ان انقسمت الى مملكة الشمال اسرائيل وعاصمتها السامرة ومملكة الجنوب يهوذا وعاصمتها اورشليم بعد موت سليمان عام ٩٣٥ ق . م .

واستطاعت الدولة الآشورية ان تفرض سلطانها عليها . وقضى الاشوريون على مملكة دمشق عام ٧٣٢ ق . م على يد الملك تكلا تبلازر الثالث .

وفي بلاد بابل . كانت القبائل الآرامية وعلى الاخص قبيلة كلدو وبيت ياقين وغيرهما التي اتجهت نحو جنوب العراق واقامت سلالات محلية في اقصى الجنوب تسعى دائماً للسيطرة على بلاد بابل التي عمل الآشوريين على توحيدها مع الدولة الواحدة لبلاد وادي الرافدين . وكانت السلالات الحاكمة في بلاد عيلام جنوبي غربي ايران تقدم لها العون المادي والعسكري للوقوف ضد الدولة الآشورية . وقد تمكن الاشوريون بعد ذلك من القضاء على السلالات الحاكمة في عيلام وبسطوا نفوذهم المباشر على بلاد بابل وحدوا من نشاط الآراميين فيها ولو لفترة مؤقتة .

وهكذا كان على الآشوريين ان يعملوا من اجل تثبيت اركان امبراطوريتهم الواسعة الارجاء وحماية حدودهم لمواجهة التحديات والقضاء على الاخطار التي تهدد البلاد وهكذا استطاعوا من السيطرة على المنطقة الجبلية الشرقية . وفي الجهة الغربية أمتد نفوذهم الى انحاء سوريا واجزاء من مصر . وسيطروا على بلاد بابل وبلاد عيلام واسسوا دولة قوية انفردت في حكم الشرق الادنى القديم لفترة طويلة . لقد كانت كفاءة السياسة الآشورية بحق على درجة كبيرة من النضج وبعد النظر حيث ان الحملة العسكرية كانت تجهز وترسل الى مواقعها بعد دراسة مستفيضة لجميع الاوضاع الداخلية والخارجية للمنطقة المزمع توجيه الحملة اليها . كما كانت تسبق الحملات اتصالات مكثفة مع امراء وحكام الاقاليم والبلدان المجاورة لضمان ولائهم للسياسة الآشورية وتأمين الطرق والمسالك المؤدية الى الهدف كما ان رجال الاستخبارات الآشوريين المنتشرين في المنطقة يبعثون بتقاريرهم التفصيلية حول الاوضاع العسكرية والشؤون الداخلية للمنطقة قبل توجه الحملة اليها .

وكانت قيادة الحملات العسكرية تعتمد على اهمية الحملة وحجمها . وقد يتولى قيادتها الملك نفسه او احد القادة العسكريين او احد حكام المقاطعات .

وقد ذكرت النصوص المسمارية القاب ورتب كبار القادة العسكريين والامراء امثال الربشاقة . وهي اعلى رتبة عسكرية . ثم التورتان وراب موكي . ويأتي بعدهم القاب امراء المقاطعات الصغيرة كالرب كصرى وآمر الخمسين وآمر العشرة ... وتميز الفرد الآشوري بصلابته وشجاعته وكانت المعارك الكثيرة التي خاضها الجيش في بيئات مختلفة وظروف متباينة قد اكسبته قدرة قتالية عالية وتدريباً جيداً وسرعة في الحركة . وكانت معنويات الجندي المقاتل الآشوري عالية .

وكان كل فرد قادر على حمل السلاح خاضعاً للتجنيد بأستثناء من يتمكن الحصول على اعفاء من الخدمة العسكرية لسبب من الاسباب . وكان الجيش الآشوري يتألف من الجيش النظامي والجيش الاحتياطي .

اما الجيش النظامي فكان جيشاً صغيراً يحكمه نظام دقيق وكان في بداية امره من طبقة الفلاحين والعبيد من بلاد اشور . ويتألف من القوات المختارة في الوسط وحولها قوات الصاعقة والحرس الملكي وابناء الذوات الذين كان لهم امتياز الركض الى جانب العربة الملكية . في حين كان الجيش الاحتياطي من الجنود تزودهم الاقاليم والمقاطعات المختلفة وكان حاكم كل مقاطعة واقليم يقدم عدداً معيناً من المجندين يتناسب وعدد سكان الاقاليم او المقاطعات ويزودهم بالسلاح . وكان كل اقليم يختص بأمداد صنف معين من اصناف الجيش . مثل المشاة من بلاد الشام الاناضول والجمالة من القبائل العربية والخيالة من الاقاليم الارامية . وكانت القطعات تنظم على اساس القومية والقبيلة . وهذا مااتصفت به الجيوش الرومانية في فترات لاحقة .

كما كانت بعض القبائل تختص بتقديم القوات الخاصة بحفظ الامن الداخلي . ولعل حجم الجيش الاشوري على ضوء بعض التقديرات الحديثة تضع عدده مابين مائة ومائتي الف مقاتل في المعارك الكبرى .

ونظراً لكثرة الحملات العسكرية التي قام بها الملوك الاشوريون والتي املتها عليهم الظروف السياسية العامة والرغبة في المحافظة على امن وسلامة البلاد من الغزاة الطامعين والمحافظة على طرق مواصلاتها وازالة الاخطار التي تهدد كيانها . فقد وصف بعض الباحثين المحدثين الدولة الاشورية بأنها دولة عسكرية بحته . فكونوا انطباعاً خاطئاً عن السياسة الاشورية وعن الاساليب العسكرية(٠) التي استخدمها الاشوريون في قمع التمردات والعصيان وتأديب الاقوام الغازية في عقر دراهم . فوصفوا سياستهم بالاستعمارية واساليبهم بالوحشية وحكمهم بالظلم والطغيان دون ان يأخذوا بنظر الأعتبار الاسباب التي دفعت الملوك الاشوريين للقيام بالحملات العسكرية واتباعهم القسوة والشدة في قمع كل عصيان لدرء الاخطار المحدقة بدولتهم ومواجهة التحديات الاجنبية المتوقعة واجلاء السكان في بسط نفوذهم على البلدان

---

(٠) لجنة من الباحثين العراقيين . الجيش والسلاح . وزارة الثقافة والاعلام بغداد . الجزء الاول والثاني . ١٩٨٧ .

الاخرى، ونسوا او تناسوا المنجزات الحضارية الرائعة التي حققها الآشوريون في هذه الفترة المهمة من تاريخهم الطويل والتي تشير الى الانتصارات العسكرية الرائعة التي حققوها لم تكن سوى، نتيجة من نتائج سياستهم الكفوءة في الداخل والخارج .

لقد اتبع الاشوريون سياسة جديدة في تنظيم البلاد وتقسيمها الى اقاليم ووحدات ادارية اصغر واصغر يشرف على ادارة كل منها حاكم آشوري يرتبط به عدد من الموظفين الثانويين ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحكومة المركزية التي كانت ترسم له الخطوط العامة للسياسة الواجب اتباعها وتعطيه حرية التحرك لتنفيذ تلك السياسة وكان النظام الاداري الذي طبقه الاشوريون . والذي وضع منذ عهد الملك تكلاتبلازر الثالث (٧٤٥ ــ ٧٢٢ ق . م) متميزاً بكفاءته وتطوره .

وربما كان من اهم العوامل التي ساعدت على نمو قوة الدولة الاشورية وضبط امنها الداخلي . وكان سبب الانتصارات العسكرية الاشورية المتلاحقة على الغزاة التوسعيين . هو نظامهم الاداري الذي اتبع في تنظيم الجيش وادارة المقاطعات . فقد اعتمد على تقسيم الامبراطورية الاشورية الى عدد من المقاطعات والاقاليم الرئيسة كان كل منها يدعى (بيخاتو) او (ناكو) وكان يشرف على ادارة المقاطعة سيدها (بيل بيخاتي) يمثل الملك في المقاطعة وينفذ اوامره وسياسته المركزية وكانت واجباته تشمل . الى جانب المهام الادارية العامة . الشؤون المالية والعسكرية والدينية ... وكان مقر الحاكم في عاصمة المقاطعة ويساعده في ادارة شؤون المقاطعة كادراً ادارياً كفوء هذا فضلاً عن جمع من الكتبة والمساحين والمحاسبين والرسل والفلكيين وقراء الفأل وضباط التجنيد ومراقبي مشاريع الري والمساعدين العسكرين والمترجمين وغيرهم . كما كان هناك نائب للحاكم ينوب عنه وقت غيابه . وكانت كل مقاطعة تضم وحدات ادارية اصغر يدعى كل منها (قنو) ولعلها كانت تعني حرفياً « حلقة » وكان مركز كل وحدة من هذه الوحدات احدى المدن الرئيسة في المقاطعة وكان رئيس الوحدة يدعى « رب الآني » اي رئيس المدينة . وكانت له قوة عسكرية صغيرة للظروف الطارئة . وكانت واجباته الرئيسة جباية الضرائب وحيظ النظام واتخاذ الاجراءات العسكرية المستعجلة اضافة الى الشؤون الادارية العامة . وكان لبعض المدن الاشورية والبابلية الكبيرة والقديمة . كمدينة اشور وبابل بعض الامتيازات الخاصة المكتسبة والاستقلال الداخلي .

وكان يحكم فيها حاكم يدعى « خزانو » وربما يعني المحافظ . يساعده في ادارة شؤون المدينة مجلس المسنين (شيبة المدينة **Sibut ali**) وعلى الرغم من

السياسة المركزية التي اتبعها الملوك الاشوريون في ادارة شؤون امبراطوريتهم الا انه كان لحكام المقاطعات ورؤساء المدن حرية الحركة والتصرف في اسلوب تنفيذ السياسة المركزية وادارة شؤون وحداتهم الادارية .

ولضمان الاتصال مع المقاطعات المختلفة وللاطلاع المستمر على مايحدث فيها فقد اتبع نظام البريد السريع والذي يعد غاية في الدقة حيث يضمن الاتصال مابين الملك وموظفيه في المقاطعات والمدن والوقوف على مايجري في ارجاء الامبراطورية . وكان هذا النظام متطوراً جداً سبق نظام البريد المنسوب الى الفرس بعدة قرون . مما يدل على ان الفرس الاخمينيين اقتبسوه من بلاد اشور ابان غزوهم لبلاد بابل عام ٥٣٩ ق . م . وادخلوا عليه بعض الاضافات .

فقد كان هناك عدة اصناف من المراسلين الممتهنين الذين استخدموا للاتصال مع المقاطعات ويعرف بالبابلية (مارشبري mār šiprī) وكان الاهتمام بتحديد الطرق وتعديلها وتأسيس المحطات البريدية عليها كبيرا .

وكانت كل محطة بريدية تزود بالحراسة وبما يلزم لراحة الرسل ولتبديل الحيوانات اللازمة لسفرهم او تزويدها بالماء والغذاء . والمسافة بين محطة واخرى رحلة يوم . ومن اصناف الرسل الراكض وربما كان يستخدم لاجتياز المناطق الجبلية الوعرة .

وكان الرسل يحملون الرسائل مختومة اذ يحفظونها عن ظهر قلب ضماناً لسريتها .

اما اسلوب ادارة البلدان والاقاليم التابعة او الموالية . فكان يختلف حسب طبيعة العلاقة التي تربطها بالدولة الاشورية . ومن الممكن تصنيفها الى ثلاثة اساليب ادارية :ـ

فالاسلوب الاول : اتبع مع البلدان الموالية للدولة الاشورية سواء بدافع الخوف او الحذر من سيطرة الدولة الاشورية عليها . فكانت تعترف بسلطان الدولة الاشورية وتدفع الجزية مقابل امتياز الحماية العسكرية التي توفرها لها الدولة الاشورية عند حدوث اي اعتداء خارجي عليها او تمرد داخلي ضد السلطة الحاكمة فيها . واذا امتنعت هذه الدولة والممالك من دفع الجزية او سحبت اعترافها بالسلطة الاشورية او عقدت حلفاً او معاهدة مع دولة معادية للدولة الاشورية كان لابد من تجهيز

حملة عسكرية تأديبية على الدولة المتمردة وتغير حاكمها بآخر موال لسياسة الدولة الاشورية وليضمن حماية القوافل التجارية الاشورية والرعايا الاشوريين وتقديم التسهيلات اللازمة لهم .

وكان في مثل هذه البلدان التابعة يعين موظف اشوري في البلاط المحلي مع قوة عسكرية صغيرة لدعمه . وتعقد مع الحاكم الجديد اتفاقية تلزمه بالقسم امام الالهة العظمى بالمحافظة على بنود الاتفاقية اما اذا حنث الحاكم بالقسم الذي اقسمه ونبذ عنه السلطة الاشورية وطرد الممثل الاشوري واعلن عصيانه عندها تتخذ الاجراءات العسكرية السريعة اللازمة للسيطرة الكاملة على المنطقة والحاقها بحدود الدولة الاشورية وتعد مقاطعة من مقاطعاتها تحكم من قبل حكام اشوريين بصورة مباشرة . وغالباً مايجلى سكانها الى منطقة اخرى ويؤتى بسكان اخرين من منطقة ثانية ومع ذلك لم تكن معاملة الاشوريين لسكان الدولة التابعة المتمردة معاملة قاسية الا من حمل السلاح ضدها وقاوم سلطانها .

اما ادارة الاقاليم والمقاطعات التابعة للحكم الاشوري المباشر فكانت تدار من قبل الموظفين الاكفاء تعينهم السلطة المركزية وتتابع تنفيذهم السياسة الاشورية العامة . وكانت السياسة الاشورية في بعض الاقاليم التي اصبحت تحت السلطة الاشورية المباشرة حديثاً لينة جداً وتعتمد على ترضية السكان المحليين وتقديم المساعدات المادية لهم كما تشير الى ذلك بعض الرسائل المكتشفة . وكانت سياسة الفتح الجديدة هذه والتي اتبعها الاشوريون لها ،اكبر الاثر في نشاط الحياة الاقتصادية وتدفق الاموال على بلاد اشور مما ساعد على نشر الرفاهية وشجع على البناء والتعمير . كما كان لاحتكاك الاشوريين بسكان البلدان المفتوحة والبلدان المجاورة . نتائجه في انتقال العديد من العناصر الحضارية من والى بلاد اشور .

فكان هناك تمازج حضاري رائع تشهد له اثار الاشوريين العمارية والفنية وتحكي عنه نصوصهم المسمارية .

ونظراً لطول الفترة الزمنية التي شغلها العصر الاشوري الحديث ولتتابع الاحداث الهامة والكثيرة في هذه الفترة فقد تعارف الباحثون على تمييز فترتين رئيستين تمثل الاولى عهد الامبراطورية الاشورية الاولى (٩١١ ـ ٧٤٥ ق . م) بينما يمثل الثاني عهد الامبراطورية الثانية (٧٤٥ ـ ٦١٢ ق . م) التي انتهت بنهايتها الدولة الاشورية .

كان مجيء الملك اددنراري الثاني(٦) (٩١١ ـ ٨٩١ ق . م) الى العرش الاشوري نهاية لفترة الضعف والاضمحلال التي كانت تمر بها بلاد اشور وبداية عصر جديد وانتعاش اقتصادي وازدهار حضاري وتوسع عسكري فيها . فقد تمكن تثبيت كيان الدولة الاشورية والقضاء على اعدائها عن طريق تجهيز الحملات العسكرية لأخماد الفتن والتمردات القضاء على ضغوط القبائل التي كانت تغير على حدود دولته فضمن امن وسلامة الدولة الاشورية في الداخل والخارج وسيطر على طرق المواصلات التجارية والتي اعتمدت عليها حياة الاشوريين الاقتصادية . وقد استطاع اخضاع بعض الاقاليم المجاورة ثم تحالف مع مملكة بابل ونظم شؤون الدولة الاشورية .

ونهج ابنه وخليفته توكلتي ننورتا الثاني (٨٩٠ ـ ٨٨٤ ق . م) نفس السياسة التي انتهجها ابوه قبله فبدأ بحملة على بلاد نائيري في الجنوب الغربي من بحيرة وان . واخرى على المنطقة الواقعة بين الزابين . وكانت الحملة الثالثة الى بلاد بابل حيث وصل الى دور كوريكالزو (عقرقوف) وسپار واستمر في زحفه غرباً حتى وصل الى نهر الخابور ومنطقة نصيبين . واخيراً قام بهجوم على منطقة مشكو في اسيا الصغرى . وقد زاد من تأمين طرق مواصلاته التجارية والعسكرية مع اطراف مملكته وشيد بعض القلاع والحصون .

وعندما اعتلى العرش الاشوري الملك الشهير اشور ناصربال الثاني(٧) (٨٨٤ ـ ٨٥٨ ق . م) خلفاً لابيه توكلتي تنورتا . فقد وصلت فتوحاته الى الجبال الشمالية والشرقية ووطد الامن في اطراف المملكة وحارب الآراميين وفتح دمشق ويعد اعظم شخصية وكان من الملوك القساة في الحكم والاداري المنظم والبناء الكبير حيث قام بعدة مشاريع عمرانية ضخمة وادخل تحسينات كثيرة في الجيش والادارة حيث استخدم الخيالة على نطاق واسع وقسم بلاده الى ولايات يحكم كل منها احد الولاة . وامتازت الروايات التي اثبتت على لسانه في حولياته بحيوية فياضة وتفاصيل ممتعة تزيد عن تفاصيل حوليات ابيه .

---

(٦) لقد ارخ الاشوريون من زمن حكم هذا الملك اخبارهم بالطريقة المعروفة بأسم (اللمو) وهي اعطاء تاريخ كل سنة يحكم فيها موظف كبير ابتداء من تبوء الملك العرش ثم يخلفه في السنوات التالية احد كبار موظفي البلاط الاشوري وتعرف السنة حينذاك باسم الموظف الذي يشغل وظيفة اللمو .

(٧) شيبان ثابت الراوي . اشور ناصربال الثاني ، سيرته واعماله . رسالة ماجستير جامعة بغداد ١٩٨٦ .

ففي الجبهة الشرقية قام بحملة عسكرية ضمنت خضوع الاقوام الجبلية وامتداد النفوذ الاشوري الى ما بعد حدودها السابقة كما جهزت حملتان لاخضاع منطقة زاموا (سهل شهرزور) واقليم تشخان الى الشمال الغربي من بلاد اشور . ثم اتجه بعد ذلك الى بلاد الشام في عام حكمه الرابع (٨٧٧ ق.م) واكتسح بعض الدويلات الارامية في طريقه . ثم سار من كركميش (طرابلس حالياً) الى سهل انطاكية . وعبر نهر العاصي وسار بمحاذاة جبال لبنان الى بحر امورو العظيم (البحر المتوسط) .

وقضى اشور ناصربال الثاني على المدن المتمردة او فرض عليها الجزية . ويفهم من حولياته ان عملية توطين الاشوريين في المدن المفتوحة ليخمدوا نشاط زعمائها ويكونوا عيوناً ساهرة عليهم حماية لأمن دولتهم .

ومن اهم اعماله تجديد مدينة كالح (النمرود حاليا)(٨) التي تعد من اعاظم المدن العراقية القديمة وقد شيد لها مسناة من الحجر المهندم على دجلة وبنى له فيها قصراً عظيماً وزينه بالواح كبيرة من الرخام نقشت نقشا بارزا بمناظر مختلفة وقد لون بعضها بالوان زاهية ظلت محتفظة حتى الآن تمثل الملك في صيده وحروبه والامراء الذين اخضعهم حاملين الهدايا والجزية وقد كشفت بعثة التنقيب البريطانية قبل اكثر من مائة عام الكثير من هذه الالواح كما اكتشفت الباقي منها في السنوات اللاحقة وقد زينت مداخل القصور والقاعات الرئيسة . بتماثيل هائلة الحجم لحيوانات مركبة عرفت بالثيران المجنحة . وهي تعبر عن قوة الاشوريين وحكمتهم وصبرهم .

هذا فضلاً عن العديد الملتقطات الأثرية الاخرى ومنها القطع العاجية المنقوشة نقشا بديعاً والتي وجدت في احد ابار المدينة وكانت من بينها قطعة تمثل قناعاً كرأس فتاة جميلة عرفت لدى الباحثين بفتاة البئر او بموناليزا النمرود . وفي السبعينيات نقل الكثير من العاجيات التي عثر عليها في ابار النمرود الى المتحف العراقي . وتم العثور مؤخراً على كنز جديد من العاجيات في هذه المدينة ونقل الى المتحف العراقي وعرض هناك . اضافة الى ذلك فقد كشف في هذه المدينة العديد

---

(٨) وهي تلك المدينة التي اسسها الملك الاشوري شيلمانصر الاول (١٢٧٤ ـ ١٢٤٥ ق . م) ولكنها اهملت من بعده فحل فيها الخراب ولذلك عزم اشور ناصربال الثاني على تجديدها واعادة بنائها واتخذها عاصمته العسكرية .
وقد تميزت بموقعها الاستراتيجي . فان دجلة يحميها من جانبها الغربي ومن الجنوب الزاب الاعلى الذى يتصل بدجلة بمسافة قصيرة جنوب النمرود .

من النصوص المسمارية المهمة وعلى مسلة كبيرة تبين اعماله خلال السنوات الخمس الاولى من حكمه .

وقد كشفت دائرة الاثار والتراث خلال الفترة القليلة الماضية على كنز ثمين من المصوغات الذهبية للعائلة الملكية في مدينة النمرود تبين عظمة هذه المدينة .

واستمرت النشاطات العسكرية الاشورية في عهد شيلمانصر الثالث (٨٥٨ ـ ٨٢٤ ق . م) ابن وخليفة اشور ناصربال الثاني وتحول العديد من المدن الاشورية الى حصون ومعسكرات كمدينة اشور والنمرود . ولم يكتف بما تركه له والده من امبراطورية شاسعة مترامية الاطراف بل اضاف اليها مراكز جديدة وصلت الى منابع دجلة والفرات . وقد قام بسلسلة من الحملات الحربية في سوريا وفلسطين على احلاف الآراميين واليهود واصطدمت القوات الاشورية مع قوات الحلف عام ٨٥٣ ق . م . في قرقر(٩) على نهر العاصي وادعى شيلمانصر بأنه قضى نهائياً عليها ووقع نتيجة ذلك عشرات الالاف من قوات الحلف قتلى . وقد تجدد الصدام ثانية وتوجه شيلمانصر نحو الغرب للقضاء على الدويلات الرئيسة التي كانت في الحلف السوري ضد الاشوريين . فدحر قوات دمشق وان لم يدخل دمشق نفسها في حين قدم ياهو ملك اسرائيل وملوك صور وصيدا الجزية . وسارعت مصر الى ارسال الهدايا . كما قام شيلمانصر بحملات في بلاد الاناضول وهضبة ايران الشمالية . ونشر الحضارة الاشورية في كل مكان وقدس الآله اشور وفضله على بقية الالهة . كما قام شيلمانصر بحملة على بلاد بابل أخضع خلالها القبائل الكلدية المتمردة وانهى التمرد واعاد الامن الى بلاد بابل ووصلت القوات الاشورية الى ساحل الخليج العربي لتأمين طرق التجارة . كما وجه اهتماماً خاصاً الى الاقاليم الواقعة في المنطقة الشمالية الشرقية حيث كانت تتمركز دولة اورارتو . وقام بعدة حملات عسكرية تأديبية للمنطقة ضمنت أمن وسلام منطقة اعالي مابين النهرين واقليمي تابال وقو (كيليكيا) . ويبدو ان السياسة العسكرية التي اتبعها شيلمانصر لم تلق التأييد الكامل داخل بلاد اشور . حيث حدث تمرد تزعمه احد ابنائه . وأيدته العديد من المدن الاشورية المهمة مثل اشور ونينوى .

وانتهت عملية التمرد بتغلب شمشي ادد الخامس (٨٢٣ ـ ٨١١ ق . م) وارث العرش على اخيه الثائر الا ان تلك الاضطرابات كانت سبباً في ضياع اشور لبعض مستعمراتها البعيدة . في تلك الاثناء وظلت بابل على ولائها لأشور وتحسنت

---

(٩) وقد ورد في اخبار هذه المعركة ذكر اسم العرب . لعله لاول مرة في اخبار ملوك العراق القديم حيث كان من بين الامراء المتحالفين « جندبو » العربي .

العلاقات بينهما بزواج ملك اشور من اميرة بابلية تدعى « شمورامات (١٠) التي عرفت في المصادر الكلاسيكية باسم « سميراميس » وقد صارت وصية على ولدها القاصر (ادد نراري الثالث) (٨١١ – ٧٨١ ق . م) الذي اعتلى العرش الاشوري وهو صغير السن بعد وفاة والده . وقد قام الملك بأعمال مجيدة عند تسلمه الحكم .

وقد توالى على حكم اشور عدد من الملوك الضعفاء الذين لم يتمكنوا من مواجهة التحديات التي مارستها اورارتو من الشمال والقبائل الكلدية في الجنوب والحلف السوري من الغرب اضافة الى التمزق الاداري داخل الدولة الاشورية وحدث في عهد احدهم وهو اشور دان الثالث كسوف الشمس والذي اتخذ فيما بعد اساساً لضبط التقويم الاشوري عند المؤرخين اذ امكن ارجاع زمنه بالحساب الفلكي الى ١٥ حزيران عام ٧٦٣ ق . م .

واخذ امن الدولة الاشورية بالتدهور والضعف ونشبت في مدينة نمرود ثورة داخلية في عهد الملك اشور نيراري الخامس (٧٥٣ – ٧٤٦ ق . م) تولى بعدها الملك تكلاتبلازر الثالث (٧٤٥ – ٧٢٧ ق . م) العرش والذي عرف في المصادر البابلية باسم (بول) الذي ادعى بأنه سليل اددنراري الثالث فأعاد الى المملكة الاشورية مجدها وانقذها من الدمار وكان ذلك بدء عهد الامبراطورية الثانية .

الامبراطورية الاشورية الثانية : –

تولى تكلاتبلازر الثالث عام ٧٤٥ ق . م . بعد ثورة أجتاحت البلاد وقضت على اسرتها الحاكمة . وقد اعتبر عهده بداية لعهد الامبراطورية الاشورية الثانية . وكان هذا الملك ادارياً من الطراز الاول . وقائداً عسكرياً فذاً استطاع خلال سني حكمه الذي دام حتى عام ٧٢٧ ق . م . من القضاء على الفوضى والارتباك السياسي والاقتصادي الذي عم بلاد اشور في اعقاب الثورة الاهلية وان يعيد للدولة مجدها الزاهر ويزيد من نفوذها وقوتها في مختلف الجبهات . وقد انتهج في سياسته اللين والتسامح مع الدول الخاضعة له . وبعد ان ثبت دعائم الحكم في بلاد اشور اتجه

---

(١٠) هناك اسطورة تقول ان امها كانت الهة تعبد في عسقلان قرب البحر ويرمز اليها بصورة نصفها سمكة ونصفها حمامة . ولما ولدت ابنتها على هيئة بشرية تركتها للحمام يرعاها ولهذا سميت محبوبة الحمام .
وسموارامات اسم مركب من كلمتين سمو وتعني حمامة ورامات وتعني محبوبة . ثم عثر عليها كبير رعاة ملك اشور ورباها وتزوجها حاكم نينوى ثم ملك اشور بعد ان انتحر الاول .

جنوباً وحارب القبائل الآرامية والكلدية والعيلامية وقضى على فتنهم في بلاد بابل وضمها الى امبراطوريته واعلن نفسه ملكا عليها . ثم قام بحملة الى المنطقة الجبلية لايقاف زحف ساردر الثاني ملك اورارتووتمكن من دحره وارجاعه الى بلاد ارمينية وفرض السيطرة الاشورية على جميع الاقاليم التي مر بها وأمن حدوده الشمالية ضد غزوات بعض القبائل الارمينية . كذلك تمكن من اجتياح معظم المدن السورية وقضى على الحلف العسكري الذي نظمه ملك اورارتو مع بعض الدويلات السورية كذلك اعاد تنظيم الدويلات السورية التابعة لنفوذه وضمها الى الحكم الاشوري المباشر كما اخضع خلالها مملكتي يهوذا واسرائيل المثيرتين للشغب والقلاقل ضد الحكم الاشوري وفرض الجزية عليهما وحارب في حلب وفتح دمشق وفتح المدن الساحلية من خليج الاسكندرونة حتى غزة ووصل الى الحدود المصرية . وهكذا قضى تكلاتبلازر الثالث معظم حكمه في الحروب ولكنه ترك امبراطورية واسعة .

فقد قام تكلاتبلازر باعادة النظر في النظام الاداري في البلاد واتبع نظاماً جديداً قوامه تقسيم البلاد الى اقاليم ومقاطعات اصغر حجماً مما كان عليه سابقاً وتقسيم تلك الاقاليم الى وحدات ادارية اصغر واصغر يمكن السيطرة عليها من خلال تعيين موظفين اكفاء مرتبطين بالملك مباشرة وبحكام الاقاليم من جهة ثانية . ونظم وسائل المواصلات والبريد بين تلك المقاطعات والوحدات والحكومة المركزية بحيث كان على اتصال دائم بما يحدث في مختلف ارجاء الامبراطورية كما عمل على دمج البلدان المفتوحة بالدولة الاشورية واعتبارها من جملة الاقاليم التابعة .

وبعد وفاته تسلم الحكم ابنه شيلمانصر الخامس (٧٢٦ ــ ٧٢٢ ق . م) الذي سمى نفسه ملك بابل واشور وقد ثار في زمنه (هوشع) ملك اليهود فجهز الملك الاشوري حملة على بلاد سوريا فتح خلالها مملكة اليهود بعد ان حاصر عاصمتها السامرة مدى ثلاث سنوات واجلى سكانها الى ميديا وفرض عليها الضرائب .

اعقب شيلمانصر الخامس في الحكم الملك الشهير سرجون الثاني (٧٢١ ــ ٧٠٥ ق . م) وقد أسس سرجون سلالة حاكمة جديدة استمرت في حكم بلاد اشور حتى نهايتهم السياسية عام ٦١٢ ق . م . ووصلت الدولة الاشورية خلال هذه الفترة القصيرة من تاريخها الطويل الى قمة مجدها وقوتها كما شهد نهايتها وضعف وانهيار الامبراطورية الاشورية .

واول عمل قام به سرجون الثاني انه اكمل فتح السامرة وقضى على مملكة اليهود عام (٧٢١ ق . م .) وفتح بقية المدن السورية والفلسطينية والسواحل الفينقية وحدث في بداية حكمه ان تمكن زعيم قبيلة بيت ياقين « مردوخ ابلا ـ ادينا » (مردوخ بلادان) من اغتصاب العرش البابلي وساندته في ذلك مملكة عيلام ورغم محاولات سرجون القضاء عليه في الفترة الاولى من اعتلاله العرش الا انه ظل يحكم ملكا على بلاد بابل وذلك لانشغال سرجون في فتح المدن الارامية في سوريا وفلسطين وصد الخطر الرئيس الذي كان يواجه الدولة الاشورية . وهي دولة اورارتو في الشمال ومملكة زكرتو شرقي بحيرة وان والميديون الايرانيون .

فقد قام بحملته المشهورة على هذه المنطقة والتي عرفت بحملة سرجون الثامنة(١١) وحقق انتصاراً ساحقاً على الاقوام الساكنة فيها واخضعها للنفوذ الاشوري .

ثم توجه سرجون ثانية نحو بلاد بابل ولم يتمكن مردوخ بلادان من الصمود امامه فهرب الى الجنوب وترك بابل للاشوريين وكان ذلك عام (٧٠٩ ق . م) ودخلها سرجون دخول الفاتح المنتصر . ولحق به الى مملكة بيت ياقين وفتحها غير انه عفا عنه بعد ان قدم له الخضوع والطاعة وعينه ملكا على مملكة الجنوب .

واضافة الى اعمال سرجون العسكرية . فقد قام بنشاطات عمرانية واسعة كان اهمها تشييد عاصمة جديدة سماها دور شروكين المتمثلة حاليا بمدينة خرسباد على بعد ١٢ كليومتر الى الشمال من نينوى، وقد زين سرجون مداخل المدينة وقصره بتماثيل كالثيران المجنحة والواح كبيرة من الرخام نقشت نقشا بارزا بمناظر مختلفة

لم يتمتع سرجون بعاصمته الجديدة فقد توفي في احدى عملياته العسكرية في شمال غرب سوريا كليكيا بعد سنة واحدة من انتقاله الى المدينة الجديدة وتولى الحكم من بعده ابنه سنحاريب (١٢) (٧٠٤ ـ ٦٨١ ق . م) فأنتهج سياسة والده العسكرية لتثبيت نفوذ الدولة الاشورية في الاقاليم المفتوحة كما اولى اهتماما بالغا في الناحية العمرانية والفنية حتى تكاد لاتخلواي مدينة اشورية من اثر من آثار نشاطه

---

(١١) د . محمود الامين « تعليقات [illegible] سرجون الثامنة . سومر . العدد الخامس . ١٩٤٩ . ص ٢١٥ ـ ٢٤٥ .

(١٢) طالب منعم حبيب . المصدر السابق . ص ٧١ ـ ٢٢٨ .

العمراني . ولم يسكن في العاصمة الجديدة التي شيدها والده بل تركها وانتقل الى نينوى، وجدد ابنيتها وجعلها فردوس الارض بحدائقها الغناء ومجاري المياه التي تمر بها . وقد وجه نشاطه الحربي في بداية حكمه نحو خطرين احدهما في بلاد بابل وذلك لضمان وحدة البلاد والثاني المدن السورية والفلسطينية . فقد ظلت بلاد عيلام تحرض القبائل الارامية او الكلدية في بابل للثورة ضد الحكم الاشوري ورغم الحملات العسكرية المتتالية التي جهزها سنحاريب على بلاد عيلام وبلاد بابل وتنصيبه الملوك الموالين للدولة الاشورية على بلاد بابل . فقد جهز سنحاريب حملات حربية ناجحة في اسيا الصغرى، وسواحل بحر ايجه وبعد ذلك انحدر نحو ساحل فينيقية وقضى على احلاف الدويلات في صور وصيدا وعسقلان وعاد واخضع جميع المدن التي كانت سابقا تحت الحكم الاشوري وحاصر اورشليم عاصمة يهوذا في زمن ملكها حزقيا غير انه اضطر للتراجع الى نينوى، لاسباب لاتزال غامضة .

وكانت بابل في اثناء ذلك قد ثارت مجددا فتوجهت القوات الاشورية ثانية لاخماد التمرد . وبعد عدة حملات تأديبية لم تكن حاسمة توجه سنحاريب بحملة عسكرية قوية قوامها قطعات برية واخرى، نهرية للقضاء على مملكة عيلام التي كانت تدعم القبائل الكلدية ضد النفوذ الاشوري وهاجم مدنها الرئيسة ودمرها واخيرا قام سنحاريب بتجهيز جيش جرار على بلاد بابل وحاصر المدينة لمدة تسعة اشهر ثم دخلها ودمرها تدميرا كاملا وسلط عليها مياه نهر الفرات وعين ابنه أسرحدون واليا على جنوب العراق ثم قضى على دويلات اهل البحرفي اقصى الجنوب مستعينا في ذلك بسفن صنعها له صناع مهرة من الفينيقيين وفي الداخل فقد اهتم سنحاريب بالناحية العمرانية والمشاريع الاروائية اهتماما بالغا . فأقام القصور والمعابد وشيد الاسوار وكانت اكثر اعماله العمرانية في مدينة نينوى، التي اعاد بناءها من جديد واتخذها عاصمة له بعد ان وسعها الى درجة كبيرة واعاد بناء اسوارها ببواباتها الخمس عشرة وبلغ محيط المدينة شبه المنحرف مايقرب من اثنى عشر كيلومترا وشيد المعابد في موقع تل النبي يونس في حين تركزت القصور والمباني الملكية في موقع تل قوينجق . وقد قام بعمل بركة اصطناعية كبيرة جمع فيها شتى انواع الطيور والاسماك والحيوانات المائية وجلب المياه العذبة الى العاصمة نينوى، لارواء بساتينها وحدائقها من مناطق بعيدة عبر قناة شيدها من الحجر الكلسي تمتد من منطقة جيروانه ولاتزال اثارها واضحة حتى اليوم . فقد جلب المياه العذبة الى نينوى، من منابع نهر الكومل في جبل بافيان الذي يبعد مايقرب الخمسين ميلا عن المدينة. وعند صدر القناة عند القرية المعروفة حاليا بأسم خنس توجد منحوتات ضخمة ؛ تحمل موجز اخبار تشييد المشروع .

وفي مدينة اربائيلو (أربيل حاليا) قام سنحاريب بمشروع اروائي اخر . وفي مدينة تربيصو (Tarbisu) (حوالي ١٢ كم عن نينوى) كشف عن معبد للاله نركال وعن قصر لولاية العهد اعيد بناؤهما في عهد سنحاريب .

وفي عام ٦٨١ ق . م اغتيل سنحاريب من قبل احد ابنائه في ظروف غامضة وتولى العرش بعده ابنه أسرحدون (٦٨١ ـ ٦٦٩ ق . م) الذي استطاع ان يقضي على الفتن والاضطرابات التي وقعت بين صفوف الجيش الاشوري اثر اغتيال والده . وكذلك التمرد الذي وقع في بعض الاقاليم التي استغلت فرصة الاضطرابات .

سار أسرحدون على سياسة المصالحة مع بابل وجدد بناء ماخرب منها زمن والده وهكذا اتبع مع بلاد بابل سياسة اللين والترضية وعين على عرشها ابنه الاكبر شمش ـ شم ـ اوكن وحارب جنوبا للقضاء على حركة مردوخ بلادان الثاني وانتصر عليه وهرب هذا الى عيلام وقتل هناك وعين اسرحدون اميرا جديدا في هذه المنطقة وهكذا أستتب الأمن له في الجنوب .

وفي الجبهة الشمالية والشمالية الشرقية كانت بعض القبائل السكيثية قد توغلت في المنطقة كما عادت للظهور بعض القبائل الكمرية التي انحدرت في عهد ابيه من جنوبي روسيا وعبروا القوقاز الى اسيا الصغرى، وارمينيا وايران . فوقعت صدامات مسلحة بينها وبين القوات الاشورية ويبدو ان السياسة العامة التي اتخذها اسرحدون في معالجة المشاكل هي الجنوح الى السلم ولو كان ذلك على حساب فقدان بعض الاقاليم التابعة للنفوذ الاشوري . في حين كانت سياسته حازمة في الغرب بالنسبة للدويلات السورية والفلسطينية المتمردة . فقد قرر أسرحدون ان يقضي على أسباب التمرد الرئيس في هذا القاطع وذلك بالقضاء على الملك الحبشي في مصر . وفي عام ٦٧٥ ق . م . توجد الجيش الاشوري نحو الحدود المصرية غيران سوء الاحوال الجوية حال دون الدخول اليها . وفي عام ٦٧١ ق . م تقدم الجيش الاشوري ودخل مصر وهزم ملكها طهراقا الذي تحصن في مدينة منفس عاصمة مصر السفلى ولكن الاشوريين اسرعوا وراءه وحاصروا المدينة ومن ثم فتحوها وهزم ملكها الى الجنوب واعلن اسرحدون نفسه ملكا على مصر العليا والسفلى واستولى على غنائم كثيرة نقلها الى نينوى، وترك خلفه في منفس حامية اشورية . غير ان طهراقا عاد ثانية وألب الحكام المحليين في مصر السفلى واستعاد منفس . فقام اسرحدون عام ٦٦٩ ق . م بأعداد حملة عسكرية جديدة على مصر مرة ثانية لكنه توفي قبل ان يصل اليها .

وفي اثناء حكم اسرحدون كانت موجات الاقوام الغازية تزحف نحو اسيا الصغرى، مرة من الشرق الى الغرب واخرى، بالعكس وقد تشكلت حينذاك دويلة الميديين شمال ايران .

وقبيل وفاة اسرحدون بثلاثة اعوام رتب امر ولاية العهد بين ابنائه خشية الاضطرابات والمؤامرات التي قد تحدث اثر وفاته كالتي حدثت في عهد ابيه ففي عام ٦٧٢ ق . م اعلن اسرحدون في اجتماع كبير في العاصمة واخذ المواثيق من الحكام والقادة والسفراء وممثلين عن الاقاليم التابعة للامبراطورية الذين حضروا الاجتماع على تنفيذ وصيته بهذا الخصوص ونصت الوصية على تعين ابنه الاكبر شمش ـ شم ـ اوكن وليا للعهد على عرش بابل . وابنه الاصغر اشور بانيبال (١٣) وليا للعهد على عرش بلاد اشور وبعد وفاة اسرحدون وضعت الوصية موضع التنفيذ وسارت الامور في بداية الامر سيرا حسنا غير ان الخلاف بين الاخوين مالبث ان ظهر واخذت بلاد عيلام تعمل للتدخل في شؤون بلاد بابل بهدف السيطرة عليها مستغلة بعض القبائل الكلدية والارامية المناوئة للاشوريين فبدأت تعمل على اشعال نار الفتنة بين الاخوين . فقام شمش ـ شم ـ اوكن بتأليب القبائل والمدن ضد اخيه مما اضطر اشور بانيبال القيام بحملة عسكرية قوية اصطدم خلالها مع قوات اخيه واستمرت المعارك العسكرية لمدة ثلاث سنوات تم خلالها دحر القوات العيلامية ومهاجمة المدن البابلية واخيرا محاصرة مدينة بابل وانتهت باستسلامها بعد انتحار ـ شمش ـ شم ـ اوكن عام ٦٤٨ ق . م . كما زحف اشور بانيبال على بلاد عيلام ودحر جميع مدنها وفتح عاصمتها وقتل ملكها تيومان وكانت بذلك نهاية مملكة عيلام وعادت موالية للحكم الاشوري . وجهز اشور بانيبال حملة كبيرة كان والده قد جهزها لقمع الفتنة في مصر فتقدم الى الدلتا وحارب طهراقا واعاد اليها الامراء المصريين وفتح منفس . ثم لحق طهراقا حتى مصر العليا وفتح طيبة وهكذا اخضعت مصر جميعها للحكم الاشوري وهزم طهراقا الى عاصمته في النوبة العليا وبقي فيها الى ان مات . وعين اشور بانيبال على مصر ولادة مصريين ومنهم نيخو وعند وفاته تولى بسماتيك الحكم من بعده وتعاقد معهم على ان يدفعوا الجزية للدولة الاشورية ويقدموا الولاء لها . وبعد انسحاب الجيوش الاشورية ضم بسماتيك المقاطعات المصرية تحت لوائه واسس السلالة السادسة والعشرين (٦٦٣ ـ ٥٢٥ ق .م) وكانت مواليه للدولة الاشورية وهكذا دان الشرق

---

(١٣) رياض عبدالرحمن الدوري ، اشور بانيبال ، سيرته ومنجزاته ، رسالة ماجستير جامعة بغداد ، ١٩٨٦ .

القديم للحكم الاشوري . وعندما قوى سلطان بسماتيك جمع بعض الجنود المرتزقة من بلاد الاغريق واسيا الصغرى، وطرد الحاميات العسكرية الاشورية من البلاد وذلك بين عامي(٦٥٨ ـ ٦٥١ ق . م) وبدأ نفوذ الاشوريين يتقلص في المنطقة الشمالية والشمالية الشرقية نتيجة انشغال الجيش الاشوري في مصر وبلاد بابل وعيلام اضافة الى تعاظم قوة الميديين ووجود الحشود الكمرية والسكيثية في اسيا الصغرى .

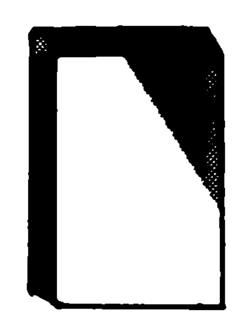
كان اشور بانيبال مولعا بالأداب والفنون الجميلة وجمع رقم كثيرة وامر بترجمة الواح الطين المكتوبة بالسومرية والاكدية وحفظهما في مكتبته العامرة التي عثر عليها في نينوى، والتي تعد اهم واضخم مجموعة مكتشفة حتى الان حيث ضمت اكثر من خمسة وعشرين الف رقيما طينيا .

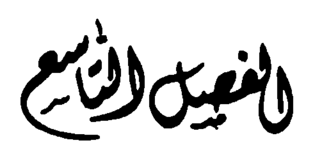
نهاية الامبراطورية الاشورية :ـ

رأينا كيف وصلت الامبراطورية الاشورية الى قمة مجدها واتساعها في عهد الملوك المتأخرين من السلالة السرجونية الذين تمكنوا من السيطرة على معظم المنطقة الواسعة الممتدة من جبال طوروس وجنوبي الاناضول وارمينيا وبحر قزوين الى جبال زاكروس والى الخليج العربي . غير انه رغم ذلك الاتساع فان تلك الامبراطورية سرعان ماانهارت وخاصة عند ظهور ملوك ضعاف بعد حكم اخر ملوكها الاقوياء اشور بانيبال (٦٦٩ ـ ٦٢٩ ق . م)وكذلك اتساع رقعة الامبراطورية وانشغال الجيش الاشوري في فتوحاته العسكرية في مصر وسوريا . ومدوا فتوحاتهم الى جهات بعيدة يتعذر الاحتفاظ بها . بحيث انهم حملوا مواردهم فوق طاقتها واضعف من قوتها وقدرتها على مواجهة الازمات الاقتصادية الداخلية . ومهما يكن فأن هذه الفترة يكتنفها الغموض.ومن اسبابها بعض المؤامرات الداخلية واضطراب الأوضاع والفوضى التي عمت بلاد اشور في عهد ابن وخليفة اشور بانيبال « اشور ـ إطل ـ ايلاني » (٦٢٩ ـ ٦٢٧ ق . م) الذي لم يكن حازما كأسلافه ملوك الامبراطورية الاشورية . وبدأت الاقوام التي تجاور الدولة الاشورية تتحين الفرص للانقضاض عليها والحد من نشاطاتها . منها الاقوام الكمرية والسكيثية والميدية في الجهات الشمالية والشمالية الشرقية وقد رافق ذلك ظهور زعيم قوى، في بابل وهو نبوبلاصر زعيم الكلديين الذي تمكن من تنصيب نفسه ملكا على بلاد بابل عام ٦٢٦ ق . م . وبدأ يخطط للقضاء على الدولة الاشورية وكان ذلك في عهد سن ـ شار ـ اوشكن آخر ملوك السلالة الاشورية . فقام نبوبلاصر بالتحالف مع الاقوام الميدية في عهد ملكهم كي ـ اخسار واتفقا على الهجوم على بلاد اشور . اما الملك الاشوري فقد

طلب المساعدة من حليفه ملك مصر انذاك . بدأ نبوبلاصر بأخراج الحاميات العسكرية الاشورية من بلاد بابل ثم الهجوم على مدينة اشور نفسها وذلك عام ٦١٥ ق . م . ولم يتمكن من دخولها الا بعد ان عقد اتفاقا مع الميديين بهجوم مشترك معهم على بلاد اشور . وفي عام ٦١٤ ق . م تم لهم السيطرة على مدينة اربخا (كركوك حاليا) وتربيصو القريبة من نينوى . واشور واخيرا حوصرت نينوى، عام ٦١٢ ق . م ودخولها بعد حصار دام ثلاثة اشهر تهدمت فيه المدينة واشعلت فيها النيران وانسحبت القوات الاشورية الى مدينة حران في سوريا ونصبت اشور اوبللط الثاني ملكا عليها وبذلك ظلت الدولة الاشورية قائمة اسميا وطلبت المساعدة من مصر . وعلى الرغم من وصول بعض المساعدات العسكرية المصرية في عام ٦١٠ ق . م ومقاومة الجيش الاشوري للزحف الكلدي فقد حققت القوات الاشورية بعض الانتصارات غير ان زحف الجيش البابلي بقيادة ولي العهد البابلي نبوخذنصر اضطرهم الى الانسحاب الى كركميش حيث دارت رحى معركة كبرى، كان الانتصار النهائي فيها للقوات البابلية . حتى ان نبوخذنصر انتصر فيها على نيخو الثاني الملك المصري وتراجع الجيش المصري الى بلاده .

وهكذا انتهى كيان الدولة الاشورية سياسيا غير ان تأثيراتهم الحضارية في المنطقة بأكملها ظلت واضحة تحكي قصة ومجد الاشوريين .





العصر البابلي الحديث
القبائل الارامية الجزرية
قيام الدولة البابلية الحديثة

نبوخذنصر ونشاطاته الداخلية واعماله العسكرية
خلفاء نبوخذ نصر
نبونائيد ونشاطاته الداخلية والخارجية
سقوط بابل على ايدي الغزاة الاخمينيين

الفصل التاسع

العصر البابلي الحديث[1] « الدولة الكلدية »

(٦٢٦ ـ ٥٣٩ ق . م)

كان الكلدنيون (او قبائل كلدو) وهم فرع من الاقوام الآرامية الجزرية التي نزحت من شبه الجزيرة العربية في اوائل الالف الاول قبل الميلاد . وهيمنت على منطقة الخليج العربي الى الحد الذي عرف الخليج بأسم (الخليج الكلدي) ، ثم سيطروا على بلاد بابل في اواخر القرن السابع قبل الميلاد . وكان عهدهم آخر عهود الاستقلال السياسي والحكم الوطني في العراق القديم »

استمر حكم السلالة الكلدية اقل من قرن من الزمن . وبالرغم من قصر فترتها بالنسبة الى تاريخ بلاد بابل غير انها كانت فترة مهمة جدا في تاريخ العراق والشرق الادنى القديم بصورة عامة فقد وصلت خلالها البلاد أوج عظمتها وازدهارها وكان الكلديون في بداية أمرهم يؤلفون عددا من المشيخات او الامارات ، يرأس كل منها زعيم او شيخ . وفي القرن السابع قبل الميلاد كانت تسكن على ضفاف الانهار قبائل كلدية كثيرة منها قبائل : بيت داكوري ومنازلهم على نهر الفرات وجنوب بابل وبيت اموكاني الى الجنوب الشرقي من بابل بين دجلة والفرات . وبيت ياكين الذي كان اكبر هذه الامارات نفوسا ومساحة . وقد نزلت الاطراف الجنوبية من العراق عند رأس الخليج العربي بجانب ذلك كان هناك عدد اخر من الامارات ، مثل لاراك ، وبعضها كانت خاضعة لبيت داكوري مثل شعالي وبيت شيلاني وبيت اديني .

كان يطلق على كل شيخ او زعيم قوى يتزعم هذه الامارات ويكون له نفوذ عليها لقب ملك بلاد كلدي ، وكانت القبائل الكلدية ابان استقرارها في العراق خاضعة للنفوذ الاشوري وتؤدي له الجزية .

---

(١) اطلق اسم العصر البابلي الحديث على هذه المرحلة الهامة من تاريخ العراق القديم (٦٢٦ ـ ٥٣٩ ق . م) تميزا لها عن الفترة الزاهرة التي سبقتها (العصر البابلي القديم) والتي شملت معظم النصف الاول من الالف الثاني قبل الميلاد والتي كان من ابرز قادتها الملك البابلي الشهير حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق . م) .

وفي اواخر حكم الدولة الاشورية كان الكلديون يسكنون معظم مدن وسط وجنوب العراق وقد غمرتهم مظاهر الحضارة البابلية في نواحي عديدة منها اللغة والدين والثقافة والأدب .

كان نبوبلاصر « نبو ـ ابلا ـ اوصر » (٦٢٦ ـ ٦٠٥ ق . م) مؤسس الدولة البابلية الحديثة زعيما لقبيلة كلدو التي استقرت في جنوب العراق ثم مالبث ان نصب نفسه ملكاً على بلاد بابل مؤسساً الاسرة الحادية عشرة البابلية في فترة الاضطراب الذي حل ببلاد آشور في أواخر ايامها . ولقب نفسه بملك بلاد البحر وخاض معارك عنيفة ضد القوات الاشورية المتمركزة في بلاد سومر وأكد ثم استمر في فتوحاته نحو الشمال حتى وصل الى منطقة حران واعد العدة للقضاء على الامبراطورية الاشورية وتحالف مع ـ كي ـ اخسار ملك الميديين . ويظهر من نتائج الاحداث ان الميديين لم يهتموا بالاستيلاء على بلاد اشور بقدر ماكان هممهم الحصول على الغنائم ولذلك وقعت بلاد اشور تحت سيطرة نبوبلاصر . ومن جهة اخرى، فقد اعطى نبوبلاصر اهمية كبرى، للسيطرة على سوريا وفلسطين وذلك للحد من توسع نفوذ المصريين فيها .

وتمكن اخيرا من تحقيق هدفه ثم توفي تاركا لابنه نبوخذ نصر مملكة واسعة تمتد حتى ساحل البحر المتوسط وحدود مصر

نبوخذنصر (٦٠٤ ـ ٥٦٢ ق . م) : ـ

ومعنى اسمه « نابو ـ كدورو ـ اوصر » (الاله نابو يحمي ذريتي) . في الوقت الذي كان فيه نبوخذنصر على رأس جيشه في طريقة الى مصر عند نهر العريش وصلته اخبار وفاة والده نبوبلاصر فقفل عائداً بسرعة الى العاصمة بابل للمشاركة في مراسيم دفن والده واعتلاء العرش . وقد كان لعنصري المبادرة والمباغته في الهجوم والخطط التي كان يتبعها نبوخذنصر في تحركاته العسكرية سبباً في شهرته ومقدرته وتفوقه على خصومه في المعارك . تولى نبوخذنصر الحكم وهو في العقد الثالث من عمره . غير انه كان يملك خبرة ومعرفة واسعة في شؤون الدولة وقيادة الجيش .

شغل نبوخذنصر السنوات الاولى من حكمه في تثبيت سلطان الدولة البابلية في بلاد اشور وبلاد الشام وتمكن من بسط نفوذه وفرض الجزية على المدن والدويلات السورية مثل دمشق وصور وصيدا واورشليم ولكنه دمر مدينة (عسقلون) عسقلان

بسبب ثورة ملكها . غير ان الوضع السياسي العام في بلاد سوريا لم يستمر هكذا . فقد قام يهوياكيم حاكم يهوذا في فلسطين من اعلان ثورته على السطة البابلية بتحريض من الملك المصري نيخو الثاني الذي عاد الى سياسته السابقة في اثارة الفتن والاضطرابات . ولاسيما في المدن الفلسطينية ويحرض على الثورة والعصيان ضدُ النفوذ البابلي . وامتنع يهوياكيم من دفع الجزية وذلك عام ٥٩٧ ق . م . وخلع الاعتراف بالسيادة البابلية عن مملكة يهوذا مما اضطر نبوخذنصر الى ارسال جيش حاصر اورشليم العاصمة فأستسلمت له وفتحها في هذا العام وهلك ملكها اثناء الحصار . واسر عدداً من اليهود (٣٠٠٠) اسير منهم الصناع والحرفيون وجلبوا الى بلاد بابل . ونصب نبوخذنصر على مملكة يهوذا ملكاً جديداً هو « صدقياً » وهذا مايعرف بالاجلاء البابلي الاول لليهود وبعد احد عشر عاماً خلع صدقياً ولاءه للملك البابلي وانحاز الى جانب الفرعون المصري الذي بدأ يتدخل في شؤون المدن السورية والفلسطينية من جديد . وانتهى الامر بأرسال حملة عسكرية تأديبية جديدة قادها نبوخذنصر . فضيق الحصار على اورشليم . فأستسلمت له بعد عام ونصف العام انتهت بفتحها عام ٥٨٦ ق . م . وانهاء مملكة يهوذا من الوجود واسر من سكانها اعداداً كبيرة قدرتها التوراة بأربعين الف يهودي اجلوا الى بلاد بابل وهذا مايعرف بالاجلاء البابلي الثاني .

بعد ذلك تحرك نبوخذنصر بقواته الى المدن السورية والفلسطينية الاخرى التي تمردت واعاد سيطرته عليها بسرعة . الا ان مدينة صور ذات الحصون المنيعة التي قاومت حصاراً طويلاً دام ثلاثة عشر سنة . حتى سقطت بيد الجيش البابلي عام ٥٧١ ق . م . وبذلك اصبحت السيطرة البابلية كاملة على جميع المدن السورية والفلسطينية . اما مصر فانها لم تتوقف عن تحريض الدويلات السورية للثورة على السلطة البابلية .

وكان الغرض من كل هذه الحملات التأديبية وهو وضع حد لتحرشات القبائل القاطنة في البادية عند الحدود الجنوبية الغربية للدولة البابلية وتأمين طرق التجارة القادمة الى بابل عبر هذه الجهات وكذلك لتأمين طريقة الى مصر مستقبلاً . ولعل سياسة نبوخذنصر الجديدة وهي السيطرة التجارية القادمة من شبه الجزيرة العربية بسبب سيطرة الاقوام الميدية على الطرق التجارية القادمة عبر ايران واسيا الصغرى .

ومن الجدير بالذكر ان وثيقة الاخبار البابلية تشير الى ان الملك نبوخذنصر قاد في السنة التاسعة من حكمه (٥٩٥ ق . م) حملة بابلية بأتجاه الحدود الجنوبية الشرقية للدولة البابلية وعبر نهر دجلة لوضع حد للاضطرابات التي حاولت عيلام اثارتها ضد بلاد بابل . غير ان العيلاميين تراجعوا الى داخل مناطقهم بعد ان خرج نبوخذنصر على رأس جيش واصبح على مسيرة يوماً واحداً من اماكن الغزاة ، الامر الذي اثار مخاوفهم فأنسحبوا خوفاً من الاشتراك بمعركة خاسرة مع الجيش البابلي .

وكذلك فان هناك ذكراً لحملة عسكرية قام بها نبوخذنصر على مصر في السنوات ٥٦٨ ـ ٥٦٧ ق . م ووقع اشتباك بين الطرفين في الأقسام الساحلية من مصر . كما ان هناك اشارة الى احتمال وصول جيشه الى ليبيا . وهناك اشارات اخرى تؤكد وصول قواته الى اقاليم ليديا وخومي وبيربندو في بلاد الاناضول وكليكيا ومارخشي في لورستان غربي ايران .

على الرغم من الحروب الكثيرة التي خاضها نبوخذنصر والتي تطلبت اموالا طائلة فقد اولى الملك البابلي عناية كبيرة بالناحية العمرانية ولاسيما الاعمال العمرانية الكبيرة التي انجزها في مدينة بابل نفسها وامهات مدن العراق القديم مثل (بورسبا ولارسا والوركاء وسپار واور ودلبات) . وكان مدينة بابل في عهده مستطيلة الشكل تقريباً يخترقها نهر الفرات من الشمال الى الجنوب ويبلغ محيطها حوالي عشرة كيلومترات ومساحتها نحو اربعة الاف دونم . وشيد فيها معبد (اي ـ ساك ـ ايلا) (É. SAG. íla) - الكبير للاله مردوخ وبرجه العالي (اي ـ تمين ـ ان ـ كي) (É. TEMEN. AN. KI) (معبد اساسه السماء والارض) وبنى بوابة عشتار وزينها بالاجر المزجج والالوان الزاهية بصور حيوانات بارزة تمثل الاسد والثور والحيوان الخرافي المسمى (الموشخوشو) رمز ارباب العالم السفلي . وكانت جدرانها تنتصب الى ارتفاع ستة وثلاثين قدماً فوق مستوى سطح الارض الحالية . وبنى له قصوراً فخمة عرف منها القصر الصيفي (قصر حياة نبوخذنصر) والقصر الشمالي والقصر الجنوبي (قلعة نبوخذنصر) والجنائن المعلقة التي اشتهرت في التاريخ لكونها احدى عجائب الدنيا السبع .(٢)

---

(٢) يقول الاغريق هناك سبع عجائب في العالم القديم وهي : ـ
١ ـ اهرام مصر ٢ ـ منارة الاسكندرية ٣ ـ اسوار بابل وجنائنها المعلقة ٤ ـ تمثال الالة زيوس في اولمبيا ٥ ـ معبد ديانا في اميوس بأسيا الصغرى ٦ ـ وضريح موزوليوس ملك كاريا بأسيا الصغرى ٧ ـ والتمثال الضخم في جزيرة رودس . واضاف المحدثون بعض العجائب الاخرى كسور الصين وغير ذلك .

واتم نبوخذنصر بناء سوري بابل الداخلي والخارجي اللذين كان لهما ثمانية ابواب سميت كل منها بأسم اله . واصلح شارع الموكب المعروف بأسم (الذي لايعبره العدو) والذي كان يبلغ عرضه ثلاثة وستين قدماً . يصل بابل ببيت الاكيتو (وهو المعبد المكرس لعيد رأس السنة البابلية الجديدة) الذي يقع عبر نهر الفرات ويستمر الى بوابة عشتار وبعدها يستمر شارع الموكب ممتداً اضيق قليلاً الى داخل المدينة .

وكانت قاعدة السور الخارجي يزيد عرضها على ستة وثلاثين قدماً وتتسع لمرور عربة او حتى لعربتين تسحبهما اربعة جياد مرة واحدة لكي تعطي للمقاتلين حرية التحرك السريع للدفاع عن المدينة .

وهناك دلائل تشير الى تعمير المدينة من قبل بعض الملوك الاشوريين مثل اسرحدون واشور بانيبال .(٢)

ويعد نبوخذنصر بذلك باني مدينة بابل بعد ان دمرت من قبل الملوك الاشوريين المتأخرين مثل سنحاريب واشور بانيبال .

لقد صرف نبوخذنصر اموالاً طائلة لتعمير بابل خاصة والمدن العراقية الاخرى مثل بورسبا ولارسا والوركاء وسپار واور ودلبات .

حكم نبوخذنصر نحو ٤٢ عاماً . قضى اكثر من نصفها في الحروب وقيادة الجيش البابلي في جميع الجبهات لأجل توطيد دعائم الامبراطورية البابلية .

فلذلك يعد ابرز شخصية عرفها العالم القديم اضافة الى كونه رجل دولة من الطراز الاول فانه كان قائداً عسكرياً فذاً . ومشيداً ذا خيال واسع وطموح بعيد . وكان ملكاً ورعاً ومصلحاً دينياً . ونشر الثقافة البابلية في جميع بلدان الشرق الاوسط . وربما كان نبوخذنصر ولعا في الاثار التي ترجع الى عصور سحيقة في القدم مما دفعه الى الاحتفاظ ببعض الاثار في قصره (القصر الجنوبي) ومن اشهرها الاثر المعروف بأسد بابل المنحوت من حجر البازلت الذي يقف فوق رجل مطروح ارضاً . والذي ربما يعود لفترات سابقة . توفي نبوخذنصر في بابل في الفترة الواقعة بين ٢٦ ايلول و ٦ تشرين اول سنة ٥٦٢ ق . م تاركاً اربعة اولاد

(٢) D. D. Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia, Chicago, Vol, 2, 1927, pp. 242-407.

اكبرهم ولي عهده (اميل مردوخ) وبنتين تزوج احداهما قائده نركال ـ شار ـ اوصر وتزوج الاخرى، نبونائيد اخر ملوك السلالة الكلدية ورزق منها بولده بيلشاصر .

خلف نبوخذنصر على العرش البابلي ثلاثة من الملوك الضعفاء الذين لم يتمكنوا من المحافظة على سلطان ونفوذ الدولة البابلية فانتاب الامبراطورية البابلية ضعف وتدهور .

حكم اميل مردوخ بعد وفاة نبوخذنصر مدة سنتين (٥٦٢ ـ ٥٦٠ ق . م) ثم اعقبه في حكم البلاد زوج اخته نركال ـ شار ـ اوصر الذي تولى السلطة لمدة اربع سنوات « ٥٦٠ ـ ٥٥٦ ق . م » ثم اعقبه ولده لباشي مردوخ وكان قاصراً عند توليه العرش ولم يحكم الاخير سوى بضعة اشهر . فانتاب الامبراطورية البابلية ضعف وتدهور وقامت الثورة في البلاد وانتهت بتنصيب نبونائيد (نبونيدوس في المصادر الاغريقية) ملكاً على البلاد .

نبونائيد (٥٥٦ ـ ٥٣٩ ق . م) : ـ

يعتقد ان نبونائيد كان ابن لاحد النبلاء وكانت امه احدى كاهنات الاله سين في حران . وقد تسلم العرش البابلي وهو في العقد السادس من عمره بعد ان تقلد عدة مناصب مرموقة في عهد نبوخذنصر ونركال ـ شار ـ اوصر . وكان نبونائيد كثير التأثر بأمه فورث عنها اهتمامه في الشؤون الدينية والعبادة الشبه وحدانية للاله سين (اله القمر) الذي خدمته امه طول حياتها

كما كان احد القادة البارزين في عهد نبوخذنصر . وقد اشتهر في الكتب التاريخية بأنه كان مولعاً بالبحث ودراسة الماضي . فقد تم في عهده استنساخ العديد من الوثائق القديمة وجمع الاخبار وقطع الاثار القديمة .

وقد اشتهر نبونائيد بتعمير بلاد بابل وتشييد المعابد وتجديدها . ويمكن مشاهدة الآجر المطبوع بأسمه في اسس بعض المعابد والزقورات مثل اور والوركاء وسبار ونفر وكيش وفي بابل . وقام ببناء معبد الاله سين في حران . وقد بدأ نبونائيد بأعمار معبد مردوخ في بابل واصلح تحصينات الاسوار فيها . وقد شيد بنايات جديدة بمعبد الاله سين في اور وشيد فيها بيتاً لسكن ابنته التي عينها

كاهنة عليا لاله القمر . ومن ابرز اعمال نبونائيد العسكرية تقدمه على رأس جيشه لتحرير مدينة حران من السيطرة الميدية . ثم زحف عام ٥٥٣ ق . م على بعض مناطق سوريا الشمالية الغربية .

وفي نهاية السنة قضى على تمرد ملك ايدوم . ووصل الى غزة . كما انه نصب الملك حيرام الثالث على مدينة صور وفي سنوات حكمه السابعة والتاسعة والعاشرة والحادية عشرة ذهب نبونائيد الى مدينة تيماء (في المملكة العربية السعودية حالياً) حوالي الف كيومتر إلى الجنوب من بابل والمركز الاخر لعبادة الاله سين وقتل ملكها وسيطر عليها واعاد تنظيم المدينة وشيد لها سوراً وبنى قصراً فخماً . وعاش فيها عشر سنوات واتخذ منها قاعدة سيطر خلالها على عدد من الواحات والمدن منها : العُلا (دادانو) وفدك وخيبر والحويط (ياديخو) ودومة الجندل (ادمو) ويثرب يبتريبو) . وقد قام بأدارة البلاط البابلي اثناء غيابه في تيماء ابنه بيلشاصر الذي اشركه في الحكم معه .

لقد كان في اقامة نبونائيد في شمالي الجزيرة العربية هذه المدة الطويلة بعيداً عن بابل عدة اسباب ابرزها الجوانب الاقتصادية والسياسية والدينية فاما الناحية الاقتصادية فقد ارتفعت الاسعار ارتفاعاً فاحشاً وعم التضخم النقدي في البلاد . ولذلك اختار تيماء لاهميتها الاقتصادية حيث تقع وسط سهل خصب وذات مناخ صحي . تلتقي فيها الطرق التجارية القادمة من مأرب مارة بمعان ونجران ويثرب ومدائن صالح . ومنها يخرج فرع يذهب الى العراق وفرع آخر الى البتراء عاصمة الانباط .

ويمر بها الطريق القادم من الجرعاء على الخليج العربي ماراً بالاحساء بالهفوف (قرب الرياض) ثم بريدة وحائل . واعتقد البعض ان نبونائيد ربما فكر في الحصول على المساعدات العربية من مناطق الجزيرة العربية التي مر بها لمواجهة الاخطار الفارسية المحدقة بالعراق والتي كان يعدلها كورش الفارسي للتوسع غرباً على حساب الدولة البابلية .

لعل من اهم الاسباب في بقاء نبونائيد في تيماء هو ايجاد الطرق التجارية الجديدة للاتصال بالعالم الخارجي وذلك بعد قطع الفرس (الميديون والاخمينيون)

الطريق الشمالي وطريق ايران(٤) وحاول تامين الطريق التجاري الجديد والممتد من اليمن الى مصر وفلسطين ماراً بالحجاز .

سقوط بابل

لقد استغلت بلاد فارس المشكلة الاقتصادية في بابل ووجود نبونائيد خارج البلاد فشنت غاراتها على بلاد بابل مما اضطر نبونائيد من العودة اليها في حدود عام ٥٤٦ ق . م . وكان انذاك شيخاً كبيراً تجاوز السبعين ولم يتمكن من مجابهة الاخطار المحدقة التي كانت تحدث في البلدان المجاورة . وبالرغم من ان ولده بيلشاصر تسلم مقاليد الحكم بدلاً منه . وكان هذا محارباً كفأ ولكنه لم يكن سياسياً محنكاً حيث كانت بوادر الخطر قادمةِ من ايران يتزعمها كورش الفارسي الذي سيطر على مملكة ليديا في آسيا الصغرى وتحالف مع المستعمرات الاغريقية لغزو المنطقة .

لقد ادى غياب نبونائيد المستمر عن احتفالات عيد راس السنة البابلية التي اشترط حضور الملك فيها الى توقف تلك الاحتفالات الامر الذي اثار غضب كهنة معبد مردوخ في بابل وفجأة حضر نبونائيد عيد الاكيتو لعام ٥٣٩ ق . م . بعد ان سنحت له الفرصة . وكان ذلك آخر عيد تحتفل به بابل في ظل حكم وطني محلي .

واخيراً توجه كورش الفارسي الى بلاد بابل لغزوها في تشرين الاول عام ٥٣٩ ق . م حيث اصطدم الجيش البابلي الذي وقف لصد الاعداء عند مدينة اوبيس قرب مدينة المدائن الحالية واستطاع كورش من السيطرة على المدينة نتيجة خيانة غوبارو الحاكم البابلي لمنطقة كوثا (قرب المسيب) . الذي خان ملكه نبونائيد وانظم الى احضان الغزاة واستفاد كورش من تلك الخيانة وعهد الى غوبارو بقيادة الجيش الفارسي لاحتلال بابل وتقدم الغزاة واحتلوا سپار (قرب اليوسفية) في اليوم الرابع عشر من تشرين اول .

ثم تقدمت الجيوش المعادية الى بابل واحتلتها في اليوم السادس عشر من الشهر نفسه . بعد ان ظلت القلعة والقصر الملكي يقاومان القوات المعادية .

---

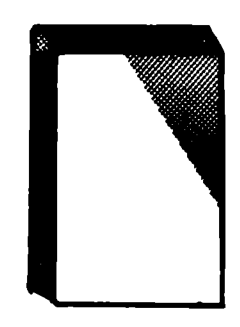
(٤) انظر د . فاروق الراوي . الوطن العربي في العصور القديمة . الارض والناس . ندوة سبل التصدي للدس الشعوبي . بغداد . ١٩٨٨ .

واستفاد كورش من الخونة اليهود في بابل الذين جلبهم نبوخذ نصر ضمن مرحلتي الاجلاء البابلي الاول ٥٩٧ ق . م والاجلاء البابلي الثاني ٥٨٦ ق . م في نشر الدعايات الاعلامية حول كورش باعتباره المسيح المنتظر وساعد هؤلاء اليهود العدو المتقدم لاحتلال بابل . وتدل وثيقة الاخبار البابلية بان غوبارو هو الذي احتل بابل بجيوشه ثم سلمها لكورش في الثالث من تشرين الثاني اي بعد سبعة عشر يوماً من سقوطها من قبل غوبارو وهذا يفسر معرفة غوبارو بوضع خطة لاحتلال المدينة باعتباره ابن البلد . وقد عمل على تحويل مياه نهر الفرات بحيث انخفض مستوى المياه في النهر انخفاضاً كبيراً ظهرت على اثره كل القنوات التي تدخل المدينة .

فسلك جنوده القنوات لاحتلال المدينة . ورغم مابداه بيلشاصر من استعداد للدفاع عن الدولة الا انها سقطت بفعل العوامل التي ذكرناها سابقاً وقتل الجيش المعتدي الملك بيلشاصر واسر نبونائيد .

وتشير الدلائل الى معرفة البابليين آنذاك بالخيانة التي لولاها لما تمكن الغزاة من احتلال مدينتهم الحصينة الى جانب كونها خالية من قوة عسكرية كافية للدفاع عنها في ساعة الهجوم . واول عمل قام به كورش الفارسي بعد احتلاله بابل السماح لليهود بالعودة الى فلسطين وبناء معبدهم في القدس فعاد بعضهم محملين بالهدايا وقد آثر البعض الآخر البقاء .

وهكذا انتهت آخر سلالة وطنية حكمت في العراق القديم ودخل العراق تحت الحكم الاجنبي . وعلى الرغم من الانتفاضات الكثيرة التي قادها البابليون تحت اسم نبوخذ نصر الثالث والرابع الا ان البلاد لم تتحرر حتى حروب التحرير العربية الاسلامية في القرن السابع الميلادي .



الفصل العاشر

العراق خلال فترة الغزو الاجنبي

الغزو الفارسي الاخميني
الغزو المقدوني والسلوقي
الغزو الفرثي
الغزو الساساني

اسباب الغزو الاجنبي للعراق

نهاية الغزو الساساني وبزوغ فجر الدعوة العربية الاسلامية . ونهاية التاريخ القديم وبداية التاريخ العربي الاسلامي .

الفصل العاشر

العراق خلال فترة الغزو الاجنبي

انتهى الحكم الوطني في العراق بسقوط بابل عام ٥٣٩ ق . م . على ايدي الغزاة الفرس الاخمينيين(١) ودخل العراق بانعطاف سياسي خطير اخذت البلاد ترزح تحت وطأة الاحتلال الاجنبي الذي دام زهاء الف عام واصبحت مسرحاً لحروب طاحنة بين الدول الغازية وحسب تسلسلها :

١ ـ الغزو الفارسي الاخميني ٥٣٩ ـ ٣٣١ ق . م .
٢ ـ الغزو المقدوني والسلوقي ٣٣١ ـ ١٢٦ ق . م .
٣ ـ الغزو الفرثي ١٢٦ ق . م ـ ٢٢٦ ميلادية .
٤ ـ الغزو الفارسي الساساني ٢٢٦ ـ ٦٣٧ ميلادية .

لقد تمتع العراق بمجموعة مميزات جعلت ارضه هدفاً للطامعين الاجانب فهو يتوسط بحرين عظيمين هما البحر الاسفل (الخليج العربي) والبحر الاعلى (البحر الابيض المتوسط) . كان لها شأن كبير في نشوء وازدهار الحضارات القديمة . وهو ذو موقع استراتيجي هام بين ملتقى الطرق التجارية البرية والبحرية ولأن العراق يقع بين القارات الثلاث اسيا واوربا وافريقيا . وعند ملتقى الطرق التجارية الرئيسة اضافة الى توفر مصادر المياه العذبة والسهول الواسعة المنبسطة الخصبة . التي جعلت خيراته وفيرة .

---

(١) الفرس الاخمينيون من الاقوام الهندية ـ الاوربية التي استوطنت ايران في مطلع الالف الاول قبل الميلاد في الجزء الجنوبي الغربي من ايران وهو الجزء الذي اطلق عليه اسم بلاد فارس وسميت السلالة الاخمينية نسبة الى مؤسسها هاخمانيش ـ واستطاعت ان تتسع بعد فترة من الزمن وتمكنت من القضاء على الدولة الميدية في الجزء الشمالي الغربي من ايران والمملكة العيلامية في الجزء الجنوبي الغربي منها واتخذ كورش من مدينة اكبتانا (همدان) عاصمة له بعد ان كانت عاصمة الميدين قبله . لقد كون كورش حضارتهم المشتقة في اسمها واصولها من الحضارة العراقية القديمة ويظهر ذلك واضحاً في بعض الاساليب والنظم الادارية والاقتصادية والقانونية ونظام البريد التي ترجع باصولها الى العصور الاشورية والكلدية .

لقد استهدفت الاقوام الغازية للعراق جملة اهداف يمكن ايجازها فيما يأتي ،

١ ـ استغلال خيراته مثل الخيرات الزراعية وثرواته المعدنية على اختلافها وموارده المالية .
٢ ـ استغلال المنجزات الحضارية التي بناها ابناء العراق القديم والتمتع بها والاستفادة منها .
٣ ـ السيطرة على طرق التجارة الدولية البرية منها والبحرية .
٤ ـ منع قيام دولة قوية بعد العصر الكلدي تقف بوجه القوى الطامعة في ارضه ومياهه وثراوته المختلفة .
٥ ـ ايقاف عجلة التقدم والحد من التطور الحضاري المضطرد للبلاد .

وبسبب هذه الخصائص والمزايا التي يتمتع بها العراق كان عرضة لاطماع الغزاة . الا ان العراق بقي شامخاً اصيلاً بالرغم من شتى صنوف الاضطهاد التي تعرض لها . وقام اهله باكثر من ثورة ضد الغزاة المستعمرين حتى ان الوضع السياسي بشكل عام تميز بانغماس الحكام الاجانب بالترف والمفاسد وانهيار معنويات الجيش والثورات المتكررة في بلاد بابل وغيرها من الاقاليم ـ وكذلك المؤمرات والدسائس الداخلية التي اصبحت من ميزات الاسر الفارسي حيث عم الفساد والترف في قصور الحكام الغزاة وولاتهم وازدادت المؤمرات والدسائس واصبح اغتيال الحكام والملوك وافراد الاسر الحاكمة من الامور المألوفة كما قام عدد من ملوكهم بقتل اخوتهم حال تسلمهم العرش خشية قيامهم بالمؤامرات ضدهم . كما ان هؤلاء الغزاة وسعوا نفوذهم وشملت اجزاء واسعة من الوطن العربي القديم واجزاء اخرى من العالم القديم . وكانت نهايتهم المحتومة عندما بزغ الفجر الجديد امام جيوش العرب في ذي قار ثم الجيوش العربية الاسلامية في موقعة القادسية عام ١٦ هـ (٦٣٧ ميلادية) حيث انتهى كيان الغزاة الساسانيين في العراق . كما دخلت جميع الاقطار بعد ان سحق الغزاة من قبل الجيوش العربية الاسلامية وتمت عملية التحرير الشامل تحت لوائهم فعاد العراق ثانية الى حكمه الوطني .

وهكذا ينتهي التاريخ القديم بالنسبة الى منطقة الشرق الادنى ومنها العراق عند عملية التحرير العربي الاسلامي في القرن السابع الميلادي ويبدأ التاريخ العربي الاسلامي فيها .(٢)

---

(٢) حول الغزو الاجنبي للعراق راجع ،
مجموعة من الاساتذة والباحثين ، الصراع العراقي الفارسي ، بغداد ، ١٩٨٣ . انظر ايضاً مجموعة من الاساتذة والباحثين ، العراق في التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣ ص ٢٣٥ ـ ٢٦٨ .

الفصل الحادي عشر

جوانب من الحضارة العراقية القديمة

الناحية الادارية والسياسية

نظام الحكم : الكاهن الاعظم . الامير . الملك

دويلات المدن وتوحيدها والامبراطوريات القديمة

الملك المؤله . الملك البديل . ولاية العهد . التتويج . واجبات الملك . الالقاب الملكية . العلاقات الخاريجة . جهاز الدولة الاداري .

الناحية الاجتماعية :

التكوين الاجتماعي : الاسرة الخطوبة والزواج . التبني . الطلاق .

الناحية الاقتصادية :

الزراعة . التجارة . الصناعة . اهم الحرف والصناعات

الناحية الدينية :

المعتقدات الدينية . المعبد .

الناحية الثقافية :

الادب

العلوم والمعارف :

الكتابة . مادة الكتابة . اشكال الرقم الطينية ومضامينها . المدرسة .المكتبات وحفظ الوثائق . انتشار الخط المسماري وحل رموزه . الجغرافية . العلوم . الكيمياء . الرياضيات . الفلك . الطب

الفصل الحادي عشر

جوانب من الحضارة العراقية القديمة

تعد الحضارة العراقية القديمة من اعرق الحضارات الانسانية الاصلية المعروفة فقد كان لموقع العراق الجغرافي اثره في حياة الانسان وسير حضارته سواء كان ذلك من ناحية المناخ والزراعة والحياة الاقتصادية هذا من ناحية ومن ناحية اخرى، تركيب سكانه التاريخي واتصالاته بالاقطار العربية المجاورة والاقوام الاخرى، المحيطة بالوطن العربي القديم الى غير ذلك مما للموقع الطبيعي من نتائج مؤثرة في حركة التاريخ والحضارة. وذاك صراع طويل خاضه الانسان العراقي القديم ضد تحدي الطبيعة وكان دوره حاسماً في ترويض البيئة والتغلب عليها وتسخيرها لخدمته.

بدأ الانسان العراقي القديم حياته الاولى في المنطقة الشمالية والشمالية الشرقية من البلاد وسكن الكهوف والمغاور وكان يعتمد في حياته الاولى على جمع النباتات وصيد الحيوانات وتمكن بمرور الزمن من تسخير الطبيعة لخدمته والاستفادة منها. ثم اهتدى، للزراعة وتدجين الحيوان بعد ان عاش اكثر من ٩٨ ٪ من عمره قبل ان يهتدي اليها واصبح منتجاً للقوت بعد ان كان جامعاً له وذلك في حدود الالف التاسع قبل الميلاد وبدأ الاستيطان في الاكواخ والقرى، الى جانب حقوله الصغيرة وانشأ اولى المستوطنات الزراعية في جرمو قرب كركوك وحسونة قرب الموصل وغيرها من المستوطنات السهلة قرب الانهار. وانتقل إلى القسم الجنوبي من العراق منذ الالف الخامس قبل الميلاد. وظهرت اولى المدن والمستوطنات الحضارية على ضفاف دجلة والفرات وفيها بدأت محاولات الانسان العراقي القديم من الكتابة والتدوين والتربية والتعليم وفي تدوين التاريخ والقانون وفي العلوم والمعارف كالطب والكيمياء والرياضيات والفلك والفن والادب والتجارة والصناعة وغيرها. فقد ساهم العراقيون القدماء سواء كانوا سومريين ام اكديين (بابليين واشوريين) جميعاً كل حسب موقعه في بناء حضارتهم في عصورها المختلفة وانتشارها خارج البلاد لتعريف العالم القديم على تلك الحضارة الاصلية.

وسوف نوجز بعض مظاهر الحضارة العراقية القديمة :

(١) الناحية الادارية والسياسية :

تبدأ معلوماتنا عن ادارة وسياسة بلاد وادي الرافدين ببداية معرفتنا بالكتابة المسمارية التي ظهرت في اواسط الالف الرابع ق . م حيث ظهر نظام الحكم في القسم الجنوبي من العراق اول مرة بعد ان توسعت القرى الزراعية التي نشأت في عصور ماقبل التاريخ واصبحت مدنا عامرة في العصر الشبيه بالكتابي وبرزت ملامحها في التقدم والازدهار وبظهور اولى السلالات السومرية الحاكمة والتي شكلت انظمة سياسية عرفت بين المختصين بدويلات المدن السومرية (City States) التي ظهرت منذ الالف الثالث ق . م . في بلاد سومر في المنطقة المحصورة ضمن محافظات القادسية والمثنى وذي قار .

والمقصود بهذا النظام هو ان كل مدينة من هذه المدن كانت دويلة مستقلة لها حاكمها الخاص الذي يخضع لسلطة اله المدينة الرئيس فهو يدير شؤون المدينة نيابة عن الاهها الخاص ولها قانوناً وعاداتها وتقاليدها الخاصة .

لقد ازدهرت كل دويلة من هذه الدويلات والتي بلغ عددها ثلاث عشرة مدينة في عصر فجر السلالات فكانت كل واحدة تتألف من مدينة مركزية هي العاصمة ويتبعها مدن اخرى وعدد من القرى والار ياف والاراضي الزراعية وكان لهذه الدويلات السومرية اسوار تحيط بها وتحّميها من الاعتداءات الخارجية .

وكان اهم مايميز هذا العصر من الناحية السياسية هو ان هذه الدويلات كانت مستقلة ومنفصلة بعضها عن البعض الآخر وكانت على الغالب في نزاع وحروب فيما بينها من اجل السيطرة على المزيد من الاراضي الزراعية ومصادر المياه والسيطرة على الطرق التجارية المؤدية الى مصادر المواد الخام. او من اجل توحيد تلك الدويلات بدولة واحدة وضبطها تحت سلطة مركزية واحدة لضمان امنها وسلامتها او لتأمين سيادتها والدفاع عن حقوقها المشروعة .

ان هذه المرحلة كانت قائمة على اساس ان الاله هو مالك كل شيء بالاضافة الى ذلك فانه كان مشرفاً على ادارة المجتمع وينظم اموره على اساس ثيوقراطي وان الدولة تشرف على كافة وسائل الانتاج وجعلها في خدمة الاله وان ذلك يتم تنفيذه بواسطة وكيل الاله المفوض في ادارة شؤون المدينة .

ان تضارب مصالح دويلات هذه المدن وما يتطلبه من تنظيمات لشؤون الادارة والري والتجارة الخارجية وماتبع ذلك من اتساع مدنها وتكاثر سكانها كل هذا كان يحول دون توحيد هذه الدويلات بدولة مركزية واحدة ثم عادت واضمحلت هذه الدويلات في اواخر تلك الفترة وحل محلها دولة القطر الواحد .

ان محاولات التوحيد كان قد سعى اليها بعض امراء الدويلات ومنهم « مسيلم » ملك كيش (تل الاحيمر قرب الحلة) والذي استطاع ان يبسط نفوذه على منطقة واسعة من السهل الرسوبي من جنوب العراق واتخذ لنفسه لقب الملك لاول مرة كما حاول الملك (مس ـ آنيبدا) مؤسس سلالة اور الاولى . غير ان عملية التوحيد تمت في نهاية هذا العصر عندما استطاع « لوكال ـ زاكيزي » ملك اوما (٢٤٠٠ ـ ٢٣٧١ ق . م) من انهاء النزاع الجاري بين مدينته ومدينة لكش وضمها لحكمه في زمن حاكمها (اورو ـ كاجينا) ومن ثم توحيد الدويلات جميعاً بدولة واحدة واطلق على نفسه ملك سومر وحكم حوالي (٢٥ سنة) وان التوحيد الفعلي جاء على يد الاقوام الجزرية بزعامة الملك (سرجون الاكدي) (٢٣٧١ ـ ٢٣١٦ ق . م) الذي استطاع من تكوين اول امبراطورية في العالم القديم .

وجرى العرف السياسي من ان كل حاكم ينجح في مد سلطانه الى المدن الاخرى كان يتخذ لنفسه لقباً سياسياً هو ملك « كيش » وتطور ذلك المدلول في العصور التاريخية اللاحقة الى معنى ملك العالم بالاكدية (شار ـ كشاتي **(Šar Kiššati)**

ان من بين النصوص المسمارية التي زودتنا بمعلومات عن عصر فجر السلالات هي جداول الملوك او اثبات الملوك السومريين : فتبشير بان الملوكية (بالسومرية: **(Nam - Lugal)** نزلت اول مرة من السماء وهي هبة منها ومقرها فيها ورموزها الصولجان والتاج وعصا الراعي ونزلت منها الى الارض في مدينة اريدو (بالقرب من مدينة اور) ثم انتقلت الى عدد من المدن الاخرى، الى ان حل الطوفان الذي اهلك الحرث والنسل فاكتسح الارض ومن عليها باستثناء رجل الطوفان (زيو ـ سدرا النص السومري) او اترا ـ خاسيس النص البابلي او اوتو ـ نابشتم النص الاشوري) فارتفعت الملوكية ثانية الى السماء ثم عادت وهبطت في مدينة كيش فلقد اعطت لنا جداول الملوك ارقاما خيالية للملوك الثمانية الذين حكموا قبل الطوفان بخمس مدن اذ خصص لهم ٢٤١،٠٠٠ سنة ولعل مثل هذا الرقم الخيالي يعطي لنا فكرة واضحة عن المبالغة والاسطورة الغالبة عليها فمن المحتمل ان يكون اوائل الحكام في

دويلات المدن السومرية من الكهنة الذين اطلق عليهم المصطلح السومري (اين EN) الذي يعني الكاهن خاصة وان المعتقدات الدينية القديمة تؤكد ان البشر خلقوا لخدمة الالهة وتوفير ماتحتاج اليه وان اله المدينة هو ملكها الحقيقي لذلك فان العراقيين القدماء وضعوا كل ثقتهم بالكاهن الذي قام بدور الوسيط بينهم وبين الهتهم فهو الكاهن الاعلى للمعبد والحاكم اي انه يجمع مابين السلطتين الدينية والدنيوية الوقت نفسه . وكان يسكن في جناح خاص ملاصق للمعبد يسمى كيبارا او إكيبار حيث كان المعبد مركز القرية الزراعية ثم المدينة حتى تطورت القرى الى مدن ثم الى دولة المدينة حيث اصبح مدار حياتها الدينية والدنيوية وهناك امثلة كثيرة في القسم الجنوبي من العراق من عصر فجر السلالات حيث كان الكهنة لهم النفوذ الواسع . فأصلاحات اوروكاجينا (اورو انيمكينا ٢٣٥٠ ق . م) تعطينا صورة واضحة عن الصراع الذي دار بين الملوك والكهنة حتى انه قلص من نفوذ اولئك الكهنة في اصلاحاته . وفي منتصف الالف الثالث ق . م اتسعت سلطة دويلة المدينة وضمها اكثر من دويلة واحدة زادت واجبات ومسؤوليات (الاين) ولم يعد بامكانه القيام بالواجبات الدينية والدنيوية في وقت واحد حتى بدأ الأنفصال بين الوظيفتين في فترة لاحقة في عصور فجر السلالات حين ظهر الى جانب الكاهن الكاهن حاكم دنيوي مفوض من قبل اله المدينة واطلق عليه المصطلح (انسي Ensi) (بالاكدية ايشاكو) الذي يعني (الامير) او القائد الذي يشرف على تنظيم الاعمال الزراعية . وانتقل الى قصر خاص مستقل عن المعبد وظل ممثل للالهة على الارض وادى دورا في الامور الدينية .

وفي اواخر الالف الثالث ق . م . ونتيجة لتطور الاوضاع السياسة في البلاد فقد تطلب اختبار احد الاشخاص الاقوياء الذين اتصفوا بصفات القادة لتولي ادارة شؤون المدينة او الدولة وقت الطواريء والازمات ولاسيما في حالة هجوم اجنبي مفاجيء او نتيجة حدوت كوارث طبيعية والتي تحتاج الى اتخاذ قرارات فورية وحاسمة .

وهكذا فان اختيار (اللوكال Lugal) وتعني بالسومرية (الرجل العظيم) اي الملك وهو لقب جديد اكثر اجلالا فقد استخدمه بعض الحكام من الذين امتدت سلطتهم الى اكثر من مدينة واحدة تم ضمها بعد ذلك بدولة مركزية واحدة وكانت وظيفة اللوكال مؤقتة في بداية امرها تتحدد بفترة الطواريء . وشهدت الفترة السومرية الاولى صراعا بين الملك والكهنة وهناك امثلة كثيرة عن كهنة كان لهم نفوذ واسع في العراق القديم مثل دودو كاهن مدينة لكش في زمن انتمينا وحتى ان انتمينا نفسه كان في بداية حياته كاهنا اعلى لاله مدينته .

وبدأت سلطة الكهنة بالتعاظم وخاصة بعد وفاة الملك « اي اناتم » ملك لكش ثم بدأت تفقد الكثير من امتيازاتها واصبحت اجهزت الدولة تستقل الواحدة بعد الاخري وبدأ الصراع بين الملوك وحكام الدويلات والكهنة ولم تعد السلطة الدينية والدنيوية في يد واحدة وهكذا فقد استغل الكهنة ذلك الصراع من خلال السلطة الدينية فمارسوا الظلم الاقتصادي على الفقراء والأرامل واليتامى . غير ان ذلك لم يدم طويلا فقد عادت الدولة بسيطرتها التامة فضربت على ايدي الكهنة كما وضحنا سابقاً في زمن اوروكاجينا .

لقد اصبح قصر الحاكم او الملك يضاهي المعبد الذي كان الدور الرئيس في بداية امره في النفوذ والسلطة واصبح اكثر اتساعا في المساحة والتنظيم ولقد زودتنا التنقيبات الاثارية بصورة مشرفة لتلك القصور في عصور فجر السلالات مثل قصور كيش . واريدو وادب . ومن هنا فقد رجحت كفة القصر اي السلطة الدنيوية على المعبد والسلطة الدينية . حيث تركت السلطة الدينية ادارة المعبد بيد موظفين خاصين يشرف عليهم الانسي وكانوا مسؤولين امامه يستحصلون الضرائب المفروضة على المواطنين . وتخبرنا نصوص شروباك (تل فارة) من عصر فجر السلالات الثالث ان الملك كان المسؤول الديني والدنيوي في الدولة فقد ادار ممتلكات اله المدينة وكان المسؤول الاول عن الاعمال العامة فارتفع شأنه مما جعل مركزه ساميا اكثر من اي وقت مضى ومن هنا تظهر حركة استقلال او انفصال من جانب الملوك عن المعابد فيخبرنا الملك اوروكاجينا عن الملوك الذين سبقوه في لكش كيف استحوذوا على املاك المعابد ووضعوا الضرائب على الطلاق وسمحوا للوزير (السوكال ماخ) من ان يجمع اموالا له. ومن هنا نستطيع معرفة توسيع سلطة الملك واستقلاله عن الكهنة . فلقد اعتقد العراقيون القدماء من ان الالهة هي التي تختار الملك وكان حسب العادة المتعارف عليها تنتخب من قبل مجلسين مجلس الشيوخ ومجلس الشباب وكلا المجلسين يسميان اونكين اي دائرة الشعب ـ وكان المجلسان يجتمعان معا لاتخاذ القرارات الحاسمة في حالة الطوارىء وقد كان النظام في بداية امره ديمقراطيا الا انه وفي اواخر عصر فجر السلالات اصبح النظام ملكيا وراثياً مستبدا ... ولقد افتخر ملوك العراق القدماء من اختيارهم من قبل الالهة من بين رجال مدينة لكش فانتمينا واوروكاجينا ومن بعدهم كوديا في فترة لاحقة واستبشروا خيرا عندما وقع عليهم ذلك الاختيار . لذا فقد كان منصبهم ذا منزلة رفيعة لأنه اختيار الالهة نفسها .

وكان الانسي واللوكال يقومان مقام الكاهن الاعلى في الواجبات ويشرفان على بناء المعابد . وترينا المنحوتات السومرية كيف ان الملك كان يحمل عدة البناء ويكون في مقدمة الناس باعتباره ممثل الالهة على الارض. وكان كلكامش يدعى اول امره بالكاهن الاعلى ثم همل لقب اللوكال لمدينة الوركاء وهناك كثير من الامثلة حول تعيين زوجات وبنات الملوك بصفة كاهنة عليا للمعبد . فمس ـ انيبدا حاكم مدينة اور عين زوجته كاهنة عليا لمعبد سين بمدينة اور .

لقد نظر السومريون للملك ككاهن اعلى لاله المدينة وممثلا عنه على الارض . وكان والد لوكال ـ زاكيري كاهنا اعلى في خدمة اله مدينة اومّا .

وعندما سيطر لوكال ـ زاكيزي على مدينة الوركاء الحق نفسه بكهنتها بدرجة كاهن تطهير لاله السماء (آنو) وهو ادنى مراتب الكهنة كما يدل على حرصه لاظهار نفسه بقبول اصغر المناصب مما يدل على الانفصال الكامل آنذاك بين وظيفة الملك والكاهن ومن واجبات الملك انه كان يحكم بين الناس بالعدل ويخبرنا اوروكاجينا بقوله :ـ (لم يترك اليتيم والارملة يقعان ضحية القوي) فالملك ذو صلاحيات مطلقة وان نظام الحكم كان اوتوقراطيا ويمكن نعته بالثيوقراطي على اساس رعاية الملك السومري للشؤون الدينية في عصر فجر السلالات حيث ادى الدين فيه دورا اساسيا وهناك من الادلة مايشير الى وجود هيئات منبثقة من المجتمع كانت قد ساهمت في الحكم مع الحاكم كما بينا سابقا حيث كانت الفترة الاولى قد تميزت بالنظام الديمقراطي فالملك ممثل الاله على الارض ووكيله بين البشر وان الحروب التي دارت بين دويلات المدن السومرية تصور كحروب بين الهة تلك المدن وعد الكثير من الملوك انفسهم ابناء للالهة اوذا علاقة بها فكلكامش حاكم الوركاء ادعى انه ابن الالهة نينسون وان ثلثيه من اله وثلثه من البشر . وكوديا حاكم لكش ادعى انه ابن الالهة نينا ونينسون. اما سرجون مؤسس السلالة الاكدية فقد ادعى ان الالهة عشتار احبته ومنحته السلطة في البلاد ليضفي الشرعية لحكمه واطلق على نفسه الاسم شرّوكين (الذي يعني الملك الحق الملك الشرعي) . وأكد اورنمو مؤسس سلالة اور الثالثة من انه ابن الالهة نينسون . اما لبت ـ عشتار خامس ملوك سلالة ايسن الامورية فقد ادعى انه ابن الاله انليل . واخبرنا سنحاريب الملك الاشوري في نصوصه من ان الربة ملكة الالهة هي التي اختارته ليكون ملكا عند ماكان في رحم امه . وادعى اشور بانيبال ان امه هي الالهة ننليل (زوجة الاله اشور) وسيدة نينوى، وعشتار اربيل .

وبعد الاستقرار السياسي في عهد الدولة الاكدية في النصف الثاني من الالف الثالث ق . م فقد امتدت بسلطانها خارج بلاد وادي الرافدين بعد توحيد دويلات المدن السومرية وتوسيع نفوذها على بلاد عيلام شرقا وسوريا غربا وسيطرت على الموانىء الفينيقية، وبلاد الاناضول شمالا وامتدت الى جبال الفضة (جبال طوروس)، والخليج العربي جنوبا . وبذلك فقد اسس سرجون الاكدي عام ٢٣٧١ ق . م اول امبراطورية في الشرق القديم وهو اول حكم مركزي وحد بلاد وادي الرافدين تحت ادارة سياسية واحدة . وقد ساهمت فتوحاته العسكرية من تأديب القوى المعادية ونشر حضارة بلاد الرافدين الى ارجاء واسعة من العالم القديم ، واوجد سرجون نظاما جديدا للبريد والمواصلات استلزمتها الظروف الادارية والسياسية لدولته العظيمة وترك لنا حفيدة نرام ـ سين منحوتة تمثل انتصاره على الملك الحوري نحتت على واجهة جبل (بير حسين) قرب ديار بكر ومحفوظة الان في متحف اسطنبول كما سجل نرام ـ سين انتصاراته على اللولوبو الذين كانوا يشكلون تهديدا مستمرا للحدود العراقية من منطقة لورستان . اما اسباب سقوط الدولة الاكدية فهو ان السلطة تركزت بيد الملك بدلا من النظام الثيوقراطي السومري وقد ادى ذلك الى حدوث تناقضات حادة بين القصر والمعبد وكان للكهنة دور كبير في ذلك فقد سادت الاضطرابات بعد حكم الملك نرام ـ سين مما ساعد الاقوام الاجنبية من دخول البلاد ومنهم الكوتيون القبائل الغازية التي استوطنت جبال زاكروس ودخلوا العراق بعد ان دمروا واحرقوا الكثير من مدنه الاكدية وسميت فترتهم بالفترة المظلمة الاولى اذ ساد التخلف والفساد في شتى مجالات الحياة وعمت الفوضى السياسية في عهدهم وتخصص جداول الملوك السومرية للكوتيين واحد وعشرين ملكا لانعرف عنهم سوى اسمائهم حكموا (١٢٥) عاما وتميز حكمهم بالضعف واللامركزية مما شجع دويلات المدن السومرية في منطقة السهل الرسوبي من استعادت نشاطها وسلطانها السياسي فتمكنت من القضاء على الغزاة الكوتيين حيث تمكن الملك اوتوحيكال ملك الوركاء عام ٢١٢٠ ق . م من القيام باول حركة تحريرية في العالم القديم وتمكن من طردهم وقضى على تريكان آخر ملوكهم ونصب نفسه ملكا على سومر واكد ومن جهة اخرى استطاع اورنمو مؤسس سلالة اور الثالثة (٢١١٣ ـ ٢٠٩٥ ق . م) من ان يوحد دويلات المدن ويوسع نفوذه ويكون اول امبراطورية سومرية . وجعل من مدينة اور عاصمة لدولته الموحدة الجديدة بعد ان تغلب على اوتوحيكال ملك الوركاء . وقد خلف اورنمو خمسة ملوك حمل الثلاثة الاخيرون اسماء جزرية وهم امار ـ سين ، شو ـ سين ، وابي ـ سين . وقد تمكن حكام سلالة اور الثالثة من توسيع رقعة دولتهم اذ مدوا نفوذهم على اجزاء مهمة من اقطار الشرق

الادنى القديم من بينها بلاد اشور وسوريا وعيلام والاجزاء الشرقية من آسيا الصغرى، ومناطق الخليج العربي .

وكانت نهاية سلالة اور الثالثة في السنة الاخيرة من حكم الملك ابي ـ سين آخر ملوكها وفي نهايتها كانت نهاية السومريين سياسيا ولم تنشأ بعدها اي سلالة سومرية وبالرغم من زوال سلطة السومريين السياسية الا ان تراثهم استمر الى اواخر ادوار حضارة العراق القديم . لقد كان اندفاع الاقوام الجزرية (الامورية) الى العراق منذ السنة الخامسة من حكم ابي ـ سين حيث انحدروا من الجزيرة الفراتية صوب المناطق الوسطى والجنوبية لبلاد وادي الرافدين واقاموا فيها دويلات مدن امورية منها ممالك ايسن، ولارسا، واشنونا، وماري وبابل وآشور، ويموت ـ بعل، ودير، وسپار والوركاء . وقد اطلق على الفترة المحصورة بين سقوط سلالة اور الثالثة (٢٠٠٦ق . م) وبين نهاية سلالة بابل الاولى (١٥٩٥ق . م) اسم العصر البابلي القديم.

وظهرت الصراعات السياسية والعسكرية بين تلك الدويلات المتعاصرة الى ان تمكن الملك حمورابي سادس ملوك سلالة بابل الاولى (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق . م) من توحيدها بدولة واحدة وتمكن من تكوين اعظم امبراطورية مترامية الاطراف موحدة وقوية ضمت وادي الرافدين بما فيها اشور وبلاد عيلام في الشرق وبلاد الشام في الغرب . وكانت حكومته اوتوقراطية مطلقة تحتم عليه التدخل في جميع الشؤون الصغيرة والكبيرة وتلقي رسائله الى الملوك والامراء الاضواء على حاجة البلاد السياسية والادارية في عصره وكان حمورابي ذا حكمة وتنظيم دقيقين في شؤون الادارة والسياسة . وكان قائدا ومحاربا من الطراز الاول وذلك قبل انصرافه لشؤون البلاد الادارية والتنظيمية والعمرانية .

لقد خلد حمورابي انتصاراته في تشييد النصر الذي افتخر به سكان العراق في عصره « حمورابي الملك والبطل ، ابن صاعقة الملوك ، ومذل البلاد المعادية ، وخامد الثورات ومحطم المناوئين » .

وبعد وفاة حمورابي خلفه في حكم البلاد خمسة ملوك حاولوا المحافظة على وحدة المملكة الا ان بوادر الانفصال بدأت تظهر عندما شقت بعض المدن عصا الطاعة فتمكنت سلالة ايسن من ان تستقل في منطقة الاهوار مؤسسة بذلك سلالة جديدة عرفت باسم (سلالة القطر البحري) وذكرت ايضاً باسم سلالة بابل الثانية (١٧٤٠ ـ ١٥٠٠ ق . م) .

لقد جاءت نهاية سلالة بابل الاولى على ايدي الحثيين في حدود القرن السادس عشر ق . م حينما تمكن الغزاة الحثيون بقيادة مرشليش الاول من احتلال بابل وتدميرها واحراقها وكان شانهم شان العديد من الاقوام الغازية فانهم لم يمكثوا فيها فأنسحبوا منها الى اسيا الصغرى نتيجة حدوث انقلاب في البلاط الحثي فانسحبوا وتركو الفرصة للكشيين في غزو البلاد والاستيلاء عليها بسهولة لغياب السلطةالسياسية عنها واسسوا لهم سلالة حاكمة سميت بسلالة بابل الثالثة اتخذت من مدينة بابل عاصمة لهم ثم اسسوا عاصمة جديدة في منتصف عهدهم هي دور كوريكالزو (عقرقوف حاليا) دام حكمهم قرابة اربعة قرون (١٥٩٥ ـ ١١٥٧ ق . م) وكان مركزهم السياسي والعسكري يتميز بالضعف قياسا الى مراكز القوى السياسية المعاصرة في الشرق الادنى القديم . ولم يترك لنا الكشيون شيئا بلغتهم بل استخدموا اللغة البابلية في معاملاتهم ولاشيئا عن تراثهم . وهم اقوام هندية اوربية نزحوا من جبال زاكروس . وسميت فترتهم بالفترة المظلمة الثانية

وفي اواخر عهدهم دب الضعف في مملكتهم وبدأ النفوذ الاشوري بالتعاظم فتسلم الاشوريون مقاليد السلطة السياسية في البلاد . وقد شهدت المنطقة بناء عواصمهم الرئيسة : اشور . ونينوى ونمورود (كالح) ـ وخرسباد (دورشروكين) وقسم علماء الاثار تاريخ بلاد اشور الى ثلاثة ادوار وعد الدور الثالث والذي استمر ثلاثة قرون (٩١١ ـ ٦١٢ ق . م) اهم هذه الادوار حكم فيه ستة عشر ملكا تمكنوا من تأسيس امبراطورية عظيمة بلغت من القوة بحيث وصلت الى اسيا الصغرى وسواحل بحر ايجه شمالا ومصر غربا والخليج العربي جنوبا وبلاد عيلام شرقا . وبلغت فتوحاتهم حتى ارمينيا . لقد تمكن الملوك الاشوريون من تحقيق انتصاراتهم على اعدائهم بفضل ادارتهم الحكيمة وسياستهم الناجحة . ويعود الفضل في ذلك الى الحاكم او الملك الذي كان القائد العام للقوات المسلحة للجيش الاشوري . وكان يدرب ومنذ ولايته للعهد على مختلف شؤون الادارة والثقافة والسياسة . والتي اعطت لهم القدرة العالية على ممارسة الحكم الاداري الجيد والسياسة الذكية . وهكذا استعادت اشور مكانتها السياسية وذلك بالاستفادة من الاوضاع السياسية المرتبكة في منطقة الشرق الادنى القديم . وبلغت الدولة الاشورية من القوة العسكرية اوجها لم تصلها من قبل حيث تمكن ملوكها من السيطرة على الشرق الادنى القديم وكونوا اوسع امبراطورية وقاموا بهجمات على الاقوام الجبلية التي كانت مصدر خطر دائم للبلاد في المنطقة الشرقية والشمالية الشرقية من بعد ووحدوا البلاد ولم يكن لهم منافس قوي يعاصرهم في تلك الفترة . فالدولة الحثية في آسيا الصغرى زالت من الوجود في القرن

العاشر ق . م . والدولة المصرية حل فيها الضعف فلم تستطيع منافستها ولذلك وقبل ان ينتهي القرن التاسع ق . م استطاع الاشوريون من توسيع امبراطوريتهم حتى شملت جميع اقطار الشرق الادنى القديم . فظهرت بوادر الاضطراب والثورات في ارجاء الامبراطورية واستقلت بعض الدويلات الصغيرة التي سبق لها وان قدمت الولاء والطاعة للدولة الاشورية . لم يستمر هذا الركود والضعف طويلا اذ سرعان ما قام تجلا تبلازر الثالث (٧٤٤ ـ ٧٢٧ ق . م) وبعد ان اثبت دعائم حكم الامبراطورية الاشورية الثانية كقوة عالمية في الشرق القديم وضم مملكة اسرائيل الى حكمه وعين « هوشع » ملكا على عاصمتها السامرة بصفته نائباًله. وكان تجلا تبلازر اداريا من الطراز الاول وقائدا عسكريا استطاع في سنوات حكمه من القضاء على الفوضى والاضطراب السياسي والاقتصادي الذي عم بلاد اشور واصبح ملكا على بلاد بابل وسومر واكد تحت اسم (پول) وقد تميزت امبراطوريته بالقوة والاتساع وشملت اصلاحاته الادارية الجديدة امورا اساسية في نظام ادارة الدولة وفي مقدمتها تقوية سلطته وتقليل نفوذ النبلاء والامراء والاقطاع والحد من سلطانهم ولقد ضاعف تجلا تبلازر في عدد الوحدات الادارية والولايات وقلص من حدودها لتسهل عليه ادارتها .

وبعد وفاته اعلنت بعض الدويلات التابعة للدولة الاشورية العصيان وامتنعت عن دفع الجزية وماكان من خلفائه الا القيام بعمليات تأديبية ضد هذه الدويلات فقد أخضع سرجون الثاني (٧٢١ ـ ٧٠٥ . م) بلاد الشام وقضى على الدويلات الفلسطينية المناؤه له واجلا سكان بعض الممالك الى بلاد فارس (منطقة ميديا) لتأديبهم . واحل محلهم جماعات من بلاد بابل واعاد بابل الى سيطرة الدولة الاشورية واستطاع ابنه سنحاريب (٧٠٤ ـ ٦٨١ ق . م) من الانتصار على مملكة يهوذا بعد ان اعلنت العصيان في عهد حزقيا وحاصر عاصمتهم اورشليم ـ ولم يرفع عنها الحصار الابعد ان دفعت الجزية المطلوبة منها . اما بلاد بابل فقد ظلت عيلام تحرض القبائل الارامية (الكلدية) في بابل للثورة ضد الحكم الاشوري وقد استطاع سنحاريب من تجهيز اسطول نهري سار في دجلة ثم الفرات الى الخليج العربي وعبر الى بلاد عيلام في البحر وهاجم مدنها الرئيسة ودمرها .

وفي نهاية هذا العصر دب الضعف في قلب الامبراطورية الاشورية بفعل عوامل عديدة منها العجز المالي واتساع حدود الامبراطورية وصعوبة السيطرة عليها وتحالف المعادين للدولة الاشورية واهمال تطوير مشاريع البناء في البلاد . وانتهت بسقوط اشور ثم نينوى في عام ٦١٢ ق . م .

وقامت في بلاد بابل آخر دولة بابلية عرفت بالدولة الكلدية او العهد البابلي الحديث الذي اعلن استقلالها الملك الكلدي نبوبلاصر ٦٢٦ ـ ٦٠٤ ق . م وسيطر على سوريا وفلسطين لاهميتها العسكرية بالنسبة لسلالة الدولة الكلدية وارسل أبنه نبوخذنصر الثاني (٦٠٤ ـ ٥٦٢ ق . م) على رأس حملة عسكرية الى مصر وصل بها الى حدود العريش الا ان وفاة ابيه حال دون ذلك فرجع واعتلى عرش بابل . واستطاع السيطرة على مدن بلاد الشام وفرض الجزية عليها . وهكذا قدمت مُملكة يهوذا الولاء والطاعة ودفعت الجزية لبلاد بابل ولكنها سرعان ماأعلنت العصيان من جديد وامتنعت عن دفع الجزية مما حدا بنبوخذ نصر الى ارسال جيش حاصر به العاصمة اورشليم فأستسلمت وأسر من اليهود ثلاثة الاف اسير . وبعد انسحاب الجيش البابلي نصب صدقياً ملكا على يهوذا ولكنه سرعان ماأعلن العصيان على نبوخذ نصر . فقام نبوخذ نصر بحملة تأديبية فحاصر اورشليم ثانية وقبض على صدقيا واسر حوالي اربعين الف يهودي . وقد استطاع نبوخذ نصر من السيطرة على مدن بلاد الشام .

ولم تنحصر اعماله على الناحية السياسية والعسكرية فقط بل انه اهتم اهتماما كبيرا بالاعمال العمرانية والتي لاتزال بعض اثارها شاخصة في مدينة بابل . وخلفه في حكم البلاد ملوك ضعفاء تخللت فترات حكمهم الاضطرابات الداخلية نتيجة سيطرة رجال الدين (سلطة الكهنوت) . لقد كان اخر ملوك العصر البابلي الحديث الملك نبونائيد الذي كان من كبار رجال الدولة في عصر نبوخذنصر وكان ابوه احد النبلاء وان امه كانت الكاهنة العليا لمعبد الاله سين (اله القمر) في تلك المدينة وكان اداريا ورجل دولة من الطراز الاول في بابل .

ونتيجة للتيارات الدينية الجديدة التي تعرضت لها المعتقدات الدينية في البلاد من جراء الاتصالات الواسعة ركز على عبادة الاله سين اله القمر . ولكن دون نبذ عبادة الالهة الاخرى . ان اختياره لذلك الاله يعود لاسباب عائلية كما وضحنا سابقاً وكذلك فان عبادة اله القمر كانت العبادة المفضلة عند اقوام الجزيرة العربية بخلاف عبادة الاله مردوخ اله بابل الذي يرجع لاصول سومرية .

نظراً للعداء والحقد الدفين اللذين ظل يحملهما اليهود الذين جلبوا الى بابل كاسرى من قبل نبوخذنصر الذي قضى على كيانهم نهائياً هذا من جهة ومن جهة

اخرى فقد تسلّم السلطة في ايران كورش الفارسي الذي اخذ يستولي على الكثير من الدول المحيطة بايران من أجل تكوين امبراطوريته والتي شملت آسيا الصغرى ووصلت حتى تخوم الهند. وغزا بلاد اشور واستولى عليها عام ٥٤٧ ق. م. وجاء دوره لغزو بابل عام ٥٣٩ ق. م. وكان المدينة محصنة تحصيناً كاملاً لا يمكن لاحد الوصول اليها ونتيجة للتعاون الخياني بين اليهود وحقدهم الدفين على العراقيين بصورة خاصة وعلى العرب بصورة عامة والذين ادوا دوراً كبيراً من مساعدة كورش الفارسي في غزوه واحتلاله بابل وكذلك الدور الذي لعبه كهنة معبد الاله مردوخ في بابل. هذا فضلاً عن الخيانة العظمى التي قام بها غوبارو الحاكم البابلي لمنطقة الكوتيين في شمال شرق العراق. ومساعدتهم كورش بصورة مباشرة او غير مباشرة بغزو البلاد. وهكذا اختفى كيان بابل الكلدية السياسي بغزو الفرس الاخمينيين عليها عام ٥٣٩ ق. م وانتهى الحكم الوطني في العراق بعد ان وقع تحت حكم الغزو الاجنبي الفارسي الاخميني. والمقدوني. والسلوقي. والفرثي والساساني حتى جاء الفتح العربي الاسلامي عام ٦٣٧ ميلادية حيث دخلت جميع الاقطار تحت لواء العرب المسلمين وهكذا عاد العراق الى حكمه الوطني من جديد.

لقد استمرت سياسة الملوك العظام خلال العصر الاكدي والسومري والبابلي والاشوري والكلدي نحو توحيد بلاد وادي الرافدين والمنطقة المحيطة بها وهي الطريقة الوحيدة لأحلال السلام في المنطقة. وهكذا غدا نظام دولة القطر الواحد المركزية هو النظام السائد في العراق عبر العصور التاريخية على الرغم من بعض فترات التجزئة والاضطراب والغزو الاجنبي.

وكان نظام الحكم ملكياً وراثياً هو النظام السائد عبر العصور ومنذ فجر السلالات وحتى نهاية التاريخ القديم في ٦٣٧ ميلادية.

الملك المؤله

ليس لدينا معلومات عن تاليه الملك في عصور فجر السلالات ولكنه ادى دوراً الاله في عملية الزواج المقدس. ويعتقد ان فكرة التأليه (وهي استخدام العلامة الدالة على الالهة أمام أسماء الملوك) قد استخدمت لاول مرة في العصر الاكدي حيث استخدمها بعض ملوك هذا العصر نتيجة لاتساع رقعة الامبراطورية الاكدية ولصعوبة السيطرة على الاجزاء المترامية الاطراف. وقد تعارضت هذه الفكرة السيطرة على الاجزاء المترامية (فكرة التأليه) مع الفكر السومري الذي سبقه. حينما اتخذ نرام ـ

سين لقباً جديداً هو لقب (ملك الجهات الاربع) والذي سبق لسرجون ان اتخذه قبله بالاضافة الى كونه مظهراً من مظاهر اتساع السلطة السياسية للبلاط الاكدي . فهو ذو مغزى ديني حيث انه كان لقباً خاصاً لبعض الالهة العظام واستخدامه من قبل الملوك الاكديين يدل على انهم كانوا ممثلين للالهة على الارض . وقد اصبح حكام دويلات المدن في عهد الدولة الاكدية يلقبون انفسهم (عبدالملك) وهو لقب ظل في الاستعمال في العهود التالية . وفي العصر السومري في زمن سلالة اور الثالثة حيث استخدم ملوكها صفة الالوهية منذ عهد شولكي الذي ارتقى الى مرتبة الالوهية واصبح يعرف باسم (الملك الاله) وخصص لنفسه الكهنة والمعابد . واستمرت فكرة الملك المؤله في عهد خلفاؤه . وفي العصر البابلي القديم سار الكثير من ملوك هذا العصر حذوَ ملوك سلالة اور الثالثة في القابهم واسلوب حكمهم فتأله بعضهم ونظمت لهم الادعية والتراتيل . فاخذت سلطة الملك البابلي في التعاظم وانفصلت السلطة الدنيوية عن السلطة الدينية ومع ان بوادر هذا الانفصال كانت منذ الفترة الاكدية الا انه ظهر واضحاً في هذا العصر . ولما كان الملك ممثل الالهة على الارض لذا فقد استمر على صفته الدينية المقدسة واصبح سيد البلاد باكملها . ولقد بلغت هذه الظاهرة ذروتها في عصور حمورابي حيث نقل جميع سلطات المعبد الى القصر الملكي واصبح المشرف جميع امور الحياة بما فيها القضاء وشؤون المحاكم. وخير دليل على ذلك هو ضخامة القصور في هذه المرحلة والتي طغت على المعابد على الرغم من عناية الملوك بها . الا انها كانت اقل اهمية من القصور كقصر بلالاما في اشنونا وقصر زمري ـ ليم في ماري وقصر سين ـ كاشد في الوركاء . وهكذا قل شأن المعبد في حجمه وسعته ونفوذه وان حمورابي لم يكتب اسمه مقروناً بالعلامة الدالة على الالهة ولم يلبس التاج ذا القرون . ووضع ملوك سلالة ايسن اشارة الالوهية امام اسمائهم وكذلك بعض ملوك دويلات المدن الامورية الاخرى ومنهم ملوك اشنونا امثال ايبق ـ ادد الثاني ونرام سين ودادوشا .

وفي العصر الاشوري لم يكن الملك نائباً للاله كما كان الملك السومري ولم يصبح الهاً كالحكام الاكديين كما انه ليس فقط الكاهن الاول للاله اشور .

الملك البديل

ويعرف ايضاً باسم الملك العوض (الشاربوخي) . لقد كان للملك قدسية كبيرة لدى العراقيين القدماء لكونه ممثل الالهة على الارض ولاعتقادهم بان رفاهيتهم ورفاهية بلادهم تعتمد على سلامة الملك .

فقد كان كل خطر يهدد حياته يعد خطراً يهدد امن وسلامة البلاد وكان العرافون والكهنة يتنبؤون بحدوث خطر بالبلاد قبل فترة مناسبة من حدوثه عن طريق تفسير الاحلام والظواهر الطبيعية كالخسوف والكسوف وقراءة كبد الحيوان المضحى به وقراءة الفال فيخبروا الملك بما تظمر له الايام القادمة . ولما كان الملك وكيل للاله وممثله على الارض اذا لابد من حمايته والحفاظ على حياته ولكي لا يتعرض الملك الاصلي للخطر كان يعين بدله ملكاً بديلاً ليأخذ معه كل الشرور التي يتعرض لها الملك الاصلي خلال فترة حكمه . فيتوج الملك البديل ويحكم البلاد خلال فترة الخطر التي تمر بها البلاد . وكانت الفترة المحددة لتعيين الملك البديل مائة يوم يمنح خلالها الملك البديل كل صلاحيات وواجبات الملك الاصلي لكل يواجه الاخطار المتوقعة لشخص الملك الاصلي ثم ينحى البديل عن الحكم عند زوال فترة الخطر . في حين كان الملك الاصلي يرابط مع افراد اسرته في قصر خاص يقوم ببعض الشعائر الدينية وقد يقتل الملك البديل اثناء مرحلة الخطر او بعد انتهاء الفترة المتفق عليها . وكانت هذه الطريقة قد مورست منذ عصر فجر السلالات .

وفي العصر البابلي القديم (اوائل الالف الثاني ق . م) فقد اختار الملك (ايرا ـ ايمتي) ملك مدينة ايسن البستاني (انليل ـ باني) ليكون ملكاً بديلاً عنه على عرش ايسن ووضع التاج على رأسه . ولكن الملك الاصلي (ايرا ـ ايمتي) مات اثناء تناوله حساء فآل الحكم الى (انليل ـ باني) الملك البديل ولا نعرف ماإذا كانت هناك مؤامرة على حياة الملك الاصلي الذي مات مسموماً . وتسلم الثاني زمام الحكم في الفترة (١٨٦٤ ــ ١٨٤١ ق . م) وقد اظهر بعد تسلمه العرش مقدرة كبيرة في ادارة دفة حكم البلاد وظل هذا الطقس قيد الاستعمال حتى عصور متأخرة من التاريخ الاشوري .

فتخبرنا النصوص الاشورية في نهاية حكم اسرحدون (٦٦٩ ق . م) حول تعيين اشور بانيبال ولياً للعهد في اشور حيث تم اختيار ملك بديل عن الملك الاصلي وعندما زال الخطر عن البلاد ذبح ودفن الملك البديل وسط احتفال مهيب . وهكذا وحتى لايقع الملك الاصلي ضحية يقدم الملك البديل ليقع عليه الخطر لانقاذ البلاد وشعبها من الخطر المتوقع . ولما كان الخطر الذي يهدد سلامة الملك وحياته ماهو الا تهديد لسلامة وامن البلاد فيستعاض عن حضوره في بعض المناسبات كعمليات السحر الخاصة بالجيش بارسال ردائه ئ احد اتباعه لكي لايتعرض هو نفسه لأي خطر. وهذا ان دل على شيء فانما يدل على اعتزاز الشعب بقادته المتميزين .

ولاية العهد

كانت الملكية في بلاد وادي الرافدين وراثية حيث يخلف الملك احد ابنائه ولم يشترط ان تكون ولاية العهد للابن البكر فقد يعين الابن الاصغر ولياً للعهد وقد يخلف الملك الحاكم اخاه وكان انتخابه يتم من قبل الملك بعد استشارة الالهة بالطرق الكهنوتية من خلال الاحلام وقراءة الفال والطالع ثم يعلن عن الشخص المعين ولياً للعهد في وسط احتفال كبير وشعائر دينية خاصة ثم يعلن عن الشخص المعين ولياً للعهد في وسط احتفال كبير وشعائر دينية خاصة يحضرها كبار موظفي الدولة والقادة ـ العسكريين لا المقاطعات والاقاليم بالاضافة الى افراد الاسرة الحاكمة وامام الالهة يقسمون على الطاعة والاحترام والالتزام بما اتفق عليه بشأن ولاية العهد ومبايعتهم لولي العهد الجديد وتبرم المعاهدات لتثبيت ذلك وتحدد العقوبة على كل من يخالفها. وبعد ان يقسم الحاضرون اليمين بالولاء والطاعة لولي العهد الجديد ينتقل بعد ذلك من بيت والده الى بيت ولاية العهد او بيت الخلافة والذي كان يعرف في العصر الاشوري (بيت ريدوتي) حيث يبدأ فترة تدريبه على الحكم. فكان يعلم ويثقف ويدرب على ادارة امور البلاد واساليب الحكم وقيادة الجيش وقد يعهد اليه ببعض المهام الادارية والعسكرية خلال تلك الفترة كما حدث ذلك مع سنحاريب واشور بانيبال. وجرت العادة من ان الملك اذا مات اعلن الحداد عليه في كافة ارجاء البلاد. وكان الملك المتوفى يدفن في العاصمة فالملوك الاشوريون دفنوا في العاصمة اشور التي كانت بمثابة المدينة الدينية المقدسة لدفن الملوك وتتويجهم بعد اداء الشعائر الدينية الخاصة بذلك.

التتويج

جرت العادة بعد الانتهاء من مراسيم دفن الملك الاشوري المتوفى واكتمال فترة الحداد التي كانت تجري في العاصمة القديمة اشور ان يباشر بعد ذلك بمراسيم تتويج ولي العهد. الملك الجديد الذي كان يحمل على عرشه ويتقدم الموكب الكاهن الاعلى الى معبد الالة اشور المسمى (اي ـ كورا) حيث يتوج ملكاً للبلاد وفق شعائر ومراسيم ثم يغادر بعد ذلك الى القصر حيث يجتمع كبار رجال الدولة مدنيين وعسكريين وامراء المقاطعات ويتلقى التهاني ويتخلوا عن مناصبهم ورتبهم وتطرح شارات وظائفهم واوسمتهم ليتركوا المجال للملك الجديد من اعادتهم الى مناصبهم من جديد او يستبدل ببعضهم قادة اخرين. بعدها يمارس الملك الجديد صلاحياته

وواجباته الملكية في ادارة شؤون دولته ويعيش في قصره مع حاشية كبيرة وغالباً ماكان الملوك يقومون بتشييد قصور جديدة لهم. بل وقد يشيدون لهم عواصم جديدة كما فعل اشور ناصر بال الثاني في اعادة بناء مدينة نمرود وسرجون في تشييده مدينة دور شروكين وكان الملك الاشوري يتوج مرة واحدة في بداية حكمه في حين ان الملك في بابل كان يجدد تتويجه في كل عيد رأس سنة التي تبدأ في نيسان من كل عام.

واجبات الملك :

لما كان الملك ممثلاً للالهة على الارض وممثلاً للبشر امام الالهة فعليه واجبات دينية ودنيوية. فهو الكاهن الاعلى للدولة امام المدينة. فكان عليه ان يقوم باجراء الشعائر الدينية والسحرية المقدسة. وهو المشرف على معابد المدينة بتشييدها وتوسيعها وتجديدها وضمان القيام بادائه الادوار الرئيسة في بعض الاعياد مثل عيد رأس السنة الجديدة وعملية الزواج المقدس حيث كان يمثل دور الاله تموز. وكان الملك مسؤولاً عن تقديم الطعام والشراب الى الالهة ومسؤولاً عن عملية التطهير المقدس والقيام بدوره في الطقوس الدينية.

كان الملك مسؤولاً امام الالهة عن صالح الناس وخيرهم وكان عليه ان يستشير الالهة في الامور الهامة ويعرف رغباتها من خلال العرافين والكهان او من خلال الاحلام. ومن هذه الامور القيام بالحملات العسكرية وتعيين حكام المدن وكبار موظفي الدولة كما كان عليه ان يقدم التقارير الى الهة المدينة يشير فيها الى اعماله ومنجزاته العسكرية والعمرانية وتوضع في اسس المعابد والقصور.

اما واجباته الدنيوية فهو القائد العام للقوات المسلحة بامر من اله المدينة وهو المسؤول الاول في الدولة والمشرف على تنفيذها وتعيينه كبار موظفي الدولة والحكام ومتابعته لتنفيذهم سياسة الدولة وهو القاضي الاول للبلاد ومصدر السلطات وهو المسؤول عن تنفيذ مشاريع الري والقيام بالاعمال العمرانية وتحصين المدن وتشييد القصور.

الالقاب الملكية :

لقد اتخذ الملوك العراقيون القدماء الالقاب السياسية والدينية وبما تتحكم به قدراتهم الادارية والعسكرية وطموحاتهم الواسعة في توحيد وضم دويلات المدن تحت

سلطتهم ونفوذهم . فعند مابدا لوكال زاكيزي حاكم مدينة اومًا (٢٤٠٠ ـ ٢٣٧١ ق . م) من توحيد دويلات المدن السومرية في السهل الرسوبي من العراق واتخذ الالقاب لاول مرة وهي : ملك بلاد سومر . وملك الوركاء . وملك اور . وملك كيش ولم يكتف بذلك بل ادعى في احد نصوصه المسمارية من انه وصل من البحر السفلي الى البحر العلوي (اي من الخليج العربي الى البحر المتوسط) .

واتخذ سرجون الاكدي (٢٣٧١ ـ ٢٣١٦ ق . م) الذي وحد بلاد سومر واكد الالقاب التالية : ملك بلاد سومر . وملك القطر . وملك العالم . وملك الجهات الاربع (بالاكدية : شاركبرات اربعيم) وهو لقب بالاضافة الى كونه مظهراً من مظاهر اتساع السلطة وزيادة رقعة البلاد فهو ذو مدلول ديني لتثبيت السلطة السياسية للدولة الاكدية .

وقد اتخذ أورنمو مؤسس سلالة اور الثالثة (٢١١٣ ـ ٢٠٩٥ ق . م) لقباً جديداً ملك سومر واكد وكذلك ملك الجهات الاربع اضافة الى لقب (ملك اور) . وفي اوائل الالف الثاني ق . م . حمل ملوك ايسن ولارسا القاب ملك سومر واكد . وملك اور . وكان اللقب ملك كيش دليلاً على السيطرة والسيادة على بلاد سومر . اما الملك حمورابي ملك بلاد بابل (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق . م) فقد اتخذ الالقاب التالية : ـ

ملك سومر واكد . وملك الاموريين . وملك بابل . وملك الجهات الاربع . واستعمل الكشيون عند سيطرتهم على العراق (١٥٩٥ ـ ١١٥٧ ق . م) نفس الالقاب التي استخدمها الملوك العراقيون الذين سبقوهم مثل ملك بابل والملك القوي . وملك سومر واكد واضافوا اليها ملك الكشيين وملك كارد ونياش (بلاد بابل) .

وكان اول من استخد لقب الملك (شاروم Sharrum) في بلاد اشور هو الملك الاشوري شمشي ـ ادد الاول (١٨١٣ ـ ١٧٨١ ق . م) اما من سبقه من الملوك والحكام فقد استخدموا اللقب السومري انسي في الاكدية « ايشاكم » بعل وكاهن اشور .

وكان النظام الملكي الاشوري وراثياً مثل النظام البابلي واضاف شلمانصر الاول (١٣٧٤ ـ ١٢٤٥ ق . م) لقب ملك الجميع الذي يوازي اللقب البابلي ملك العالم ثم اضيفت اليه القاب عديدة فيما بعد في زمن توكلتي ننورتا الاول (١٢٤٤ ـ ١٢٠٨ ق . م) منها ملك العالم . وملك بلاد اشور والملك القوي وملك الجهات الاربع .

العلاقات الخارجية :

بدأت علاقة الدولة مع بعضها منذ القديم لاسباب سياسية فلهذه العلاقات تأثير كبير لتقليل ثورات الحكام علي بعضهم الا انها لم تمنع من شهر السلاح ضد الدولة . فهناك عدة طرق لهذه العلاقات منها :

المصاهرة السياسية :

ويقصد بها زواج الاميرات بالملوك . وبدأت المصاهرة السياسية (سياسة الزواج الدبلوماسي) منذ زمن سلالة اور الثالثة (اواخر الالف الثالث ق . م) مع حكام المناطق المجاورة فالملك اور - نمو مؤسس هذه السلالة كان متزوجاً من ابنة ملك مدينة ماري . اما خلفاؤه فزوجوا بناتهم من حكام المنطقة الجبلية . وسارملوك سلالة ايسن . ولارسا . واشنونا على نفس المنهج . وتزوج الملك الكشي بورنا - بورياش الثاني (القرن الرابع عشر ق . م) من ابنة الملك الاشوري القوي اشور اوباللط الاول والذي كان الغرض منه التدخل في شؤون بلاد بابل الداخلية فعند مقتل زوج ابنته في انقلاب عسكري نصب اشور اوباللط عليهم ملكاً اختاره من بين مناصريه .

ب - المعاهدات :

امدتنا الكتابات المسمارية ومنذ عصر فجر السلالات (الالف الثالث ق . م) بمعلومات عن العلاقات بين دول المنطقة وابرام المعاهدات فيها فقد توسط « مسيلم » ملك مدينة كيش لحل النزاع الذي داربين مدينتي لكش واوما حول مياه الارواء والسيطرة على اراضي زراعية خصبة، من اجل حل النزاع بينهما رسم خط الحدود بينهما وصورت الوساطة من قبله وكانها حدث امر به الاله انليل الاله القومي للسومريين وملك البلدان الذي اوعز الى اله مدينة كيش (ساتران) بالتوسط لعقد الصلح بين الهي مدينتي لكش واومّا ويعد هذا اول اتفاق عقد صلح بين دولتين في تاريخ العالم القديم .

واول معاهده دونت في العصر الاكدي (النصف الثاني من الالف الثالث ق . م) هي تلك الاتفاقية التي عقدت بين الملك الاكدي نرام - سين وبين ملك اوان في عيلام والذي كان تابعاً للملك نرام - سين وبذلك كان على الملك الاكدي حماية ملك اوان ومساعدته ونتيجة لكثرة الرقم الطينية المكتشفة في مدينة ماري والتي بلغ

عددها حوالي ٢٥,٠٠٠ لوح مسماري باللغة البابلية (الجزرية) في مكتبة قصر زمري ـ ليم . آخر ملوك مدينة ماري التي كانت عاصمة الاموريين . فقد اعطتنا صورة واضحة عن العلاقات الدولية خلال تلك الفترة ومن بين تلك المعاهدات المعاهدة التي ابرمت بين حمورابي وزمري ـ ليم ملك ماري .

ومن رسالة للملك ريم ـ سين ملك لارسا يتبين انه قدم اقتراحاً الى حمورابي لعقد معاهدة دفاعية هجومية مشتركة بينهما .

ويظهر من رسائل العمارنة في مصر (١٣٨٠ ـ ١٣٤٠ ق . م) ان العلاقات بين البابليين والاشوريين والميتانيين مع ملوك مصر والحثيين كانت جيدة . فمن احدى الرسائل التي كشفت عن معاهدة كانت قد ابرمت بين الملك البابلي وبين امينحوتب الثالث من اجل كسب صداقة فراعنة الدولة المصرية الحديثة . وان من اقدم المعاهدات في العصر الكشي هي تلك التي ابرمت بين الملك الكشي بورنا ـ بورياش وبين الملك الاشوري بوزر ـ اشور الثالث من اجل تثبيت الحدود مابين المملكتين في الخط المار في منطقة سامراء تقريباً . وابرمت معاهدة اخرى بين الكشيين والاشوريين بعد قرن من الزمان وهكذا تمكن الكشيون من انجاز المشاريع العمرانية في مختلف المدن البابلية بدلاً من انشغالهم في الامور العسكرية وقد وصل الينا الكثير من المعاهدات المبرمة مابين الملوك الاشوريين وبين معاصريهم من حكام المناطق المحيطة بالعراق .

جهاز الدولة الاداري : ـ

بالاضافة الى السلطة العليا المتمثلة باللقب اين (الكاهن) والانسي (الحاكم) واللوكال (الملك) فقد كانت شؤون البلاد في عصر فجر السلالات تدار من قبل موظفين محترفين ربما تلقوا تعليمهم على ايدي الكهنة ومن كبار موظفي الدولة الذين اصبح لهم حاشية كبيرة من الوكلاء والكتبة والحجاب والسقاة والطباخين والحرفيين والموسيقيين وغيرهم من اصناف الحاشية الخاصة بالبلاط .

وفي العصر الاكدي كان الملك سرجون قد احاط نفسه بحاشية ضخمة ولم يتردد عن ذكر قائمة الامراء الذين كانوا يقفون في حضرته وكثيراً ماكان يشير الى ان (٥٤٠٠) شخص من افراد حاشيته كانوا يتناولون طعامهم كل يوم على مائدته . فالى جانب الملك وحاشيته من ناظر القصر وخازن الملك وقيم القصر كان الكتبة

يملأون القصر في العاصمة اكد وكان لابد من تجنيد الموظفين . وهناك الموظفون المدنيون والعسكريون من ضباط وجنود والمشرفون ومامورو المخازن والعمال والفنانون وقد ساهم عدد كبير من سكان العاصمة في خدمة الجهاز الاداري وقد ادخل سرجون نظاماً موحداً للتقويم في كل البلاد .

تميزت سلالة اور الثالثة بالملكية المطلقة فلم تكن لسلطة الملك حدود فهو المسؤول عن الادارة والحكم وكان عرشه وراثياً ويأتي في قمة الهرم الملك ومستشاره ووزيره الاعظم (السوكال ـ ماخ) في حين كان الانسي (ايشاكم) يحكم وحدة ادارية ويعين من قبل الملك ويكون مسؤولاً في مدينته عن السلطة القضائية . ولدينا من هذا العصر حوالي عشرين الف وثيقة ادارية دونت بالخط المسماري تبين جهاز الدولة المتطور وعلى درجة كبيرة من المركزية . لقد ظهر في نصوص هذا العصر اول مرة لقب الرابيانوم **Rabianum** (رئيس مجلس المسنين) والخزانوم (المحافظ) والشاكن (الحاكم العسكري) ونتيجة لاتساع جهاز الدولة المتطور في زمن الملك شولكي فقد استلزم استخدام الكثير من الموظفين في شتى المجالات كالكتبه ومديري املاك التاج ومديري المعامل الخاص بالقصور والمعابد وحكام الاقاليم .

وفي العصر البابلي القديم كان اكبر الموظفين هو الرابيانوم ثم الكيرسيكوم ومن الموظفين الاخرين الشككاناكوم **Shakanakkum** (بيل بيخاتي) حاكم المدينة والخزانوم **Hazanum** المختار او العمدة ثم جابي الضرائب والمشرفون على الاملاك الملكية ومساعدوهم من المسؤولين عن عبيد الدولة ومسؤول الشرطة ورسول الملك في الامور الخاصة ومدير الرسوم ومسؤول التجار وموظفو البريد السريع (العداؤون) وجامع الضرائب وناظر الاله وناظر الاولاد الملكيين ووكلاء الاعمال والقضاة .

لقد اعتمدت سياسة الدولة على المركزية في الحكم والتي تعتمد على سلطة الملك المطلقة دون اي تدخل من قبل الكهنة ومع ان السلطة الدينية كانت قد انفصلت عن السلطة الدنيوية منذ اواخر عصر فجر السلالات الا انها لم تظهر بوضوح الا في العصر البابلي القديم .

وفي العصر الاشوري فان التنظيم الاداري يبين وجود رئيس الوزراء على رأس الادارة المدنية وقد تمتع باهمية خاصة والى جانبه وجد عدد كبير من كبار الموظفين منها حامل اختام الملك ورئيس التشريفات ورئيس الحاشية الملكية وقائد الجيش (التبرتانوم) وكبير السقاة (الرابشاقة) وحاجب القصر (ناكر ايكالي) ورئيس الاسطبلات ورئيس الاطباء ومعاونه وطبيب الملك الخاص وكاتب القصر وكاتب الحريم وناظر القصر وناظر الحريم وحامل سلاح الملك ورئيس الصناعة ورئيس المغنين ورئيس القصابين . اضافة الى كبار موظفي الدولة كان يوجد الموظفون التابعون وهم من الكتبة والمستخدمين .

وكان يقطع لكبار الموظفين اقطاعيات واسعة يستثمرونها لحسابهم كما انهم كانوا نبلاء يرافقون الحكام اكثر من كونهم موظفين مدنيين . وفي هذا العصر اعتمد على تقسيم الامبراطورية الى عدد من المقاطعات والاقاليم كان كل منها يعرف باسم (بيخاتوم) وكان يشرف عليها سيد المقاطعة (بيل بيخاتي) ويمثل الملك في المقاطعة وهو مسؤول على تنفيذ اوامره وسياسته وكانت واجباته بالاضافة الى الاعمال الادارية الشؤون العسكرية والدينية والمالية .

وكانت كل مقاطعة مقسمة الى عدد من الوحدات الادارية الصغرى ويدعى كل منها قنو يعني حرفياً (حلقة) يشرف عليها رئيس المدينة (راب ألاني) . وفي العصر الكلدي كان جهاز الدولة ممثلاً ببعض رجال الحكومة المهيمنين منهم ساقي الملك والحاجب وكبير الموسيقيين وبواب القصر ورئيس الخبازين وكاتب بيت الملكة ومسؤول نساء القصر ورئيس مجموعة الدروع ورئيس المهندسين والمشرف على الشرطة ومسؤولو قطعان الماشية الملكية ومسؤول الامن ومسؤول التجار ورئيس الطباخين .(١) .

(٢) الناحية الاجتماعية :ـ

عاش العراقي القديم فترات طويلة استغرقت الاف السنين قبل ان يستطيع تنظيم حياته الاجتماعية . فكان يعيش في العصور الحجرية الاولى حياة بدائية في جماعات صغيرة تسكن الكهوف والمغاور الجبلية منعزلة بعضها عن البعض الآخر .

---

(١) د. عبدالقادر عبد الجبار الشيخلي . (الادارة والسياسة) . العراق في موكب الحضارة . وزارة الثقافة والاعلام . بغداد . الجزء الاول ١٩٨٨ ص ٣٦٩ ـ ٣٤٨ .

ومنذ الالف التاسع قبل الميلاد (العصر الحجري الحديث) بدأ يستقر قرب حقوله ومزارعه ويشيد بيوته من الطين الطري ويقيم مستوطناته وينظم شؤون حياته التي اعتمدت على انتاج القوت بعد ان كان جامعاً له . وانتقل تبعاً لذلك من المناطق الجبلية الى المناطق السهلة قريباً من الوديان والانهار . ثم انتقل للاستيطان في القسم الجنوبي من العراق في حدود الالف الخامس قبل الميلاد . واقام مستوطناته على ضفاف نهري دجلة والفرات . اخذت تلك المستوطنات بالاتساع وزاد عدد سكانها واصبحت مدناً كبيرة ومراكز حضارية انبعث منها الاشعاع الحضاري الى المناطق والاقوام المجاورة خلال الالفين الثالث والثاني قبل الميلاد . وتطورت الحياة تطوراً سريعاً وشاع التخصص في العمل وعلى اثر ذلك تطورت الحياة اليومية وتعقدت علاقات الافراد بعضهم مع البعض الاخر واستقرت العادات والتقاليد العراقية القديمة وغدت اعرافاً يسير عليها افراد المجتمع . واخذت الاعراف والتقاليد تتبلور منذ اواخر الالف الثالث قبل الميلاد في قوانين مدونة صادرة عن السلطة الحاكمة . وحددت هذه القوانين علاقات الافراد بعضهم بالبعض الآخر وتثبتت حقوقهم وواجباتهم والتزاماتهم كل تجاه الآخر وتجاه السلطة . وكان نصيب الاحوال الشخصية التي تشمل الزواج والطلاق والارث والتبني والعلاقات الاجتماعية الاخرى نصيباً كبيراً في القوانين . وتعد القوانين العراقية القديمة المكتشفة لحد الآن وحسب قدمها . قانون اورنمو (٢١١٣ ــ ٢٠٩٥ ق . م) وقانون لبت ــ عشتار (١٩٣٤ ــ ١٩٢٤ ق . م) وقانون اشنونا (القرن التاسع عشر قبل الميلاد) وقانون حمورابي (١٧٩٢ ــ ١٧٥٠ ق . م) والقوانين الاشورية الوسيطة (١٤٥٠ ــ ١٢٥٠ ق . م) ــ والقوانين البابلية الحديثة من اكمل وانضج واقدم القوانين في العالم القديم .

ان القواعد العامة والالتزامات الاجتماعية والاقتصادية لقوانين الاحوال الشخصية تستمد مقوماتها من العادات والتقاليد والاعراف التي تسود المجتمع العراقي القديم كما هو واضح من الاتفاقات القانونية التي تعرف بالعقود التي تنظم شؤون العائلة وهي الزاوج والطلاق والارث والتبني وذلك قبل ظهور القوانين المدونة .

اضافة الى القوانين المدونة فهناك الالاف من النصوص المسمارية وخاصة من العهد البابلي القديم . عالجت الاحوال الشخصية والتي ساعدتها في وضع صورة شبه كاملة عن المجتمع العراقي والحياة والاجتماعية في العراق القديم .(٢)

---

(١) د . فاضل عبد الواحد و د . عامر سليمان . عادات وتقاليد الشعوب القديمة . بغداد . ١٩٧٩ .
ص ٢٣٤

التكوين الاجتماعي :

كان المجتمع العراقي القديم . كما هو الحال بالنسبة للمجتمعات القديمة والحديثة يتألف من عدة فئات وشرائح اجتماعية . منها الفئة الحاكمة والمتنفذة او المسيطرة على البلاد سياسياً او اقتصادياً او دينياً . ومنها الفئة المحكومة والتي ضمت عامة الناس . ومنها المملوكة التي لا حول لها ولا قوة . ويأتي في مقدمة الفئة الحاكمة الاسرة الحاكمة او المالكة التي اكتسبت على على مر العصور قدسية خاصة باعتبار الملك هو ممثل الالهة لحكم البشر على الارض كما اشرنا سابقاً ويلي الاسرة الحاكمة فئة النبلاء واصحاب الاقطاعات الكبيرة وكبار الكهنة والموظفين وقادة الجيش والمتنفذين سياسياً او اقتصادياً او اجتماعياً . وكان لهذه الفئات جميع الحقوق والامتيازات سواء في القوانين او وفق العادات والتقاليد السائدة آنذاك . وكانت الفئة المحكومة تضم عامة الناس وقد ضمت العاملين في الحقول والمزارع والمشاغل والمداجن والمحلات التجارية الصغيرة والكسبة وعامة المواطنين والتي كانت تشكل طبقة اجتماعية واحدة هي طبقة الاحرار (الاويلوم) الذين كانوا يعاملون معاملة واحدة امام القانون وكانت نسبة كبيرة منهم مقيدة حريتهم بظروفهم الاقتصادية . اما الطبقة الثانية التي يتألف منها المجتمع العراقي القديم فهي طبقة الموالي (الموشكينوم) وهم الاشخاص الذين ينسبون الى مجتمع غير مجتمعهم الذي يعيشون فيه . فطبقة الموشكينوم الواردة في شريعة حمورابي يمثلون الغرباء الذين يعشون في داخل البلاد وهم ليسوا من سكان البلاد الاصليين(٣) اما الطبقة الثالثة فهي طبقة الرقيق او العبيد (الوردوم)(٤) . فبالرغم من ان هذه الطبقة لم تكن تؤلف نسبة كبيرة من المجتمع العراقي القديم ، الا انه كان ينظر الى افرادها بانهم من الاشياء المملوكة ويعاملون معاملة خاصة امام القانون وكانوا يميزون عن بقية افراد مجتمعهم اما باسلوب قص شعرهم او توضع علامات العبودية المميزة على اجسادهم .

كانت اعمال طبقة العبيد بصورة عامة زراعة اضافة الى قيام الاناث منها بالعمل في البيوت في بعض الصناعات والحرف اليدوية . وكان العبيد يباعون ويشترون ويعدون من املاك اسيادهم وكانت اسعارهم تتناسب وصفاتهم الجسمية والخلقية وجنسهم وعمرهم وكانت تختلف من فترة الى اخرى .

---

(٣) د . فوزي رشيد . السياسة والدين في العراق القديم . وزارة الاعلام . بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ٤٣ .

(٤) صالح حسن الرويح . العبيد في العراق القديم . بغداد ، ١٩٧٧ .

اما مصدر الرقيق فكان يحصل عليهم بالدرجة الاولى من اسرى الحروب كما ان بعض السكان الاحرار المحليين كانوا يحولون الى عبيد بسبب ظروف اقتصادية واخرى اجتماعية .

لقد كان يحق لافراد طبقة الرقيق تكوين اسر شرعية غير ان الاولاد الناتجين عن زواج العبد بالامة كانوا يرثون العبودية عن ابويهم . اما اذا تزوج العبد من امرأة حرة عند ذلك يكون الاولاد احراراً . وكانت الامة (amtu) تحصل على حريتها اذا اعترف مالكها وسيدها بالاولاد كابناء شرعيين له .

وفي العهود المتأخرة كان يحق للعبد ان يعمل لحسابه الخاص ويمتهن مهنة ما . بعد اخذ موافقة سيده . ويفتدي نفسه وحريته بالمال . كما تشير النصوص المسمارية من العصر الاشوري الحديث والعصر البابلي الحديث ان بعض العبيد تقلدوا مراكز حكومية مرموقة في حين امتلك البعض الآخر اموالاً منقولة وغير منقولة بضمنها امتلاك العبيد .

الأسرة : ـ

تضم الاسرة عادة الاب والام والاولاد وقد تضم اخوة الزوج واخواته وولديه كما قد تضم بعض الاقرباء كالعمات والخالات وكل من كان يعيش في البيت الواحد معتمداً على رب الاسرة ويمكن ان نضع ضمن نطاق الاسرة العبيد والاماء ايضاً . ويمثل نظام الاسرة في العراق القديم نموذجاً مصغراً لنظام الدولة الذي كان سائداً آنذاك وكان رب الاسرة (الاب) يجمع بيده جميع السلطات والصلاحيات الخاصة بادارة شؤون الاسرة شأنه في ذلك شأن الملك في مملكته . وكان الاب المسؤول الاول عن اعالة افراد عائلته وتوفير كل ماتحتاجه وكان يساعده في ذلك ابناؤه من الذكور .

وكانت رغبة العائلة الاكثار من الاولاد . وكان احترام الاب واجباً مقدساً على جميع افراد العائلة وقد تصل عقوبة العاق الى العبودية كما هو واضح في قانون حمورابي ـ كانت الام تأتي في المرتبة الثانية وهي المسؤولة عن ادارة شؤون بيتها وتربية اطفالها وكانت سلطتها على اولادها كبيرة ولاسيما على الاناث .

كان مركز المرأة مرموقاً خاصة في العصر البابلي القديم . فقد كان لها شخصيتها المالية المستقلة فكان لها ان تمتلك الاموال والعقارات وتتصرف بها كيفما تشاء . فحق لها ان تتعلم وتصبح كاتبة او كاهنة فقد وردت بعض اسماء مراتب الكاهنات في قانون حمورابي وكان بامكان المرأة العراقية القديمة ان تمتهن التجارة وتقرض الناس الاموال فاخت حمورابي كانت مقرضة وتمكنت من شراء الكثير من الحقول . ومارست اخريات عدداً من المهن ولدينا اشارات عن ممارستهن مهنة الطب . علماً بان الاشراف على ولادة النساء الحوامل كان يتم بواسطة القابلات اللواتي مارسن عملية الولادة القيصرية وجاءت القوانين العراقية القديمة لتحدد حقوق وواجبات والتزامات المرأة تجاه زوجها حتى انها حاولت ان تحد من سلطة الزوج وتعسفه الى درجة اعطت الحق للزوجة بالطلاق من زوجها والتقاضي منه اذا اخل بالتزاماته الزوجية . ولم تكن هناك طرق معينة لتحديد النسل الا ان العراقيين القدماء عرفوا بعض وسائل تحديد النسل كما هو واضح من بعض المواد القانونية التي حرمت الانجاب على صنف معين من كاهنات المعبد .

وللتعرف على حياة الاسرة العراقية القديمة . وتكوينها وعاداتها وتقاليدها سنتعرف على بعض التقاليد والقوانين الخاصة بالاحوال الشخصية كالخطوبة والزواج والطلاق والارث والتبني وغيرها وبشكل وجيز .

الخطوبة والزواج :ـ

المقصود بالخطوبة طلب شاب الزواج من فتاة معينة ويتم الطلب وفق العادات والتقاليد السائدة في المجتمع القديم . وتؤكد النصوص المسمارية وبوجه الخصوص القوانين القديمة . ان الخطوبة والزواج كانت تتم بعد موافقة والدي الفتى والفتاة . وكان دور الوالدين كما هو الحال اليوم كبيراً في اختيار العروس المناسبة او الموافقة على الزواج بصورة عامة . وكان الزواج المبكر من الامور الشائعة آنذاك لذلك فان الفتى كان يعتمد عند زواجه على ابويه في حياته المعاشية .

وكان على الاب ان يقدم المهر اللازم لتزويج ابنائه كما كان عليه ان يقدم الهدايا اللازمة والتجهيزات الخاصة بزواج بناته واذا صادف وتوفى الاب قبل زواج بعض ابنائه وبناته فان على الورثة ان يقدموا لهم مهراً او هدية مناسبة وذلك قبل اقتسام التركة .

وفي القوانين العراقية القديمة ورد ذكر الهدايا التي كان يقدمها الفتى الى بيت اهل خطيبته اثناء وبعد الخطوبة . وقد تضم تلك الهدايا مواد عينية من مأكولات ومشروبات وملابس اضافة الى الحلي الثمينة . وتحمل هدايا الخطوبة الى بيت الفتاة وتقدم في احتفال ووفق شعائر خاصة تقدم فيها الاطعمة وكان على الفتى ان يصب الزيت او العطر على رأس خطيبته زوجة المستقبل كجزء من الشعائر التقليدية .. ويظل الفتى مخطوباً للفتاة لحين كتابة عقد الزواج . وقد تطول فترة الخطوبة تبعاً للظروف التي تحيط بالفتى والفتاة كصغر سن احدهما مثلاً . وما ان يكتب عقد الزواج حتى تصبح الفتاة بذمة الفتى بحكم الزوجة الشرعية ولها ما للزوجة من حقوق وعليها ما على الزوجة من واجبات والتزامات تجاه زوجها . وقد تفسخ الخطوبة قبل ان يتم الزواج لأي سبب كان . فأن كان المتسبب والد الفتى عندها يخسر الفتى ماقدمه من هدايا لخطيبته وحددت قوانين حمورابي الجانب المسؤول عن ذلك بدفع التعويضات واذا ماتوفى الفتى قبل اتمام الزواج حق لاخواته الاقتران بخطيبته . وكذلك الحال اذا توفيت الخطيبة حق للخطيب الاقتران باحدى اخواتها ان وجدت .

ومن الهدايا الخاصة بالزواج مايقدمه والدا الفتاة الى ابنتهما من هدايا عند زواجها تتناسب وامكاناتهماالمادية وقد تتضمن هذه الهدايا اموالاً منقولة وغير منقولة ويمثل نصيب الفتاة هذا حصتها المقبلة في الارث ويكون ضماناً لمستقبلها وكانت هذه الهدية يطلق عليها في الاكدية مصطلح (شيرقيتوم) واذا ماتوفيت عادت هذه الهدايا الى ابنائها من بعدها . او لوالديها ان لم يكن لها اولاد .

وكان على الزوج ان يقدم المهر لزوجته بعد مراسيم الخطوبة وقد يضم المهر اموالاً عينية او نقدية يرد ذكرها في عقد الزواج ويطلق عليه في الاكدية (ترخاتوم) ويصبح المهر من حق الزوجة بعد زواجها الا اذا توفيت دون انجاب ففي هذه الحالة تعود هذه الاموال الى الزوج .

اما الهدية الثالثة (بيبلوم) فهي هدية مالية تقدم برفقة هدية الزواج الى والد الزوجة الذي يستلمها نيابة عن ابنته بصفته ممثلاً عنها في عقد الزواج . ويبدو ان هذه الهدية لم تكن لها صفة دائمية حيث لم يرد ذكرها عند حدوث الطلاق .

ولم يكن يعترف بالزواج قانوناً الا اذا كان بموجب عقد مدون ومشهود عليه وبموافقة الوالدين . وكان على الزوج والزوجة ان يحافظا على سمعة الاسرة وعاقب القانون القديم على الخيانة الزوجية من كلا الجانبين بعقوبات صارمة .

وطبيعي كان من اهم اهداف الزواج هو انجاب الاطفال . وكان انجاب الاطفال في نظر السومريين نعمة لاتدانيها نعمة . ومن تمنيات السومريين قولهم (عسى ان يمتليء بيتك بالتوائم) فان حدث الزواج ولم يحصل الزوج على الاطفال كان له ان يختار واحداً من بين الامور التالية اما الزواج ثانية وعندها تكون الزوجة الثانية اقل مرتبة من الاولى . او ان يطلق زوجته الاولى ويتزوج غيرها او إن يتخذ إحدى الاماء سرية له لانجاب الاطفال او ان يتبنى طفلاً ويعده ابناً له .

التبني :

كان التبني من المظاهر الاجتماعية المعروفة في العراق القديم فكان يحق لاي شخص ان يتبنى واحداً او اكثر من الاطفال من الذكور او الاناث وليس من الضروري ان يكون المتبنى طفلاً صغيراً حيث لم تحدد القوانين والاعراف عمر المتبني وبذلك يتم توفير الاولاد للاسر التي لاتنجب . وقد عده حمورابي ظاهرة اجتماعية شرعية فخصص عدداً من مواده القانونية لتنظيم احكامه وتثبيت قواعده . وبموجب ذلك يكتسب المتنبي جميع الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها الولد الحقيقي من التعليم والثقافة والارث . فكانت تقع عليه جميع الالتزامات والواجبات التي تقع على الولد الحقيقي . واذا انكر الطفل المتبني والديه فانه يحرم من ارثهما ويساق الى العبودية . وكان التبني يتم بموجب عقد مدون ومشهد عليه شريطة ان يقدم الافراد بالتزاماتهم تجاه متبنيهم . وقد تم العثور على مئات النصوص المسمارية الخاصة بعقود التبني والتي تضمنت بعض الشروط الجزائية الخاصة في حالة انكار المتبني لابويه او قيامه ببعض الاعمال ضدهم كما الزمت الابوين بالايفاء بوعودهم تجاه المتبني واعطائه نصيباً من تركتهما موازياً لنصيب الولد الحقيقي . واذا قال الاب والام الى الطفل الذي تبنوه انه ليس بابنهم فانهم يطردون من المدينة .

الطلاق :

يعني الطلاق فسخ العلاقة القانونية والاجتماعية التي تربط الرجل بالمرأة . وهذه الظاهرة معروفة في المجتمع العراقي القديم غير انها محددة في حالات معينة ذكر بعضها القانون العراقي القديم وكان الطلاق بصورة عامة بيد الرجل غير انه كان يدفع لها مبلغاً معيناً من المال لاعالتها . اما اذا ارتكبت زوجته الخيانة الزوجية فيسمح للرجل تطليقها دون ان يدفع لها شيئاً . وفي حالات معينة كان يسمح للزوجة ان تطلب الطلاق من زوجها مثل حالة تكرار خروج الزوج من البيت وعدم

تركه ما يكفي لإعالتها وقيامه باعمال وتصرفات اخلاقية مشينة عندها يحق للزوجة ان تقيم الدعوى ضد زوجها وتطلب من القضاء الطلاق .

(٢) الناحية الاقتصادية :

لم يقتصر الازدهار الحضاري في بلاد وادي الرافدين على النواحي السياسية والعسكرية بل شمل مختلف الاوجه الحضارية . فنشطت العلوم والاداب والفنون وارتقى فن العمارة والبناء وغدت القصور والمعابد والزقورات من الابنية الشاخصة والمتميزة للمدن العراقية القديمة . وعم الرخاء الاقتصادي وفاقت شهرت العراق الزراعية والتجارية والصناعية شهرته السياسية والعسكرية التي طغت على اخبار الملوك وتأثر اليونان والرومان والفرس بالعراقيين القدماء فاقتبسوا الكثير من النظم والاعراف العراقية القديمة التي حورها بما يتلاءم وظروفهم الخاصة .

الزراعة :

اشتهر العراق خلال عصوره كافة بالزراعة . ففي مرتفعاته الشمالية والشمالية الشرقية اهتدى العراقيون القدماء الى الزراعة في حدود الالف التاسع قبل الميلاد حيث الارض الخصبة والمطر الوفير والمناخ الملائم ويعد موقع جرمو بالقرب من جمجمال اقدم مستوطن من العصر الحجري الحديث حيث زرع فيه الحنطة والشعير والعدس والحمص ويمثل ذلك اول ثورة اقتصادية قام بها العراقي القديم الذي انتقل من مرحلة جمع القوت الى مرحلة انتاج القوت والذي عمل بكل جد ونشاط مسخراً الظروف الطبيعية لخدمته وخدمة ارضه .

لقد كانت الزراعة في بداية امرها محدودة وللاكتفاء الذاتي واستخدمت فيها الالات والادوات البسيطة المعمولة من الحجر والخشب والعظم ومنذ مطلع الالف الخامس قبل الميلاد استوطن القسم الجنوبي من البلاد بالقرب من الانهار وبدا يتعلم وسائل الري الاصطناعية ووسع من اراضيه الزراعية وزاد من انتاجه الزراعي واصبح ينتج اكثر من حاجته الذاتية فبدأ يبادل غلاله الفائضة مع المزارعين الاخرين فكان ذلك بداية بوادر التجارة وطلائع التخصص في العمل .

وفي ارض العراق نمت مختلف انواع الغلال والمحاصيل الحقلية منها الحبوب على اختلاف انواعها كالشعير والقمح والسمم والدخن والذرة والعدس والماش والحمص والقطن الذي ادخله الملك الاشوري سنحاريب للبلاد واسماه الشجرة التي تحمل

صوفا هذا فضلاً عن الاشجار المثمرة كالتين والزيتون والتوت والكروم والرمان والتفاح والكمثري والمشمش والفستق واللوز والبلوط اضافة الى اشجار النخيل ذات الشهرة الواسعة التي ادت دوراً كبيراً في الاقتصاد العراقي القديم . فقد ذكر حمورابي بعض المواد القانونية في شريعته لحمايتها وفرضت عقوبة صارمة على من تسول له نفسه قطعها . وقد قال عنها البابليون القدماء ان لها ٣٦٥ فائدة . وقال سترابون ان النخلة تزود البابلين بكل حاجاتهم عدا الحبوب . كما ذكرت بعض انواع الخضروات كالبصل والثوم والخيار وغيرها .

واشتهر العراق منذ القدم بخصوبة تربته ويعزى ذلك الى استخدام نظام الري المستمر طوال العام وهو الانجاز الحضاري الهائل الذي قدمه العراقيون القدماء الى العالم القديم والمتمثل في الحفر والاعتناء في القنوات والجداول الصغيرة المتفرعة من الانهار لسقي المزارع والحقول التي يصلها الماء بواسطة النواعير التي تسحب بواسطة الثيران .

وقد ادى التوسع في العمليات الزراعية الى الاهتمام بتحديد ملكية الاراضي ومساحاتها وذلك نتيجة عملية المسح للمنطقة الزراعية والحسابات الرياضية .

وقد وصلتنا خارطة من منتصف الالف الثاني قبل الميلاد توضح الشبكة المائية وملكيات الحقول واسماءها وحددت المناطق المشاع استعمالها في الطرق او المراعي والاهوار . ولتنظيم الحياة الزراعية وعلاقات المزاعين بعضهم مع البعض الآخر ومع ملاك الاراضي . واهتمت القوانين العراقية القديمة بوضع ضوابط وحدود لذلك وفرضت العقوبات على كل من يتجاوز على اراضي وبساتين الغير . وكانت العادة ان يقدم المزارع بزراعة ارضه او يستأجر له ارضاً من مالكها ويتفق معه على تقسيم الغلة فيأخذ صاحب الارض ثلث الغلة ويأخذ المزارع الثلثين . ومن دراسة النصوص المسمارية الخاصة بالرراعة والفلاحين يتضح ان حيلة الفلاحين كانت بسيطة ومستواهم المعاشي منخفض مقارنة مع ملاك الاراضي والتجار والصناع .

التجارة :

كان لموقع العراق الاستراتيجي اثره الواضح في نشوء وتطور وازدهار التجارة الخارجية عبر العصور التي مرت بها البلاد . فهو يقع عند ملتقى الطرق التجارية الرئيسة التي تصل بين الخليج العربي واقطاره والبلدان الواقعة الى ما وراء الخليج وبين البحر المتوسط ولكونه من الاقاليم المفتوحة جغرافياً .

ولما كان افتقاره الى بعض المواد الخام الضرورية كالاحجار والمعادن والاخشاب اثره في دفع العراقيين القدماء للعمل من اجل توفير تلك المواد من الخارج . ثم اتسع نطاق التجارة الخارجية مع بلدان الشرق الادنى القديم وهناك ادلة اثارية قوية تشير الى العلاقات التجارية السومرية تعود الى حوالي الالف الثالث قبل الميلاد وما بعده مع كل من عيلام واسيا الصغرى وسوريا ومصر وبعض جزر البحر المتوسط وكذلك فقد ورد ذكر ثلاث محطات تجارية في النصوص المسمارية من منتصف الالف الثالث قبل الميلاد . وهذه هي مكان (عمان الحالية) ودلمون (البحرين) وميلوخا التي يعتقد انها تمثل بلاد السند وقد اشار سرجون الاكدي (٢٣٧١ ق . م) بفخر الى السفن التي كانت تتاجر مع دلمون ومكان وميلوخا والتي كانت ترسو خارج عاصمته . وظلت التجارة مع الاقطار الخليجية مستمرة في العصور اللاحقة لسرجون والتي جلب منها الاحجار الكريمة كالعقيق واللازورد والنحاس والاصباغ والكحل والعاج . وكان للاشوريين في مطلع الالف الثاني قبل الميلاد مراكز تجارية اشورية في بلاد الاناضول تقوم بدور الوسيط بين الاشوريين من جهة وسكان آسيا الصغرى من جهة ثانية . وعلى الرغم من توفر بعض الاشارات على قيام الصلات التجارية مع الاناضول منذ ايام سرجون الاكدي وحفيده نرام ـ سين ولكنها بلغت اوج عظمتها وازدهارها على ايام المراكز التجارية الاشورية في الاناضول .

ومن الطبيعي كان من نتائج العلاقات التجارية الخارجية ان انتشرت الحضارة العراقية القديمة في منطقة واسعة من الشرق الادنى القديم وخير مثال على ذلك انتشار واستخدام الخط المسماري واللغة الاكدية في الشرق القديم حتى اصبحت اشبه ماتكون باللغة الدبلوماسية . لقد استورد العراق من الخارج بعض السلع والمواد الكمالية مثل المعادن على أختلاف انواعها كاحجار الكريمة وبعض انواع الاحجار الخاصة لصنع التماثيل والمسلات والاخشاب اللازمة لصناعة الاثاث وتسقيف القصور والمعابد . والعاج والتوابل والجوز والعطور وغيرها من المواد غير المتوفرة في العراق .

اما الصادرات العراقية فقد شملت المنتوجات الزراعية والحيوانية والتي شملت المنسوجات الصوفية المطرزة والمزركشة والاصواف والجلود والخمور والزيوت النباتية وخاصة السمسم او السمن النباتي والشعير وبعض الصناعات اليدوية الدقيقة كالاختام الاسطوانية وبعض الادوات والاواني الفخارية والمعدنية اما التجارة الداخلية فقد نشأت في القسم الجنوبي من العراق وذلك في العصر الحجري المعدني (٥٦٠٠ ـ ٣٥٠٠ ق . م) منذ ان بدأ العراقي القديم ينتج اكثر من حاجاته الذاتية من الغلال

والمحاصيل الزراعية حيث بدأت المقايضة . ثم تطورت المقايضة فيما بعد لتصبح اساساً للتجارة بصورة عامة وانتظمت وازدهرت في العصور التالية . وكان تدخل الدولة في العصر البابلي القديم واضحاً في تنظيم التجارة وذلك حين كانت المعابد هي التي تسيطر على التجارة الداخلية والخارجية في العهود السابقة وكذلك في العصر البابلي الحديث .

وقد صدرت القوانين والتعليمات الضرورية لضبط شؤون التجارة حتى غدت النظم التجارية العراقية القديمة مثلاً يقتدى به فاقتبست منه كثير من الحضارات العالمية الاخرى وكانت البضاعة تنقل اما على ظهور الحيوانات كالحمير والثيران والبغال والجمال او بواسطة عربات خاصة تجرها الحيوانات او بواسطة القوارب والسفن الشراعية التي كانت اكثر شيوعاً من غيرها .

ولعل في تطور وسائط النقل النهري واستخدامها الواسع في العراق القديم مايؤكد ازدهار التجارة الداخلية فلكونها واسطة النقل الرئيسة والرخيصة وحددت القوانين العراقية القديمة اجرة السفن بالنسبة لحمولتها ومسؤولية الملاح في المحافظة على السفينة وعلى ماتحمله من بضائع . كان في كل مدينة اماكن مخصصة يجتمع فيها الناس لاتمام معاملاتهم التجارية . فقد كانت الفسحات عند بوابات المدينة او بعض الساحات العامة او عند مداخل المعابد الرئيسة وبعضها في دكاكين صغيرة . مراكز جيدة يجتمع عندها الناس يعرضون فيها بضاعتهم ويبيعون ويشترون ويتبادلون في شؤون المعاملات التجارية ويعقدون الصفقات ويبرز من بين العاملين في حقل التجارة التاجر (تمكاروم) الذي تمتع بمركز اجتماعي مرموق وكان يقوم باعمال تفوق مايقوم به التاجر في يومنا هذا اضافة الى كونه يقوم بمعاملات البيع والشراء . فانه كان مرابياً وصرافاً ووكيلاً للحكومة في بعض الصفقات التجارية وشريكاً للعديد من الباعة المتجولين . وكانت الناس تودع اموالها في المعابد دون الحصول على فائدة . وادى المعبد دوراً في الاقتصاد العراقي القديم حيث كان يسلف الاموال بفائدة قدرها ٢٠ ٪ للحبوب خاصة الشعير . ونعرف ان سعر الفائدة في مدينة بابل كانت ٣٣ ٪ على الشعير و ٢٠ ٪ على الفضة . واحياناً كان المقرض يستقطع الفائدة من المال سلفاً من المقترض . وهذا النوع من القرض يعرف باسم الخوبوتاتوم **Hubutatum** ومن المعروف ان النقود كوسيلة لتقييم الاثمان والتبادل لم تكن معروفة في العصور السومرية والبابلية . الا ان العراقيين القدماء استخدموا قطع الذهب والفضة والنحاس والرصاص محددة الوزن على هيئة اقراص او حلقات كوسيلة لتقييم الاثمان والاجور

الى جانب بعض الحبوب كالحنطة والشعير التي اصبحت اكثر شيوعاً في العصر البابلي القديم فصاعداً . وفي القرن السابع قبل الميلاد سكت اقدم عملة من قبل الليديين سكان آسيا الصغرى وقد اخذوها بدورهم من الاشوريين الذين وضعوا الفكرة في القرن الثامن قبل الميلاد ومن ثم اخذ اليونان والفرس صناعة المسكوكات .

لقد استخدمت الموازين والمكاييل الدقيقة لمعرفة الاوزان وتم العثور على العديد من الاثقال الدقيقة التي كانت تصنع من الحجر على هيئة بطة او اسد وقد دون عليها وزنها .

لقد اولت الحكومات العراقية القديمة التجارة شأناً عظيماً وبلغ بها الامر الى تثبيت الموازين والنوعية والاجور ولم تغفل رعاية الطرق التجارية وفرض الامن عليها وتسهيل الانتقال فيها .

الصناعة :

منذ بداية العصور الحجرية القديمة بدأ الانسان صناعة بعض الالات والادوات الحجرية البسيطة التي استخدمها في حياته اليومية كالمقاشط والسكاكين والفؤوس ثم تطورت هذه الصناعات البسيطة في العصور اللاحقة عندما اهتدى الى الزراعة فاضطر الى صناعة الالات والادوات الزراعية من الحجر والمعدن والخشب . وفي العصر الحجري الحديث بدأ بصناعة اوانيه الفخارية وصناعة السلال كما تعلم صناعة الغزل والنسيج ومنذ ان حل الالف الثالث قبل الميلاد وهو مطلع العصور التاريخية برع العراقيون القدماء بصناعة القطع الفنية كصناعة التماثيل والنصب والمسلات ونحت الالواح الحجرية الجدارية والاختام الاسطوانية .

ففي العصور المبكرة لم تكن الصناعات اليدوية البسيطة مقصورة على جماعات واسر معينة بل كان على كل فرد من افراد المجتمع العراقي القديم توفير مايحتاجه من الات وادوات بسيطة بنفسه بعد ان تطورت الحياة وتخصص الناس بالزراعة وانتاج الغلال واتجه اخرون الى التخصص ببعض الحرف والصناعات فاحتفظت كل جماعة باسرار حرفتها التي لايمكن تعلمها الا بالتدريب الطويل على ايدي العمال المهرة . فكانت الحرفة تنتقل من الاب الى الابن . وكان على الابن ان يتعلم حرفة ابيه منذ نعومة اظافره . ولا يعرف اذا كان اصحاب الحرفة الواحدة يقومون باعمالهم في محلات متخصصة اوانهم كانوا موزعين في ارجاء المدينة . وتشير النصوص المسمارية في عصور فجر السلالات الى انه كان للمعابد مشاغل متخصصة يعمل فيها الصناع من

الرجال والصبيان والنساء والاماء لقاء اجور معينة وكان لكل مشغل مشرف ومراقب . ومن المشاغل التي ورد ذكرها في النصوص المسمارية مشغل النحات والصائغ والنجار وصانع الجلود والخياط والخزاف والجواهري وغيرها . وفي العصر البابلي القديم تطور النظام الاقتصادي وانتشرت الملكية الفردية وشاع نشاط القطاع الخاص . فسمح للافراد باقامة مشاغل خاصة مستقلة عن المعابد .

اهم الحرف والصناعات :

عرف العراقيون القدماء الكثير من الصناعات والحرف وتعد صناعة الفخار من اولى الصناعات التي عرفها الانسان في العصر الحجري الحديث والتي كانت بسيطة وساذجة وسمجة الصنع وتطورت في المراحل التالية بعد ان استخدم دولاب الخزاف في العصر الحجري المعدني فظهرت العديد من الاواني الفخارية المزخرفة والملونة والتي عدت من أجمل ماانتجته يد الانسان مما دفع البعض الى اطلاق مصطلح « عصر الفخار الملون » على هذا العصر .

وتعتبر صناعة الاختام الاسطوانية التي انتشرت منذ عصر الوركاء وجمدة نصر من المنجزات الحضارية المهمة التي حلت محل الاختام المنبسطة . وكانت تصنع من بعض الاحجار الثمينة وكان عامل الاختام يحفر عليها رسوماً ومشاهد مختلفة منها المشاهد الدينية او الزخارف الحيوانية او النباتية او الهندسية واحياناً يحمل الختم اسم صاحبه وكان الغرض من استعماله لتثبيت الملكية الشخصية . وكان الحفر عليه يتم بشكل دقيق وبصورة معكوسة واذا مادحرج الختم على الطين الطري يترك طبعته بشكلها الموجب وقد احتلت صناعة التماثيل والمنحوتات والمسلات والنصب مكاناً مرموقاً في مختلف العصور لدى العراقيين القدماء وبرعوا بها وذلك لارتباطها المباشر بالمعتقدات الدينية وبنظام الحكم.

وعرف العراقيون القدماء المعادن منذ وقت مبكر وتعلموا تصنيعها وكان السومريون قد اتقنوا صهر النحاس واختزاله من خاماته وصهره ثم عرفوا معدن الفضة والذهب والرصاص وعرفوا صناعة البرونز منذ عصر جمدة نصر واتقنوا صناعة الادوات البرونزية المتقنة .

وبرعوا في صناعة الحلي من اختام واقراط واسوار من المعادن المعروفة وكذلك صناعة الاواني المعدنية الدقيقة وزخرفوها بالحفر والنقش ولونوا البعض منها باستخدام المينا .

واستخدمت المعادن ايضاً في صناعة الالات والادوات الزراعية والمنزلية والاسلحة على اختلاف انواعها . كما حاول العراقيون القدماء تحويل المعادن الخسيسة الى معادن ثمينة وتوصلوا من خلال تلك المحاولات معرفة خواص المعادن وبعض التفاعلات الكيمياوية المهمة . وقد تم الكشف في مقبرة اور الملكية التي تضم اكثر من ١٥٠٠ قبر والتي حوت على عدد كبير من القلائد وادوات الزينة والحلي وكان بعضها من الذهب الخالص المطعم بالاحجار الكريمة وقد نهب الكثير منها عبر التاريخ .

ونقرأ عن المنسوجات التي حلت محل الجلود والاصواف في اللباس . وان الصوف الذي كانت تعمل منه هذه المنسوجات حصل عليه من الاغنام المحلية وعرفوا الصوف المغزول والممشط والملفوف حول الخشب وعلى شكل كرات . وتشير بعض طبعات النسيج على الطين ان الغزل والنسيج كان معروفاً منذ العصر الحجري المعدني وقد استفاد العراقيون القدماء من الاصواف الجيدة وشعر الماعز للحياكة . وفي الالف الاول قبل الميلاد دخلت زراعة القطن الى بلاد اشور . وقد زودتنا بعض النصوص المسمارية بالصناعات المرتبطة بالصناعات الصوفية كالصبغ والغزل والقصر ثم النسيج .

اما فيما يخص صناعات الجلود وحرفة الدباغة وهي الحرف التي تخصص فيها العراقيون القدماء . فبعد ان ينتزعو الجلد عن الحيوان ثم يدبغو الجلد ويصبغوه لكي تكون مهيئة لصناعة الملابس والاحذية وقرب الماء والدروع والسروج والخوذ الحربية ومحافظ السكاكين وجعاب السهام وغيرها من الامور الاخرى . كما برز العراقيون القدماء في الصياغة حيث عرفنا الكثير من انتاجهم لانواع الحلي الخاصة لتزيين ملابس الملوك والالهة . ولابد ان هناك اعداداً كبيراً من السكان امتهنوا حرفاً ذات علاقة بتصنيع المنتوجات الحيوانية والنباتية كعمل الجبن والزبدة . حيث اكتشفت قوالب كثيرة لعملها في قصر ماري . وعرف العراقيون القدماء استخلاص عصير التمر والسمسم والزيتون والفواكه وصنعوا النبيذ من السمسم ومختلف انواع الفواكه بتنقيع التمور او التين او الزبيب بالماء الذي يضاف اليه العسل احياناً . وصنعوا البيرة بتنقيع الشعير في الماء ثم تعريضها الى نار هادئة من اجل تنشيط مفعول الانزيمات الضرورية بالتخمير . وبعدها يفصل الشعير ويتم تجفيفه بالفرن ثم يسحق ويغربل حتى تفصل القشرة .

وصنعوا الشمع من اوراق الاشجار بصورة رئيسة واستعملوه لتغليف المعادن لحفظها من الصدأ .

وهناك العديد من الحرف التي امتهنها العراقيون القدماء منها النجارة والتجارة وحرفة البناء والحلاقة ونسيج القصب وعمل السلال وصيد الاسماك والحفر على العاج وغيرها .

(٤) الناحية الدينية

المعتقدات الدينية :

ظلت معلوماتنا عن الديانة العراقية القديمة في العصور الحجرية قليلة جداً ومن خلال الاثار التي خلفها لنا العراقيون القدماء من رسوم على جدران الكهوف ومن ثم من دمى طينية وحجرية تمثل الالهة الام الهة الخصوبة والتكاثر وما دفن مع الموتى من الاواني والحلي والالات والادوات التي لابد من دفنها مع الموتى هي استخدامها من قبل المتوفي في العالم الثاني . وبعد ابتكار الكتابة في القسم الجنوبي من العراق وانتشار استخدامها زادت معلوماتنا عن هذه المعتقدات . ومما لاشك فيه فان انسان العصر الحجري الحديث كانت له معتقداته الخاصة التي سادت في الاقسام الشمالية من العراق خلال الفترة المحصورة ما بين (٨٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ ق . م) .

ويعتقد ان اول معبود تصورته المجتمعات الزراعية كان ذا صلة بقوى الارض المنتجة التي جسدها على هيئة الهة تمثل الارض وخصوبتها وعرفت باسم الالهة الام ـ (Goddess Mother) والتي وجد لها العديد من الدمى الطينية الصغيرة على هيئة امراة عارية بولغ باظهار انوثتها كرمز للخصوبة والتكاثر في الكثير من المواقع القديمة مثل حسونه وحلف والعبيد وفي مواقع اخرى . وكان هذا التصور بشكل خاص بعد معرفة الانسان للزراعة واستئناس الحيوان واستقراره في المستوطنات الزراعية واطمئنانه النفسي وبذلك امن غذاءه كون اولى المجتمعات المؤلفة من الاسر المترابطة .

فالطبيعة هي التي اثرت في حياتهم وبعثت روح التفكير والتأمل في ماهية الموجودات لذلك بدأ العراقي القديم يبحث عن حلول الظواهر الطبيعية وكان في مقدمة تلك الحلول هو اعطاء صفة الالوهية لكل ظاهرة باعتقاده ان وراء كل ظاهرة قوى خفية غير مرئية ليس باستطاعته مجابهتها . لذلك اتخذ تلك الظواهر كآلهة منها الشمس والقمر وعطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل . فكل اسم يدل على ظاهرة معينة وتمثل لنا وظيفة معينة جسدها في تلك الظاهرة لذلك عرف

عن العراقيين القدماء مبدأ الشرك اي مبدأ تعدد الالهة وبقيت صفة الشرك ملازمة للديانة في العراق القديم الى آخر الادوار التاريخية حيث انها لم تصل الى مستوى التوحيد اي عبادة اله واحد . الا انهم كانوا يفضلون احد الالهة ويعتبرونه رئيساً لآلهتهم او ابا لها . وقد يتغير رئيس الالهة هذا تبعاً للظروف السياسية او العسكرية . وهذا مايعرف بمبدأ التفضيل او التفريد. وتتصف الديانة في بلاد وادي الرافدين بمبدأ التشبيه اي ان العراقيين القدماء شبهوا الهتهم بالبشر وخلعوا عليهم جميع صفات الانسان الروحية والمادية فالالهة تاكل وتشرب وتلبس وتفرح وتغضب وتتخاصم ولها دولة في السماء على غرار دولة المدينة في الارض . يتقاسم فيها الالهة المناصب والمسؤوليات ولهم مجلس يترأسه اله السماء يساعده في ادارة شؤون المجلس عدد من الالهة الكبار . حيث يجتمع الالهة ويتخذون قراراتهم الحاسمة . والفرق بين الالهة والبشر في معتقدات العراقيين القدماء ان الالهة احتفظت لنفسها بالخلود بينما جعلت الموت من نصيب البشر ومن الصفات الاخرى التي تميزت بها الديانة العراقية القديمة صفة الاستمرارية . اي ان الشعائر والمعتقدات والالهة بقيت محافظة على جوهرها خلال العصور التاريخية المختلفة السومرية والاكدية (البابلية والاشورية) وكان لكل اله صفاته الخاصة ومسؤولياته كما كان لكل منها رمزه المعين . واعتقد العراقيون القدماء بان معظم الالهة تسكن في السماء . وهناك الهة تسكن العالم السفلي (عالم الاموات) ومنها من ينزل من العالم العلوي الى العالم السفلي في فصول معينة في السنة .

وقد امدتنا النصوص المسمارية باسماء العديد من الالهة العراقية فكانت المجموعة الاولى من الالهة وعلى راسها الاله انو اله السماء وابو الالهة ثم الاله انليل اله الجو والهواء ويأتي في المرتبة الثالثة الاله انكي (ايا) اله الارض اله الحكمة واله المياه الجوفية ثم يأتي دور المجموعة الثانية من الالهة وهي الشمس والقمر والزهرة . ومن الالهة الاخرى الاله ادد (اله البرق والرعد) والاله نركال وزوجته الالهة ايريش ـ كيكال ملك وملكة العالم السفلى . والاله مردوخ اله مدينة بابل والاله اشور . والاله نابو وغيرها .

المعبد : ـ

ان المعلومات المتوفرة عن المعتقدات الدينية تؤكد ان ظهور المعبد كمؤسسة دينية لم يحدث الا في القسم الجنوبي من العراق وفي حدود منتصف الالف الخامس قبل الميلاد في دور العبيد (وهو بداية سكنى القسم الجنوبي من العراق) واصبح

المعبد يمثل مركز المدينة ومن حوله تشيد بقية الابنية الاخرى . ومن الممكن الافتراض من ان الانسان العراقي قبل هذه المرحلة كان يتعبد في بيته الى ان شعر الناس بضرورة تشييد مكان عام يجتمعون فيه لاداء شعائرهم الدينية. ومنذ الالف الرابع قبل الميلاد اصبح المعبد العراقي مركزاً للحضارة ومنه بدأت الاشعاعات الحضارية الى المناطق المجاورة اضافة الى كون المعبد مركزاً دينياً تقام فيه الشعائر الدينية والشعائر المختلف وتؤدي الصلوات وتقديم القرابين . فقد كان مركزاً اقتصادياً ولاسيما في عصور فجر السلالات والعصر البابلي الحديث وتشير النصوص المسمارية في ان المعبد كان يمتلك مساحات واسعة من الارض الزراعية يقوم باستغلالها وكانت اراضيه مصنفة الى ثلاثة اصناف منها الاراضي التي تستغل لفائدة المعبد مباشرة ومنها مايقطع الى بعض الافراد لقاء خدمات معينة يقدمونها الى المعبد . اما الصنف الثالث فكان يؤجر الى الافراد مقابل حصة من الحصول وهي اجرة تقابل ثلث المحصول وكان سدسها يدفع فضة والباقي عيناً. وكانت جميع هذه الاصناف غير قابلة للبيع او الشراء . وكذلك فقد مارست المعابد اعمال المصارف فقامت باقراض المواطنين الفضة والشعير . ومن ابرز الادلة على ذلك هي ان فائدة الفضة التي كانت تسمى بفائدة الاله شمش وهي الفائدة التي كان معبد الاله شمش يفرضها على مقترضي الفضة منه . وكان المعبد يقبل الايداعات والامانات ويتاجر في الاملاك والعقارات المختلفة وكان المعبد يستخدم لاغراض فض النزاعات بين الناس ولذلك فانه كان يقوم مقام المحاكم وكانت تجرى فيه بعض المحاكمات التي يتولى فيها الكهنة دور القضاة وعلاوة على ذلك فقد احتضنت المعابد اولى انواع المدارس في التاريخ القديم وعظم شأنها في منتصف الالف الثالث قبل الميلاد وبموجب ذلك فقد كان المعبد مركزاً ثقافياً وكهنوتياً يتدرب ويتعلم فيه الكهنة والكتبة . وحفظت فيه مختلف انواع النصوص الادبية والدينية .

وكان يقام في كل مدينه كبيرة معبد-رئيس لعبادة إله المدينة الحامي او القومي وتشيد معابد اخرى اقل اهمية من المعبد الرئيس لعبادة الهة اخرى .

ومما يلاحظ في تخطيط واسلوب بناء المعابد العراقية القديمة بشكل عام انها شيدت على نفس القطعة التي شيدت عليها المعابد التي سبقتها كما هو الحال في اريدو وهذا مايدل على استمرارية المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين .

لقد شيدت اقدم المعابد العراقية باللبن وهذا مما جعل بقية المعابد اللاحقة تستخدم اللبن لبنائها . واقيمت المعابد على مصاطب اصطناعية وزينت من الخارج

بطراز الطلعات والدخلات وهو طراز عماري انتشر استخدامه حتى وصل الى بلاد وادي النيل .

يتكون المعبد في العراق القديم من جزئين اساسيين اولهما المعبد العلوي اي الزقورة وثانيهما المعبد الارضي . فالمعبد العلوي او الزقورة كلمة بابلية تعني (العلو والسمو) وقد ظهرت الزقورة بعد التطور الذي حدث على المعابد في العهد الشبيه بالكتابي حيث امتازت بفخامتها واناقتها وطرازها المعماري الجديد . فاقيمت المعابد على مصاطب اصطناعية وتطورت في النهاية الى الزقورات . وهي الصروح المدرجة التي امتازت بها الحضارة العراقية القديمة . والتي شيدت على عدة طبقات من اللبن تغلفها من الخارج طبقة من الآجر وهي اما ان تكون مربعة او مستطيلة الشكل يتراوح عدد الطبقات في الزقورة بين ثلاث الى سبع طبقات . وكان يشيد فوق الطبقة العليا معبد صغير ربما كان مخصصاً لوضع تمثال الاله يعرف باسم المعبد الابيض لانه مكسو من الخارج بالجص الابيض ويرقى الى الزقورة والى معبدها بواسطة سلالم خارجية . وكان الاعتقاد بأن الاله يتخذ من هذا المعبد العلوي مكاناً لاستراحته عند نزوله من السماء في اوقات معينة من السنة ولاسيما في احتفالات عيد رأس السنة . وكانت زوايا الزقورة الاربعة تقابل الجهات الرئيسة الاربعة . وقد تم الكشف عن العديد من الزقورات العراقية في عدد من مدن العراق منها في الوركاء والعقير وبابل وعقرقوف وخرسباد وكيش وبورسبا . وتبقى زقورة اور وهي الاكثر شهرة من بين بقية الزقورات .

اما المعبد الارضي فقد خصص لاداء الشعائر الدينية وتقديم القرابين وكان يضم غرفة المدخل التي تؤدي الى ساحة واسعة مكشوفة كان الناس يجتمعون فيها لاقامة احتفالاتهم ومنها ينفذ الى غرفة ثانية وهذه تؤدي بدورها الى غرفة ثالثة وهي غرفة قدس الاقداس التي كان فيها المحراب وتمثال الاله الذي يوضع عادة على دكة في المحراب ودكة القرابين التي تقدم عليها الاضاحي والقرابين .

وقد اختلفت معابد المنطقة الشمالية قليلاً في تصميمها عن معابد المنطقة الجنوبية حيث ان المعابد الجنوبية جعلت غرفة قدس الاقداس اي المحراب بنفس محور المدخل اما المعابد الشمالية فقد حرفت المدخل عن غرفة قدس الاقداس وجعلتها في الجانب الطولي ويضطر الداخل الى المعبد ان يدور حتى يواجه تمثال الاله في المحراب . واضافة الى هذه الغرف هناك ساحات خارجية وغرف ومرافق كثيرة اخرى تحيط بالساحات والمخصصة بعضها لسكنى الكهنة والكاهنات وبعضها

لطلاب العلم والبعض الآخر لخزن التجهيزات (كالملابس والالات الموسيقية والادوات والعجلات المستخدمة في الطقوس الدينية والمواد الغذائية) .

ويشرف على ادارة شؤون المعبد الاقتصادية واقامة الصلوات والشعائر والاحتفالات الدينية المختلفة مجموعة من الكهنة والكاهنات كرسوا حياتهم لخدمة المعبد اختص كل صنف منهم بعمل معين . وكان يأتي في مقدمتهم الكاهن الاعلى (الاين) وكان يوازيه في المرتبة الكاهنة العليا (الاينتوم) وهناك من الكهنة من اختص بادارة شؤون املاك المعبد ومنهم من اختص بالكهانة والعرافة والسحر وقراءة الطالع وتفسير الاحلام وتطهير المعبد وطرد الارواح . وهناك ايضاً صنف العازفين والمغنين والراقصين والمنشدين الذين يرتلون الصلوات واخرون للاغتسال والدهان المقدسين .

وقد اشار حمورابي في قانونه الى بعض اصناف من الكاهنات كن يعشن في بيوت خاصة ضمن حرم المعبد . تسمى كاكو (دير) . وبين حقوقهن وامتيازاتهن وضوابط زواجهن وحمايتهن . ومن اصناف الكاهنات الناديتوم والقادشتوم والشوكيتوم والكولماشينوم والكيزيرتوم .

(٥) الناحية الثقافية :ـ

الادب :ـ

يعد ادب وادي الرافدين(٥) من اقدم الاداب في الشرق القديم ويرجع تاريخه الى اواخر الالف الثالث واوائل الالف الثاني قبل الميلاد . فقد خلف لنا الكتاب والادباء والشعراء السومريون والبابليون نتاجهم الغزير الذي يمكن اعتباره دون شك من الانتاج الفني الممتاز والاسلوب الجميل .

وقد وصلتنا نماذج من الادب العراقي القديم مدوناً على رقم الطين بالخط المسماري وباللغة السومرية او اللغة الاكدية . وكانت النماذج التي تم العثور عليها في مكتبة الملك الاشوري اشور بانيبال في نينوى اكثر النماذج شهرة في هذا المجال . ومما يدعو الى الفخر والاعتزاز ان الكتاب العراقيين القدماء لم يتركوا ضربا من

---

(٥) انظر طه باقر . مقدمة في ادب العراق القديم . جامعة بغداد . ١٩٧٦ .

ضروب الادب الا وطرقوه فقد الفوا القصص والاساطير والملاحم .(٦) والامثال والالغاز والرسائل ونظموا قصائد الغزل والمناحات . وتعد محاولاتهم في بعض النصوص بحق اقدم المحاولات المدونة لبحث ومناقشة مسائل فلسفية كالحياة والموت. وخلق الكون والانسان . والخير والشر والثواب والعقاب . وقد اخذ الكثير من كتاب المناطق الاخرى المجاورة للعراق مواضيعهم الادبية من العراق وترجمة الى لغاتهم . وهكذا ترك الادب العراقي القديم اثراً واضحاً في اداب الامم القديمة وانتشر الى رقعة واسعة في العالم القديم . اتصف الادب العراقي القديم بجملة من الخصائص ميزته عن غيره من الاداب القديمة . فبالاضافة الى قدمه كما ذكرنا فانه حافظ على اصالته وقدمه فقد وصلنا بشكله الاصلي الذي دونه به الكتاب القدماء انفسهم اي انه لم يتعرض الى التحوير او الحذف او الاضافات على ايدي النساخ والشراح وجامعي النصوص الادبية . فقد حرص النساخ البابليون والاشوريون كل الحرص على ان تكون سحهم مطابقة كلياً للنسخ الاصلية(٧) . التي دونت باقلام كتبة العراق القديم على الواح الطين قبل اربعة الاف عام .

ويعد الادب العراقي القديم مرآة صادقة تعكس طبيعة حياة العراقيين الدينية والاجتماعية وبيئتهم الجغرافية بالرغم من انه طغى عليه احياناً الاتجاه الاسطوري .

يعد الشعر من اقدم مازاوله الانسان من الفنون الادبية . ويعتقد ايضاً ان منشأ الشعر في ادب حضارة وادي الرافدين من الغناء والقصائد الشعبية الانشادية . وان ـ الغالبية العظمى من الكتابات الادبية السومرية والاكدية قد دونت بشكل شعري موزون خال من القافية .

ومن المميزات الاخرى التي امتاز بها الادب العراقي القديم هي كثرة النسخ للقطع الشهيرة التي وضعها الكتاب في الازمان المختلفة وانتشار النسخ الى جميع انحاء القطر وكذلك الى غالبية الاقوام القديمة خارج القطر .

---

(٦) فالاساطير تدور حول الالهة اما الملاحم فتختص بالابطال من البشر او ممن كان جزء منهم من البشر كانمير كار وكلكامش .

(٧) صموئيل نوح كريمر . الاساطير السومرية . ترجمة يوسف داود عبدالقادر بغداد . ١٩٧١ .

ومن اهم النماذج الادبية التي وصلت الينا نذكر ملحمة كلكامش الشهيرة(٨) والتي تعد اطول واكمل ملحمة عرفتها حضارات العالم القديم والتي وصلتنا مدونة على اثني عشر رقيماً طينياً كشف معظمها في مكتبة اشور بانيبال وقد دونت باسلوب ادبي وفلسفي وتناولت قصة صراع الانسان مع الموت ومحاولته الحصول على الخلود دون ـ جدوى حيث برهن باسلوب مؤثر على حتمية الموت على البشر. كما ضم الرقيم الاخير من الملحمة حادثة الطوفان الشهيرة التي شغلت ابرز فصل في الملحمة. وعرف الانسان العراقي ان مايخلده هو العمل الصالح فقط (التي تجسدت ببناء كلكامش للوركاء).

ومن الاساطير الاخرى اسطورة الخليقة البابلية التي تعد من اهم التأليف الدينية والادبية البارزة وقد دونت على سبعة رقم طينية ويبدو انها كانت ترتل في اليوم الرابع من احتفالات عيد رأس السنة البابلية التي تبدأ في نيسان من كل عام. وتدور قصة الخليقة بصورة عامة حول معتقدات العراقيين القدماء بخصوص خلق الكون والالهة وخلق الظواهر الطبيعية. وهناك العديد من القصص والاساطير الاخرى ذات الاهمية في ادب بلاد وادي الرافدين منها اسطورة ايتانا التي تحكي قصة ملك مدينة كيش ايتانا الذي حاول الحصول على نبات النسل لتكون له ذرية. واسطورة ادبا الحكيم واسطورة نزول عشتار الى العالم الاسفل. واسطورة الطائر زو واسطورة انكي وننخور ساك واسطورة خلق القمر واسطورة انكي والتنين كور.

وهناك الامثال القديمة وادب الحكمة والهزل والفكاهة والرثاء وادب الغزل والحب والتراتيل والادعية الدينية وغيرها من المؤلفات الادبية القديمة .(٩).

ومن المظاهر الحضارية الاخرى التي ادت دوراً كبيراً في المجتمع العراقي القديم واثرت في تراث وحضارة الشعوب القديمة والتي اشرنا اليها بصورة مختصرة في فصول سابقة مثل القانون العراقي القديم .(١٠) والفن بانواعه (فن العمارة وفن

---

(٨) انظر طه باقر. ملحمة كلكامش. وزارة الاعلام. بغداد ١٩٨٦. كذلك د. سامي سعيد الاحمد ملحمة كلكامش. بغداد. ١٩٨٤.

(٩) حول هذه المؤلفات الادبية انظر،
د. سامي سعيد الاحمد. العراق القديم. الجزء الاول. بغداد. ١٩٧٨ ص ٣٧١ ـ ٣٩٧.
ص ٢٥٦

(١٠) انظرد. فوزي رشيد. الشرائع العراقية القديمة. وزارة الاعلام. بغداد. ١٩٧٩. د. عامر سليمان. القانون في العراق القديم. الموصل. ١٩٧٧.

النحت المجسم والبارز وفن عمل العاجيات والاختام الاسطوانية)(١١) والجيش وتنظيماته العسكرية .(١٢)

العلوم والمعارف(١٣)

يعد العراق مهداً للحضارة العريقة وقد شهد اولى محاولات الانسان في مختلف العلوم والمعارف وفيما يلي مختصراً من اهم تلك المحاولات ،

الكتابة :

تعد الكتابة المسمارية العراقية اهم محصلة حضارية حققها العراقيوم القدماء وقد ابتدعها العراقيون في القسم الجنوبي من البلاد . وتعد الرقم الطينية المكتشفة في الطبقة الرابعة من مدينة الوركاء (جنوب شرقي السماوة) والتي يعود تاريخها الى اواسط الالف الرابع قبل الميلاد من اقدم النماذج الكتابية المعروفة حتى الآن في حين ان بلاد مصر عرفت الكتابة اوائل الالف الثالث قبل الميلاد واليونان في القرن السابع قبل الميلاد وفي شمال اوربا في القرن الاول الميلادي ..

وكانت الكتابة العراقية القديمة قد ظهرت في اول اطوارها وتتألف من اكثر من الفي علامة صورية (وكان الغرض من ابتداع الكتابة يعود الى الحاجة لتدوين واردات المعبد) . وتعد المرحلة الصورية من اقدم مراحل الكتابة وتتضمن نصوصاً اقتصادية وجداولاً باسماء المواد الاقتصادية . وهي تعبر عن الشيء برسم صورته . ونظراً لصعوبة تلك العلاقات فقد أخذ السومريون يبسطون ويختصرون في الطور الصوري وظهرت مرحلة الكتابة الرمزية وهكذا تمكن الكاتب العراقي بواسطتها الى

---

(١١) انظر انطوان مورتكارت . الفن في العراق القديم . ترجمة د . عيسى سلمان وسليم طه التكريتي . وزارة الاعلام . بغداد . ١٩٧٥ .
انظر كذلك ، د . فرج بصمجي . كنوز المتحف العراقي . وزارة الاعلام . بغداد ١٩٧٢ .

(١٢) نخبة من الباحثين العراقيين . الجيش والسلاح . وزارة الاعلام . بغداد . ١٩٨٧ . ص ٢٥٧

(١٣) حول تاريخ العلوم والمعارف انظر ،
طه باقر . موجز تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارات العربية الاسلامية . جامعة بغداد . ١٩٨٠ .

تدوين الافكار والاشياء المعنوية برسم صور لها بهيئة مختصرة فاصبحت العلامات لاتعبر عن الشيء الذي تصوره فقط بل تعبر عن افكار ذات صلة بما تمثله تلك العلامة كاستخدام العلامة الدالة على الشمس للتعبير عن معاني مشتقة منها مثل (لامع . ساطع . مشرق ..) مع كل هذا بقيت الكتابة ناقصة بسبب عدم التعبير بها عن الافكار المجردة كالضحك والبكاء والحزن والالم. فدعتهم الحاجة لتلافي هذا النقص فابتدعوا الطور الثالث . الطور الصوتي . او المقطعي وفيه استخدمت العلامة ليس من اجل معناها الصوري او الرمزي وانما من اجل صوتها فقط . وبهذه الطريقة تمكنوا من كتابة اسماء الاعلام والاشياء على هيئة مقاطع صوتية .

وقد شاع استعمال مصطلح الكتابة المسمارية (Cuneiform) للدلالة على الخط المستعمل في بلاد وادي الرافدين في مراحلها المتطورة وهي المرحلة التي اصبحت فيه العلامات تأخذ شكل المسامير بسبب النهاية المثلثة لقلم القصب (Stylus) ولكن من الصعب تعميه على الكتابة في مراحلها الاولى والتي عرفت بالكتابة الصورية .

استمر الخط المسماري في الاستعمال الى فترة ميلاد السيد المسيح اي حوالي ٣٠٠٠ سنة واخر رقيم طيني وصلنا يعود لمنتصف القرن الاول الميلادي .

مادة الكتابة :

لقد اعتمد سكان بلاد وادي الرافدين على مادة الطين كمادة اساسية للكتابة فكانت العلامات المسمارية تطبع على الطين وهو مايزال طرياً ثم يترك ليجف الوجه ثم يبدأ بطبع الوجه الثاني والحافة الثانية ويترك ليجف .

وظلت مادة الطين مستخدمة للتدوين في العراق في جميع مراحل التاريخ . كما شاع استخدامها لفترة محددة في البلدان التي اتخذت الخط المسماري وسيلة للتدوين كالعيلاميين والخوريين والفرس والاورارتو . وفي بلاد الشام ومصر ووصل استخدامها حتى جزيرة كريت .

اما الكتابة على الحجر او المعدن فقد كانت معروفة ايضاً منذ زمن مبكر الا انها كانت نادرة جداً بسبب صعوبة الكتابة عليها .

كان القلم في بداية ظهور الكتابة المسمارية مصنوعاً من الخشب او القصب وذا رأس مثلث الشكل دقيق المقدمة وبعد فترة اصبح غليظاً نسبياً واستمر هذا النوع الغليظ في الاستعمال عبر فترات تاريخ وادي الرافدين حتى اختفى الخط المسماري .

اشكال الرقم الطينية ومضامينها :

تم العثور على مجاميع كبيرة من النصوص المسمارية المدونة على رقم الطين باشكال واحجام ومضامين مختلفة يقدر عددها بمليون رقيم طيني محفوظ قسم منها في المتحف العراقي والقسم الاخر نقل في فترات سابقة الى متاحف العالم ومعاهد الاثار من قبل المنقبين الاجانب الذين نقبوا في العراق . واصغر رقيم طيني لايتجاوز حجمه ١ × ١ سم وهو عبارة عن وصل واكبر رقيم طيني لايتجاوز حجمه ٥٠ × ٥٠ سم فهناك الرقم المربعة والمستطيلة والقرصية والكروية والمثلثة والاسطوانية والمنشورية والمخروطية واشكال مختلفة اخرى بالاضافة الى الطابوق (الاجر) المنقوش او المختوم بالكتابات المسمارية .

اما مضامين هذه الرقم فمنها الرسائل والعقود الاقتصادية والتجارية والقضائية وتتناول معاملات البيع والشراء والايجار والرهن والقروض وعقود تجارية ووصولات تسلم كمية من المحاصيل الزراعية وبعض المعادن من الفضة والنحاس كما ان بعضها يحمل اسماء اعلام واصناف الحيوانات واسماء المدن . اما القضائية منها فتختص بالاحوال الشخصية كعقود الزواج والطلاق والارث والتبني . وهناك النصوص المدرسية التي استخدمت لاغراض تدريب الطلبة على القراءة او الكتابة(١٤)

المدرسة :

احتلت المدرسة دوراً كبيراً في عملية التعليم . ونشر الثقافة والعلوم السومرية والاكدية . وان ظهورها وبداية التعليم وتطوره مرتبطة بظهور الكتابة ونموها »

سمي الرقيم باللغة السومرية بالمصطلح « دُب DUB »ويقابله باللغة الاكدية كلمة « طبوم ṭuppum »وكانت المجاميع الكبيرة من الرقم تحفظ في اماكن خاصة سميت باللغة السومرية « اي ـ دُبا E DUB.BA »وباللغة الاكدية بيت ـ طُبي bit-ṭuppi وتعني بيت الالواح . وقد سميت المدرسة بهذا الاسم ايضاً . فكان الطالب يعرف باسم دومو اي دبا (DUMU E. DUB. BA) اي ابن بيت الالواح ومدير المدرسة يسمى « اوميا UMMIA »وكان يلقب ايضاً بلقب ابي المدرسة .

---

(١٤) عبدالهادي الفؤادي . دور الثقافة في العراق القديم . بغداد ١٩٦١ رسالة شرف غير منشورة .

وكان يدير المدرسة عدد من الكتاتيب يقومون باعداد وتدريب الطلبة المبتدئين لقاء اجور معينة ومنهم « الاخ الكبير SHESH. GAL »والذي كان من المتقدمين في دراسته ويقوم بمساعدة الطلبة الجدد في تحضير واجباتهم اليومية . ولا يعرف متى بدأ نظام المدارس في العراق القديم . غير ان المدرسة كانت معروفة منذ بداية استخدام الكتابة كوسيلة للتدوين (منذ الالف الثالث قبل الميلاد.) وكانت هناك مدارس متعددة في جميع انحاء العراق القديم . ويضم المتحف العراقي اعداد كبيرة من الالواح الطينية التي تعود بتاريخها الى الفترة السومرية والفترات اللاحقة لها والتي دونت بنصوص مدرسية والتي تلقي الضوء على استخدامها لتدريب الطلبة المبتدئين ـ ولم يقتصر التعلم في المدارس على تعلم العلامات المسمارية واللغتين السومرية والاكدية (اي مباديء القراءة والكتابة) وتعلم بعض الاساليب في تمشية الاعمال التجارية وفي تدوين الاخبار وهذه هي المرحلة الاعتيادية من الدراسة وتعادل مرحلة الدراسة الثانوية في الوقت الحاضر . اما الدراسات العليا فتشمل دراسة العديد من العلوم والمعارف الاخرى ـ كالرياضيات والطب والفلك والادب والموسيقى والقانون وهذه توازي دراستنا الجامعية(١٥) ومع انتشار التعليم . الا انه ظل مقصوراً على طبقة محدودة من المواطنين الاغنياء والمتمكنين على تغطية نفقات الدراسة الغالية والتي كانت تستغرق سنوات طويلة ممن يرغبون في تكملة تحصيلهم العلمي . وبالرغم من ان معظم المتعلمين كانوا من الذكور الا ان المرأة كان لها حظاًولو قليل من التعليم فظهرت بعض الكاتبات الجيدات ومعظمهم كن من الكاهنات من صنف الناديتوم وبناء الامراء والملوك .

وكانت المدارس في العصور المبكرة جداً ملحقة بالمعابد. وهي اشبه ماتكون بمؤسسة دينية لتدريب الكهنة والاشخاص الذين يلتحقون بوظائف الكتبة في خدمة المعابد والقصور . غير انه وبمرور الزمن ونتيجة لانتشار الكتابة والعلوم والمعارف انتشرت المدارس بشكل واسع في العصر البابلي القديم (اوائل الالف الثاني قبل الميلاد) حيث ظهرت المدارس الرسمية والتي كانت تحت اشراف الدولة والمعبد ايضاً .

ومن المؤلفات المدرسية التي خلفها لنا البابليون مايمكن تسميته بالمعاجم اللغوية وهي عبارة عن جداول بالعلامات المسمارية ومعانيها باللغتين السومرية والاكدية

---

(١٥) ادوارد كييرا . كتبوا على الطين . ترجمة د . محمود حسين الامين . بغداد . ١٩٦٤ . ص ١٨٤-١٨٨ .

وهناك معاجم اخرى خاصة بشرح الكلمات وشرح قواعد اللغة السومرية والاكدية واخرى جداول باسماء الحيوانات والنباتات والاحجار واعضاء جسم الانسان وغيرها وكان على الطلبة المتعلمين حفظ هذه الجداول والاستعانة بها عند القراءة والكتابة .

المكتبات وحفظ الوثائق :

يجمع الباحثون على ان اصل المكتبات وحفظ الوثائق يعود الى حضارة بلاد وادي الرافدين . مما يستدل على ان الرقم الطينية كانت تحفظ في سلال معمولة من الطين والقصب . ويوضع معها بطاقة تعريفية بمحتوياتها المختلفة . وقد وجدت هذه الطريقة في حفظ الرقم الطينية (الوثائق) في العديد من المواقع العراقية القديمة في نفر ودريهم . ومكتبة اشور بانيبال في نينوى وادب (بسمايا) وسپّار (ابو حبة) بابل وكيش وتللو والوركاء وشادبوم (تل حرمل) واشور . وغيرها من خزائن الكتب العراقية القديمة .

وحفظت الرقم داخل صناديق من الطين ذات اغطية مدون عليها من الخارج عنوان الرقم . وفي البعض الاخر وضعت بطاقة تعريفية بمحتوياتها .

ولعل هذه الصناديق استخدمت مقام خزانات الاضابير والسجلات المستخدمة في الوقت الحاضر .

وكانت النصوص المدرسية او النصوص الدينية الخاصة بالتراتيل تحفظ في المعابد والمدارس حيث عثر على مجموعة منها في معبد الاله اي ـ زيداً (اله الكتابة والمعرفة) في نينوى وكذلك في معبد نابو ـ شا ـ خاري في مدينة بابل وحفظت الالواح الطينية في رفوف موازية للجدران . وكانت مثل هذه الرفوف تغطى بحصير او تطلى بطبقة من القار لمنع تسرب الرطوبة الى الالواح . اما النصوص القانونية والوثائق الرسمية فقد كانت تحفظ في القصر .

ان حجم الرقيم مهما بلغ حجمه لايستوعب نصوصاً مطوله كالاساطير والملاحم واكبر لوح طيني مكتشف لايتجاوز ٥٠ × ٥٠ سم لذلك كان لابد من تدوين مثل هذه الاساطير والملاحم على سلسلة من الالواح الطينية وكان على كاتب الالواح ان يسلسلها ويضع عليها علامات او اشارات تدل على ذلك خشية خلطها . وهكذا اتخذوا طريقة لاتزال تستخدم في وقتنا الحاضر حيث تتضمن وضع عنوان النص او السلسلة

في الجزء العلوي من كل لوح او في اخره . وكانوا يختارون عناوين لتلك السلسلة وهي اول عبارة من النص فعنوان قصة الخليقة « حينما في العُلا » وهي اول عبارة في القصة . وعنوان ملحمة كلكامش « هو الذي رأى كل شيء » وعنوان شريعة حمورابي « حين انو العظيم » وعنوان ملحمة الطوفان لاترا ـ خاسيس « حين كان الالهة كالبشر » .

كان للملك الاشوري اشور بانيبال (٦٦٨ ـ ٦٢٧ ق . م) ذوق ادبي مما جعله متحمساً للحفاظ على كل علوم المعرفة في عصره والتي حفظها في مكتبته الشهيرة التي بناها في قصره في نينوى والتي امر بجمعها واشرف على ذلك بنفسه وضمت مختلف المواضيع الدينية والادبية والادارية والاقتصادية والتاريخية والمعاجم اللغوية . وكانت بذلك سجلاً حافلاً بالحياة العراقية القديمة من مختلف جوانبها وقد امر باستنساخ البعض منها كما امر بجلب النسخ الاصلية للبعض الاخر . وقد تفاخر اشور بانيبال بنفسه بانه من المتعلمين في مختلف شؤون المعرفة . لقد تم الكشف عن هذه المكتبة من قبل البعثة البريطانية التي كانت تنقب في تل قوينجق في مدينة نينوى وكانت تضم ٢٥ الف رقيم طيني نقلت جميعها الى المتحف البريطاني في لندن .

انتشار الخط المسماري :

من المعروف ان الخط المسماري العراقي انتشر خارج حدود بلاد وادي الرافدين حيث تأثرت به اقوام اخرى داخل وخارج الوطن العربي فاقتبست منه كثير من المفاهيم والمعتقدات الدينية والنتاجات الثقافية والادبية .

وفي عصور مبكرة انتقلت الكتابة الصورية اقدم انواع الكتابة العراقية القديمة بعد مرور ٢٠٠ سنة من ظهورها في العراق الى مدينة سوسه عاصمة عيلام وظل هذا الخط مستعملاً فيها والذي يعرف بين المختصين (بالخط العيلامي القديم) . وكان مشابهاً للخط العراقي مع بعض الاختلافات البسيطة حتى منتصف الالف الثالث قبل الميلاد (العصر الاكدي) حيث استبدل بالخط المسماري العراقي وهجر العيلاميون خطهم الاول .

انتشر الخط المسماري في اقطار الوطن العربي القديم . فقد كشفت البعثة الايطالية العاملة في مدينة ابلا « تل مارديخ حالياً ٥٥ كم جنوب غربي حلب » عام ١٩٦٤ ـ ١٩٧٩ عن بضعة الاف من رقم الطين مدونة بالخط المسماري يعود

تاريخها الى عصر فجر السلالات الثالث (٢٤٥٠ ـ ٢٤٠٠ ق . م) وربما دامت لتعاصر الدولة الاكدية . وتشمل نصوص اقتصادية وادارية وادبية وعلمية وقوائم جغرافية اضافة الى معاجم لغوية .

وفي اعالي الخابور عثرت البعثة الالمانية بالقرب من شيخ حماد على مجموعة من الرقم الطينية المدونة بالخط المسماري وباللغة الاشورية وفيها نصوص اقتصادية وادارية تعود بتاريخها الى منتصف الالف الثاني قبل الميلاد .

انتشر الخط المسماري في بلاد اشور الى اسيا الصغرى في مطلع الالف الثاني قبل الميلاد بدليل العثور على الالاف العديدة من رقم الطين المدونة بالخط المسماري وباللغة الاشورية القديمة في عدد من المراكز التجارية التي انشأها التجار الاشوريون في كول تبه (كانش) وبوغازكوي (خاتوشا) وغيرها من المدن في الاراضي التركية .

وانتشر الخط المسماري بين الخوريين والميتانيين خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد . حيث تم العثور على اربعة الاف رقيم طيني في موقعي نوزي (يورغان تبه) وتل الفخار (كورو ـ خاني) قرب كركوك كتبت بالخط المسماري وتتضمن نصوص ادارية واقتصادية ورسائل متبادلة بين الاشخاص وعقود قضائية تخص الزواج والتبني والارث .

وصار الخط المسماري وسيلة للتدوين في منطقة الشرق الادنى القديم وخاصة في بلاد الشام كما تدل على ذلك الوثائق المسمارية المكتشفة في مدينة ماري (تل الحريري) قرب البوكمال كما عثر في اوغاريت (رأس الشمره) على الواح طينية مدونة بكتابة مسمارية باللغة الكنعانية وتتضمن نصوص دينية واساطير شعرية . وفي منتصف الالف الثاني قبل الميلاد اصبح الخط المسماري وسيلة لتدوين الوثائق المتبادلة بين ملوك وامراء الوطن العربي القديم . واصبحت اللغة الاكدية هي اللغة الدبلوماسية (لغة التفاهم بين شعوب المنطقة) وذلك بدليل العثور على عدد كبير من الرسائل الملكية المتبادلة بين ملوك المنطقة . فهناك رسائل العمارنه وهي الرسائل المتبادلة بين ملوك مصر امينحوتب الثالث وامينحوتب الرابع (اخناتون) وبين الملك الميتاني والملك الحثي وحكام سوريا وفلسطين والعراق وجميعها مكتوبة باللغة الاكدية . فلقد استعار الخط المسماري في كتابة لغتهم ايضاً كل من الاوراتو في

منطقة ارمينيا والاخمينيين والاغريق والفرثيين (الارشاقيين) وغيرهم وذلك في النصف الثاني من الالف الاول قبل الميلاد .

كيف حلت رموز الكتابة المسمارية(١٦) :

ظل الخط المسماري . خط الحضارة العراقية القديمة مستخدماً للتدوين منذ اول ظهوره في اواسط الالف الرابع قبل الميلاد حتى منتصف القرن الاول الميلادي (٥٠ ـ ٧٥ م) حيث انحصر تداوله بين كهنة المعابد وحل محله الخط الارامي المؤلف من عدد قليل من الجروف الهجائية . ودخل الخط المسماري في ظلام النسيان بعد ان كان اداة لتدوين الحضارة العراقية القديمة وحضارة الاقوام المجاورة زهاء اربعة الاف سنة حتى تمكن بعض العلماء من حل هذه الرموز وكان اولهم الرحالة الايطالي (بيترو ديلا فالا) الذي زار اطلال مدينة برسيبوليس عاصمة الملوك الاخمينيين الواقعة على بعد ٥٠ كم الى الشمال من مدينة شيراز فعثر على اجرة مكتوبة من اليسار الى اليمين بكتابة مسمارية فاستنسخ خمسة رموز منها وعاد بها الى اوربا عام ١٦٢١ . وبعد عودته كتب عن الكتابات المسمارية التي شاهدها اثناء جولته .

وفي عام ١٧٦٥ استطاع الرحالة الالماني كارستن نيبور باستنساخ مجموعة من كتابات برسيبوليس استنساخاً مضبوطاً ونشرها عام ١٧٦٨ وبهذا العمل استطاع نيبور ان يثبت ان هذه الكتابات تضم نصاً واحداً مكتوباً بثلاثة انواع من الخطوط المسمارية . وان احد هذه الانواع الثلاثة يضم ٤٢ علامة مسمارية فقط واتخذ هذا النوع اساساً لمحاولة حل رموز الخطوط المسمارية . وبالفعل فقد تمكن العالم نيكسن الاستاذ في جامعة روستوك عام ١٧٩٨ ان يثبت بان المسمار المائل المستخدم في النوع الذي يتألف من ٤٢ علامة هو عبارة عن فاصلة بين كلمة واخرى واستطاع ان يبرهن من ان النصوص تمثل ثلاث لغات مختلفة . وفي عام ١٨٠٢ استطاع الباحث الاثاري موتنير من اثبات كون هذه

---

(١٦) حول حل رموز الكتابة المسمارية انظر .

١ ـ ارنست دوبلهوفر . رموز ومعجزات . ترجمة د . عماد حاتم . ليبيا ـ تونس . ١٩٨٣ . ص ١٣١ ـ ١٨٤ .

٢ ـ د . بهيجة خليل اسماعيل « الكتابة » حضارة العراق . وزارة الثقافة والاعلام . بغداد . الجزء الاول . ١٩٨٥ . ص ٢٢١ ـ ٢٧٢ .

٣ ـ د . فوزي رشيد . قواعد اللغة السومرية . وزارة الاعلام . بغداد . ١٩٧٢ .

٤ ـ ل . كيلهلمر . « حل رموز الكتابة المسمارية » ترجمة د . محمود الامين . مجلة سومر . بغداد (١٩٥٦) . ص ٩٠ ـ ١٠٠ .

الكتابات تعود الى السلالة الاخمينية وان لغتها مقاربة الى اللغة المدون بها الكتاب المقدس المعروف بـ (زندا افيستا) وهو الذي انتبه كذلك الى ان هذه الانواع الثلاثة من الخطوط المسمارية تضم نصاً واحد وليس ثلاثة نصوص مختلفة ولكنه مدون بثلاث لغات مختلفة وقد تمكن ايضاً من تعيين مجموعة العلامات السبعة التي تتألف منها كلمة (ملك) .

لقد تمكن العالم الالماني جورج فردريك كروتفند الذي بدأ حياته بدراسة اللاهوت والفلسفة في جامعة كوتنكن الالمانية حيث كان العديد من العلماء يدرسون العالم القديم واللغات المقارنة أن يتوصل عام ١٨٠٢ الى حل رموز الخط الاول الذي كان يضم ٤٢ علامة مسمارية تمثل حروفاً هجائية وليست مقطعية . على الرغم من ان حل رموز الكتابة المسمارية كانت اصعب من حل رموز الخط الهيروغليفي المصري . فقد افلح كروتفند من حل رموز الخط المسماري دون ان تكون اللغة مكتوبة بخط آخر تمكن قراءته كما هو الحال مع حجر رشيد والذي دون بالكتابة الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية .. والذي كان مفتاحاً لحل رموز الكتابة الهيروغليفية . وقد استطاع كروتفند من معرفة بعض اسماء الاعلام التي حواها النص الاول والتي تشير الى اللغة الفارسية القديمة .

وفي الرابع من ايلول من السنة نفسها القى كروتفند محاضرة امام جمعية العلوم لمدينة كوتنكن وضع فيها النتائج التي توصل اليها من دراسته بصورة خاصة وهي ان ترتيب القاب الملوك الاخمينيين مشابهة لترتيب القاب الملوك الساسانيين . فقد عرف ان الاسم الذي يرد في المقدمة يمثل اسم الملك ومن بعده تبدأ الالقاب وذلك على النحو التالي :

(الملك العظيم . ملك الملوك . ملك البلدان) وهكذا استطاع ان يتوصل الى تعيين العلامات الخاصة باسماء الملوك والقابهم اما كيف استطاع الى معرفة اصوات تلك العلامات فتم له ذلك عندما اكتشف نصين من الكتابة المسمارية ولاحظ فيها ان العلامات الاولى في النص الاول لاتشبه العلامات الاولى في النص الثاني فتبين له انهما يحتويان اسمين لملكين مختلفين ولاحظ ايضا ان مجموعة العلامات التي تشكل اسم الملك في النص الاول جاءت في النص الثاني بعد مجموعة العلامات التي تؤلف كلمة (ابن) ومن هذا استنتج ان اسم الملك في النص الاول هو اسم والد الملك المذكور من النص الثاني وبذلك استطاع ان يحدد العلامات الخاصة باسم مؤسس السلالة وباسم ابيه وابنه . وهذه ساعدت المختصين الذين تمكنوا فيما بعد من حل

رموز هذه الكتابة وفي الوقت الذي كشف فيه كروتفند المفتاح في حل رموز الخط المسماري استطاع هنري رولنصن الضابط الانكليزي ان يصل الى حل رموز الخط الاول من الكتابات المسمارية عام ١٨٣٥ . حيث قام باستنساخ نصين قصيرين من الكتابة المسمارية المنقوشة في جبل الفند جنوب همدان . اضافة الى استنساخه الكتابة المدونة بثلاثة انواع من الكتابة المسمارية . وبثلاث لغات وهي الفارسية القديمة واللغة العيلامية واللغة البابلية . تلك الكتابات التي تركها داريوس الاول منقوشة على جبل بهستون الواقع بالقرب من مدينة كرمنشاه . ويبلغ ارتفاع الكتابة المنقوشة على جرف صخري عمودي مابين ١٣٠ ـ ١٤٠ متراً وتتألف من خمسة حقول من الكتابة التي تتألف من اكثر من اربعمائة علامة .

ان استنساخ مثل هذه الكتابة لم يكن بالامر السهل فقد لاقى رولنصن عناءاً كبيراً في استنساخ هذه الكتابة واخذ قالباً لها فكان عليه ان يتسلق الى قمة الجبل ثم يتدلى بالحبال الى عمق مابين ٥٠ ـ ٦٠ متراً لكي يصل الى الكتابة .

وقام باستنساخ بعض النص واخذ قالباً لـه . ولـكنه اضطر الى التوقف بسبب بعض الاشغال العسكرية وعاد مرة ثانية في سنة ١٨٤٤ لتكملة استنساخ النص وفي عام ١٨٤٨ بعث رولنصن باستنساخه الى الجمعية الاسيوية الملكية في لندن لنشرها .

لقد جرى جملة محاولات لقراءة النوع الثاني الذي يتضمن اللغة العيلامية فقد استطاع العالم مونتير من ان يؤكد ان هذا النوع المتكون من ١١١ علامة مسمارية لابد من ان تكون كتابته مقطعية وليست هجائية .

ويعدو الفضل الكبير في حل رموز النوع الثاني الى العالم الانكليزي نوريس الذي درس كتابات بهستون التي سبق ان نشرها رولنصن واثبت بواسطتها النتائج التي توصل اليها غير ان حل رموز هذا النوع قد توقف بسبب ندرة النصوص العيلامية .

اما النوع الثالث من الكتابات المسمارية المدونة باللغة البابلية . فلم تحل رموزه بالسهولة التي حل بها النصان السابقان وذلك لاحتوائه على مايقرب من ٥٠٠ علامة مسمارية مقطعية وكان الباحثون الاوربيون قد بدأوا قبل حل رموز الخطين الاول والثاني يحزرون على الوجه الصحيح من ان لغة النوع النوع الثالث في كتابات بهستون هي اللغة البابلية او الاشورية المنقوش بها على الواح الطين وعلى الاجر

الذي سبق ان نقل من مدن العراق القديمة من قبل الرحالة الى اوربا وعثر عليه ايضا في العواصم الاشورية اثناء تنقيبات الفرنسي اميل - بوتا في عام ١٨٤٣ في قصر الملك الاشوري سرجون في مدينة دور شروكين والمنقب الانكليزي لايرد في مدينة نمرود الاثرية . اذ ان االكتابات المسمارية التي ظهرت في هذين الموقعين تتضمن علامات مسمارية لاتختلف عن علامات النوع الثالث في بهستون فاثارت هذه النتائج حماس العلماء لحل رموز النوع الثالث وقدتكللت جهودهم بالنجاح حيث تمكن العالم السويدي لوفن شتيرن في عام ١٨٤٥ من ان يتعرف على العلامات الخاصة بكلمة (الملك العظيم) وكذلك العلامة الخاصة بالجمع .

وفي عام ١٨٤٧ استطاع العالم هنكس ان يحل كتابه النوع الثالث واليه يعود الفضل الكبير في ذلك الا ان الصعوبات التي واجهته في ذلك هو قراءة اسماء الاعلام لان اغلبها كانت تتألف من علامات رمزية ولم تكن مكتوبة بطريقة مقطعية . وتوصل الى قراءة اسماء الاعلام وذلك بالاستعانة باحد النصوص التي آلت اليه اثناء التنقيبات في مدينة نينوى وهذا النص يحتوي على اسماء اعلام مكتوبة في حقلين يضم الحقل الاول العلامات الرمزية والحقل الآخر مكتوب بالعلامات المقطعية وهذا ماسهل على الباحثين حل الصعوبات التي واجهها هنكس عن قراءته لأسماء الاعلام وبالرغم من الجهود التي بذلت في حل رموز ذلك الخط . لذلك طلبت الجمعية الاسيوية الملكية في لندن التأكد من صحة المعلومات فوزعت في عام ١٨٥٧ على اربعة من الباحثين الاوربيين المختصين بعلم المسماريات اربع نسخ تمثل نصا مسمارياً لأحد الملوك الاشوريين هو الملك تجلاتبلازر الاول (١١١٦ - ١٠٧٦ ق . م) وهم اوبرت الاستاذ في جامعة السوربون والعالم الانكليزي هنري رولنصن والعالم الايرلندي هنكس والمشرف الانكليزي تالبوت وطلبت من كل واحد منهما ان يترجم ذلك النص على انفراد ولما قورنت الترجمات الاربع مع بعضها ببعض في جلسية رسمية لتلك الجمعية بعد مرور شهرين وجدان ان نتائج هؤلاء الباحثين الاربعة كانت مطابقة بعضها مع البعض الآخر . وانهم كانوا متفقين في ترجماتهم بوجه اساسي . وبهذا اقرت المحافل العلمية الاعتراف بمولد علم جديد في تاريخ المعارف البشرية اطلق عليه اسم « علم الاشوريات » نسبة الى اللغة الاشورية التي اعتمد عليها العلماء في حل رموز الكتابة المسمارية والذي صار علما يدرس في جامعات العالم ذات العلاقة بحضارة وادي الرافدين والحضارات القديمة فاختص به الكثير من العلماء الاجانب وبعض العراقيين والعرب .

اما اللغة السومرية فتعد من اللغات الملصقة (١٧) ولا يمكن مقارنتها باية لغة معروفة اخرى . لذلك كانت هناك صعوبة في حل رموزها . والتي جاءت متأخرة بعض الوقت من بعد حل رموز اللغة البابلية . ومما ساعد في حل رموز اللغة السومرية ومفرداتها هو العثور على بعض النصوص المسمارية التي تخمل لقب (ملك سومر واكد) وقد تمكن العالم اوبرت من دراسة هذه النصوص عام ١٨٦٩ واستنتج من ان اللقب الذي يرد في النصوص هو لقومين مختلفين . فاللقب سومر كانت تقلب به الاقوام السومرية واللقب اكد يطلق على الاقوام الجزرية (الاكدية والبابلية والاشورية) . وايدت صحة استنتاجه التنقيبات الاثارية التي اجريت في المواقع السومرية (جنوب العراق) مثل لكش (تلول الهبه) والوركاء واور (تل المقير) ونفر وغيرها من المواقع الاخرى .

لقد امدتنا التنقيبات الاثارية في تلك المواقع بعدد كبير من النصوص المسمارية المدونة باللغة السومرية والتي تختلف اختلافا كبيرا عن اللغتين البابلية والاشورية وحار العلماء في تسمية تلك اللغة الغريبة واطلقوا عليها تسميات عديدة منها اللغة الاكدية وكان معظم النصوص المكتشفة عن اللغة السومرية في تلك الفترة مقتصرا على النصوص المزدوجة (المعاجم اللغوية) التي دونت بالغتين السومرية والاكدية (اي التي تضم حقلين من الكتابة الحقل الاول يضم مفردات باللغة السومرية والحقل الاخر يضم مفردات باللغة الاكدية) .

استطاع العلماء من التعرف على هذه اللغة فاطلقوا عليها اسم اللغة السومرية بعد التنقيبات التي اجريت من قبل المنقب الفرنسي دي ـ سارزيك في لكش (تلول الهبة) عام ١٨٧٧ وتم الكشف عن الكتابات المسمارية السومرية والتي تعود الى النصف الثاني من الالف الثالث قبل الميلاد وكذلك النصوص البدائية (السحيقة في القدم) التي عثر عليها في الوركاء والتي تعود الى بداية الالف الثالث قبل الميلاد . كل هذه العوامل ساعدت العلماء على معرفة مراحل الكتابة السومرية . كما ان اللقى الاثرية التي تم العثور عليها في المدن السومرية القت لنا الضوء على الاقوام التي وضعت الاسس الاولى للحضارة العراقية الاولى التي ازدهرت في القسم الجنوبي من العراق .

---

(١٧) من مظاهر الالصاق في اللغة السومرية انها تجمع وتركب الجمل الفعلية بطريقة الصاق الضمائر والادوات الدالة على الزمن الى جذر الفعل في اول هذه الجمل وفي وسطها واخرها بحيث تصبح الجملة الفعلية وكانها جملة مركبة واحدة . كما انها تلصق الادوات النحوية مثل الادوات المعبرة عن الاضافة والجر والجمع والفاعلية الى آخر الاسم مع اجراء التغيرات الصوتية من دمج او اسقاط لبعض الحروف . والغالبية العظمى من مفرداتها قوامها مقطع واحد مثل (لو LU) رجل و (كال GAL) عظيم .

الجغرافية : ـ

ان اغلب النصوص المسمارية الخاصة بعلم الجغرافية المكتشفة في بلاد وادي الرافدين تتألف من قوائم واسماء البلدان والجبال والانهار والبحار والمدن والقرى في العراق وفي الاقطار الاخرى المجاورة له وقد حصلنا على جداول جغرافية باسماء الاقالية والمواقع المهمة لتسهيل المواصلات وتعريف المسافات بينها للمسافر او السائح .(١٨)

لقد كان العراقيون مولعين بالتفكير بالكون ومركز بلادهم وموقعها ومنه وبالنسبة للبلدان الاخرى . وقد تصوروا الارض على هيئة قرص دائري توجد في حدود محيطة حوافي الجبال التي تستقر عليها السماء مثلما يستقر الغطاء فوق القدر .

واعتقدوا بوجود منفذين في الجبال لشروق وغروب الشمس ونتيجة لاهتمام العراقيين القدماء بالامور التجارية فقد اتصلوا بجميع الاقطار وفي جميع الاتجاهات واتخذوا من مدينة بابل مركزا للعالم القديم ولعل احسن ما يمر بنا اهتماماتهم الجغرافية ماجاءنا عنهم من الخرائط المختلفة اهمها واقدمها خارطة مدينة نفر التي صممت في العصور البابلي القديم (الالف الثاني قبل الميلاد) وكذلك خارطة مدينة سپار (ابوحبة) وخارطة مدينة بابل كما تم العثور على خارطة للعالم مرسومة على الطين يعود تاريخها الى القرن السادس قبل الميلاد وتصور هذه الخارطة الارض وهي مدورة مسطحة وفي وسطها نهر الفرات وفي مركزها وضعت مدينة بابل . وفي جانب منها بلاد اشور وفي اقصى الشمال بلد يدعى (البلاد التي لاترى فيها الشمس مطلقا) مما يوحي بان البابليين كانوا قد سمعوا بالشتاء القطبي المظلم . وقد عملت المدن والمواقع والقنوات على الخارطة بواسطة دوائر صغيرة ووضعت اسماؤهم الى جانبها ثم ياتي بعد ذلك البحر المحيط .

اما في مجال معرفتهم بالمناخ . فقد خلف لنا العراقيون نصوصا مسمارية تحدد مواعيد الزرع والحصاد ومعرفة العرافين بالانقلاب الشتوي والانقلاب الصيفي .

---

(١٨) د . احمد سوسة . العراق في الخوارط القديمة . مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٥٩ .

وهكذا كان العراقيون القدماء واضعي اللبنة الاولى في اسس العلوم الجغرافية بفروعها المختلفة والتي اخذها منهم فيما بعد اليونان والرومان والفرس والهنود وغيرهم .

العلوم : ــ

أخذت الحضارة العراقية القديمة منذ نشوئها بالتطور منذ الالف الثالث قبل الميلاد . وقد استلزم ذلك نشوء وتطور العلوم الطبيعية والعلوم التطبيقية وهكذا نشأت طائفة من المهارات والممارسات والصناعات التي اخذت بالتطور في عصورها اللاحقة حتى وصلت الى درجة من النضج منها الرياضيات والفلك والطب والهندسة والعلوم الفيزياوية والكيمياء . ومع ان بعض هذه العلوم كانت قد دونت على الرقم الطينية واصبحت اقرب ماتكون الى العلوم الصحيحة .

الكيمياء

لقد مارس سكان بلاد وادي الرافدين علم الكيمياء(١٩) وكانوا خبراء في معالجة المواد المعدنية وفي تصفية الفلزات وتركيب السبائك غير المألوفة كما نشأت عندهم اساليب وطرق كيمياوية متطورة مثل صناعة الخمور والمواد المطهرة والتزجيج وصنع الزجاج . لقد اعتمدت صناعة الادوية في العراق القديم على النباتات والاعشاب وقد تم العثور على رقم طينية مدونة بالخط المسماري تمثل سجلات في تركيب الادوية فكانت القاعدة في علم الصيدلة . وترك لنا العراقيون القدماء ومنذ اوائل الالف الثاني قبل الميلاد جداول باسماء الحيوانات والنباتات مصنعة الى مجاميع تشترك كل منها بصفات معينة .

لقد كانت تصفية المعادن تجري عادة بوضع المعادن في بوتقات . ثم يعاد تسخينها عدةمرات . ولقد زودتنا بعض النصوص المسمارية بمعلومات عن مزج المعادن المختلفة وتكوين معادن مركبة وقوية .

وكذلك عن عملية التمويه بالذهب ولاسيما تمويه الزجاج وصنع الزجاج الاحمر بطريقة اذابة الذهب الاحمر . كما ان العراقيين القدماء عرفوا العديد من

---

(١٩) مارتن ليفي الكيمياء والتكنولوجية الكيمياوية ترجمة د . محمود فياض الميامي واخرين . وزارة الثقافة والاعلام بغداد . ١٩٨٠ . د . فرج حبة الكيمياء وتكنولوجيتها مجلة سومر . بغداد . ١٩٦٩ . ص ٩١ ــ ١١٣ .

العمليات والطرق الكيمياوية . وذلك بدليل العثور على الاوعية والمدقات والهاونات والمطاحن وقوالب الصب والوقود والافران في عدد من المواقع العراقية القديمة خلال العصور القديمة .

الرياضيات : ـ

لقد نشأت العلوم الرياضية القديمة(٢٠) وتقدمت في بلاد وادي الرافدين منذ عصور فجر السلالات (الالف الثالث قبل الميلاد) والمراحل اللاحقة الا انها ازدهرت في العصر البابلي القديم . وقد وصلنا نوعان من النصوص الرياضية المسمارية : الاول الجداول المستعملة لعملية الضرب وللاغراض الاخرى . والنوع الثاني يخص المسائل الجبرية والهندسية المتنوعة وعليه فان العلوم الرياضية القديمة عند العراقيين تعد النتاج الفكري المتميز باسلوب علمي .

لقد شهدت العلوم الرياضية فتراتٌ اخرى من التقدم والازدهار بعد فتراتها الذهبية الاولى في العصر البابلي القديم (اوائل الالف الثاني قبل الميلاد) وذلك خلال مرحلة الاختلال الاجنبي الكشي والاخميني والسلوقي .

لقد كشفت الدراسات الحديثة للنصوص المسمارية الرياضية عن مدى التطور الذي وصله العراقيون القدماء في مجال الرياضيات . ويمكن القول ان اسس هذه العلوم ومبادئها كانت في بلاد وادي الرافدين .

كان السومريون يحسبون بوحدات من الواحد الى العشرة (النظام العشري) وهذه عملية طبيعية مادامت الاصابع تهيء لهم الاعداد العشرية الا انهم استخدموا النظام الستيني ايضا عند كتابتهم الارقام . وبدلا من ان يستمروا في حسابهم من العشرة الى المائة . فانهم توقفواعند العدد (٦٠) وابتداءا من هذا الاساس ابتدأوا كتابة اعدادهم به . فقد استخدموا مضاعفات الستين (مضاعفات ١ . ٦٠ . ٣٦٠٠ . ٢١٦٠٠٠ . ومايقابل ذلك في النظام العشري في الاحاد والعشرات والمئات) وفي القرن السادس قبل الميلاد ابتكر البابليون مبدأ الصفر استعملوه لبيان المراتب الخالية من الارقام .

---

(٢٠) د . فاروق ناصر الراوي . « الرياضيات احدى اهم المظاهر الحضارية في العراق القديم » . الندوة الوطنية العلمية للمؤسسة العامة للاثار والتراث . بغداد / ١٩٨٣

ان النصوص الرياضية البحتة قليلة جدا اذا ماقيست بالنصوص الاخرى . فهناك اكثر من خمسمائة لوح رياضي يمكن تصنيفها الى صنفين الاول يتعلق بالقضايا الجبرية والهندسية والثاني يتعلق بجداول الضرب والقسمة واحتساب المتداول والتربيع والجذر التربيعي والتكعيبي وهكذا .

وفي العصر البابلي القديم كانت الرياضيات جبرية في اصلها فقد عرف العراقيون القدماء المتواليات العددية والهندسية واوجدوا دستورا جبريا في استخراج قيم تقريبية هي جذور مايعرف بالاعداد الصماء .

اما في مجال الهندسة فقد خلف لنا البابليون على رقم الطين مسائل رياضية للعديد من الاشكال الهندسية . وكانوا على معرفة بكيفية ايجاد مساحة المربعات والمستطيلات وشبه المنحرف والمثلثات القائمة الزاوية والمتساوية الساقين وهكذا فانهم سبقوا فيثاغورس اليوناني من القرن السادس قبل الميلاد في اثبات مساحة المربعين المنشأين على ضلعي المثلث القائم الزاوية تساوي مساحة المربع المنشأ على الوتر . فقد جاءنا هذا النص من تل حرمل (بغداد الجديدة) من العصر البابلي القديم اي قبل فيثاغورس بحوالي الف وخمسمائة عام . وكذلك قضايا وتمارين تطبيقية على هذه النظرية .

وفي القضايا الجبرية عرف البابليون المعادلات الجبرية الاساسية من الدرجة الاولى والثانية والثالثة .

الفلك

لقد وجدت الرياضيات في الفلك ميدانا رحبا للتطبيق واعطت اليه درجة عالية من الدقة ولم تدان ابدا في التاريخ القديم . والفلك هوعلم الاجرام السماوية ورصدها ودرسها . وقد عده العراقيون القدماء وسيلة وليست غاية وفائدته الرئيسة هي ان يستخدم دليلا لاهداف علم التنجيم . وليمكنهم من تثبيت التقويم . وقد بدأت الارصادات الفلكية بمعرفة فصول السنة وتحديدها وحركات الشمس والقمر ومواقعهما في الحضارة العراقية منذ فترة مبكرة . فكانت قراءة الفأل معتمدة على التنجيم .

وهناك امثلة تعود الى عصر سرجون الاكدي (حوالي ٢٣٧٠ ق . م) وامثلة اخرى عن الارصادات الفلكية المنتظمة تعود الى العصر البابلي القديم في عهد الملك أمي ـ

صدوقا الملك الرابع بعد حكم حمورابي وتتعلق هذه الارصادات بشروق وغروب كوكب الزهرة وعلاقة ذلك بالشمس . واستطاع الفلكيون البابليون بواسطة الحسابات الرياضية من معرفة بعض الظواهر الفلكية مثل الخسوف والكسوف وضبط التقويم السنوي والفصول واطوال الليل والنهار بحسب الفصول .

وفي عام ١١٠٠ ق . م اخذ الاشوريون علم الفلك عن البابليين وكان التقويم القمري ـ الشمسي(٢١) يتألف من اثني عشر شهرا ويتألف كل شهر من ثلاثين يوما فقد قسموا الشهر القمري الى اربعة اسابيع وقسموا الاسبوع الى سبعة ايام وقسموا اليوم الكامل الى اثني عشر ساعة مضاعفة وسموا كل ساعة « بيرو » والتي تقسم بدورها الى ستين دقيقة مضاعفة وهذا هو نفس النظام المستخدم حتى يومنا هذا . وابدعوا الات واجهزة لقياس الساعات كالساعات المائية والمزولة الشمسية التي اقتبسها اليونان . وكانت الاشهر عندهم تبدأ ببداية السنة البابلية في شهر نيسان . ومادامت دورة السنة تتالف من اثنى عشر شهرا تتالف من (٣٦٥) يوما

ولما كانت السنة القمرية تساوي ٣٥٤ يوما اي انها تنقص ١١ ¼ يوما عن السنة الشمسية لذا كانت هناك حاجة لاضافة شهر كيبس واحد كل ثلاث سنوات تقريبا يقع في منتصف السنة او في اخر السنة . ويسمى هذا الشهر المضاف باسم الشهر السابق له مثل ايلول الثاني او اذار الثاني لتكون السنة القمرية متفقة مع السنة الشمسية .

استطاع الفلكيون البابليون تحديد مسار الشمس والكواكب السيارة وقسمت الى اثني عشر موقعا او برجا كل منها مجموعة من النجوم الثابتة لكي تمر منها الشمس في حركتها السنوية في كل شهر من اشهرها . وقد تخيلوا هذه المجموعات من النجوم وكانها تمثل اشكال ادمية وحيوانية واشكالا اخرى وسموا كل برج منها باسم الشكل الذي تخيلوه .

وقد اصبح علم التنجيم من العلوم المهمة في البلاط الاشوري وخاصة في الفترة السرجونية . وهذا مايبدو واضحا من الرسائل الملكية . ثم تطور علم الفلك والتنجيم عند الفلكيين الكلديين في بابل والذي انتشر بعد ذلك عن طريق اليونان الذين

---

(٢١) جورج كونتينو . الحياة اليومية في بلاد بابل واشور . ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي ، وزارة الثقافة والاعلام بغداد ١٩٨٦ ، ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧ .

استفادوا من منجزات الفلك في بلاد وادي الرافدين واطلقوا عليه مصطلح « العلم الكلدي » .

الطب

من دراسة الالواح الطينية التي دونت العلوم الطبية في بلاد وادي الرافدين(٢٢) تبين ان الطب العراقي القديم كان مرتبطا بالعرافة والسحر ومنشأ ذلك الاعتقاد ان مصدر الامراض الشياطين والارواح الخبيثة بدليل النصوص الطبية التي تم كشفها والتي تتألف من كتيبات مختصرة ومجاميع وصفات طبية الحقت برسائل واشارات جاء ذكرها في النصوص القانونية تبين حكمة الطبيب وعلاقته بالمريض ومكانته الاجتماعية .

فقد استطاع الطبيب العراقي تشخيص الامراض واعطاء الدواء المناسب ممايدل معرفتهم العقاقير وتراكيبها وكان مصدر الطب عند العراقيين القدماء من الالهة التي يرجع اليها من الشفاء والتطبيب . وكان الاله ايا الحكيم سيد المياه هو اله الطب والاطباء مما يدل ان للماء دورا كبيرا في الطب القديم .

ويستدل على قدم مهنة الطب في العراق القديم منذ الالف الثالث قبل الميلاد من الكلمة الاكدية (اسو) المشتقة من الكلمة السومرية (آزو) والتي تعني الرجل الذي يعرف الماء (او الزيت) وان اقدم نص طبي لهذه الفترة وجد في مدينة نفر بالقرب من مدينة عفك جنوب العراق . يدل على ان الطبيب السومري اعتمد على وصف الدواء لمريضه على المصادر النباتية والحيوانية والمعدنية ولم يعتمد على التعاويذ والسحر كما هو حال زملائه الاطباء الذين عاشوا مرحلته .

لقد تطور علم الطب في الالف الثاني قبل الميلاد وخير دليل على ذلك ماجاء في قانون حمورابي الذي ميز بين الطبيب والجراح والبيطري وحدد اجور كل منهم ولحماية المواطن من الجشع والاخطار التي قد يتعرض لها فقد وضع حمورابي في قانونه عقوبات على الاطباء قد تصل الى قطع اليد لمن يسيء استخدام مهنته .

---

(٢٢) د . وليد الجادر « الطب البابلي والاشوري » مقالة مترجمة عن الاستاذ لابات . مجلة سومر بغداد . ٢٤ ، ١٩٦٨ ، ص ١٩١ ـ ٢٠٦ .

اما اساليب العلاج في العراق القديم فيمكن حصرها في ثلاث وسائل هي العلاج الطبيعي بالعقاقير والتمريض والعلاج بواسطة العمليات الجراحية واخيرا بالرقي والتعزيم لطرد الارواح والشياطين .

وقد خلف لنا الاطباء اعدادا من النصوص الطبية يمكن ان نميز صنفين رئيسين الاول نصوص خاصة لتشخيص المرضى والانذار او التنبوء.(٢٣) اما الصنف الثاني فيتألف من نصوص خاصة بالعلاج والتداوي(٢٤) لقد تم العثور على نصوص طبية تؤرخ الى منتصف الالف الثاني قبل الميلاد عثر عليها في خاتوشا (بوغاز كوي) العاصمة الحثية (مترجمة بالحثية) كما تم التعرف على وصفة طبية مدونة باللغة السومرية من عصر سلالة اور الثالثة . غير ان معظم معلوماتنا عن الطب العراقي القديم من العصر البابلي القديم مستمدة من العدد الكبير من النصوص الطبية المتوفرة في مكتبة اشور بانيبال المكتشفة في تل قوينجق في مدينة نينوى والتي تعود للقرن السابع قبل الميلاد لقد ذكرت الادوات الطبية في مجموعة من النصوص المسمارية منها شفرات الصيدلاني والانابيب المعدنية واله بضع (سكين الحلاق) والتي كانت تستخدم لاغراض الجراحة العامة . وكانت الجراحة الوسيلة الوحيدة للحالات الميؤس منها وكانت القبالة تجري بايدي النساء لكن الاشارات عنها قليلة جدا(٢٥)

---

(٢٣) د . عبد اللطيف البدري . التشخيص والانذار في الطب الاكدي . مطبوعات المجمع العلمي العراقي . ١٩٧٦ .

د . عبد اللطيف البدري . من الطب الاشوري . مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٧٦ .

(٢٤) د . سامي سعيد الاحمد . (الطب العراقي القديم) مجلة سومر . بغداد . ٣٠ . ١٩٧٤ . ص ٧٩ ـ ١٣٦

(٢٥) ليو اوبنهايم . بلاد ما بين النهرين ترجمة سعدي فيضي عبدالرزاق . وزارة الثقافة والاعلام . بغداد ١٩٨٦ . ص ٣٧٨ ـ ٣٩٩ .

اهم المصادر

اضافة الى المصادر التي دونت في هوامش الفصول فقد اعتمدت في كتابة هذا الكتاب على عدد من المصادر العربية والاجنبية بصورة رئيسة ويمكن للقاريء الكريم مراجعتها والتعرف على المزيد عن حضارة بلاد وادي الرافدين. بعضها يتناول موضوعا معينا او فترة من فترات تاريخ العراق القديم وبعضها يتناول تاريخ العراق القديم بشكل عام وبعضها يبحث في حضارة الشرق القديم.

ولكي يستطيع الطالب معرفة ذلك والاستفادة منها في كتابة بحوثه وللاستفادة من المراجع الرئيسة التي اعتمدنا عليها في كتابنا هذا والتي ندرجها ادناه لتكوين من جملة المصادر التي يعتمد عليها الطالب في بحوثه والله الموفق.

المصادر

المراجع العربية

١) الكتب

١ـ ابراهيم والفتيان : د . عامر سليمان واحمد مالك . محاضرات في التاريخ القديم . جامعة الموصل . ١٩٧٨ .

٢ ـ ابراهيم : د . عامر سليمان . القانون في العراق القديم . الجزء الاول . الموصل . ١٩٧٧ .

٣ ـ الاحمد : د . سامي سعيد . العراق القديم . الجزء الاول . بغداد . ١٩٧٨ .

٤ ـ الاحمد : د . سامي سعيد . العراق القديم . الجزء الثاني . بغداد . ١٩٨٣ .

٥ ـ اوبنهايم : ليو . بلاد مابين النهرين . ترجمة سعدي فيضي عبدالرزاق . وزارة الثقافة والاعلام . بغداد . ١٩٨٦ .

٦ ـ باقر : طه . مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة . الجزء الاول . بغداد . ١٩٧٣

٧ ـ جماعة من علماء الاثار السوفييت . العراق القديم . ترجمة سليم طه التكريتي . ١٩٦٩ .

٩ ـ رو : جورج . العراق القديم . ترجمة حسين علوان حسين . وزارة الثقافة والاعلام بغداد . ١٩٨٤ .

١٠ ـ ساكز : هاري . عظمة بابل . ترجمة د . عامر سليمان . جامعة الموصل . ١٩٧٩ .

١١ ـ صالح : د . عبدالعزيز . الشرق الادنى القديم . الجزء الاول (مصر والعراق) . القاهرة . ١٩٦٨ .

١٢ ـ الطعان : د . عبدالرضا . الفكر السياسي في العراق القديم . وزارة الثقافة والاعلام . بغداد . ١٩٨١ .

١٣ ـ عصفور : د . محمد ابو المحاسن . معالم تاريخ الشرق الادنى القديم . بيروت . ١٩٨١ .

١٤ ـ علي وابراهيم : د . فاضل عبدالواحد . ود . عامر سليمان . عادات وتقاليد الشعوب القديمة . بغداد . ١٩٧٩ .

١٥ ـ كريمر : صموئيل نوح . من الواح سومر . ترجمة طه باقر . القاهرة . ١٩٥٨ .

١٦ ـ كريمر : صموئيل نوح . السومريون . ترجمة د . فيصل الوائلي . الكويت . ١٩٧٣ .
١٧ ـ كونتينو : جورج . الحياة اليومية في بابل واشور . ترجمة سليم طه وبرهان عبد التكريتي . وزارة الثقافة والاعلام . بغداد . ١٩٨٦ .
١٨ ـ كييرا : ادوارد . كتبوا على الطين . ترجمة د . محمود حسين الامين . بغداد ١٩٦٤ .
١٩ ـ لويد : سيتون . اثار بلاد الرافدين . ترجمة د . سامي سعيد الاحمد . وزارة الثقافة والاعلام . بغداد . ١٩٨٠ .
٢٠ ـ مجموعة من الأساتذة والباحثين . حضارة العراق . وزارة الثقافة والاعلام . بغداد . ١٩٨٥ .
٢١ ـ مجموعة من الاساتذة والباحثين . العراق في التاريخ . وزارة الثقافة والاعلام بغداد . ١٩٨٣ .
٢٢ ـ مجموعة من الاساتذة والباحثين . العراق في موكب الحضارة . وزارة الثقافة والاعلام . بغداد . ١٩٨٨ .

المقالات .

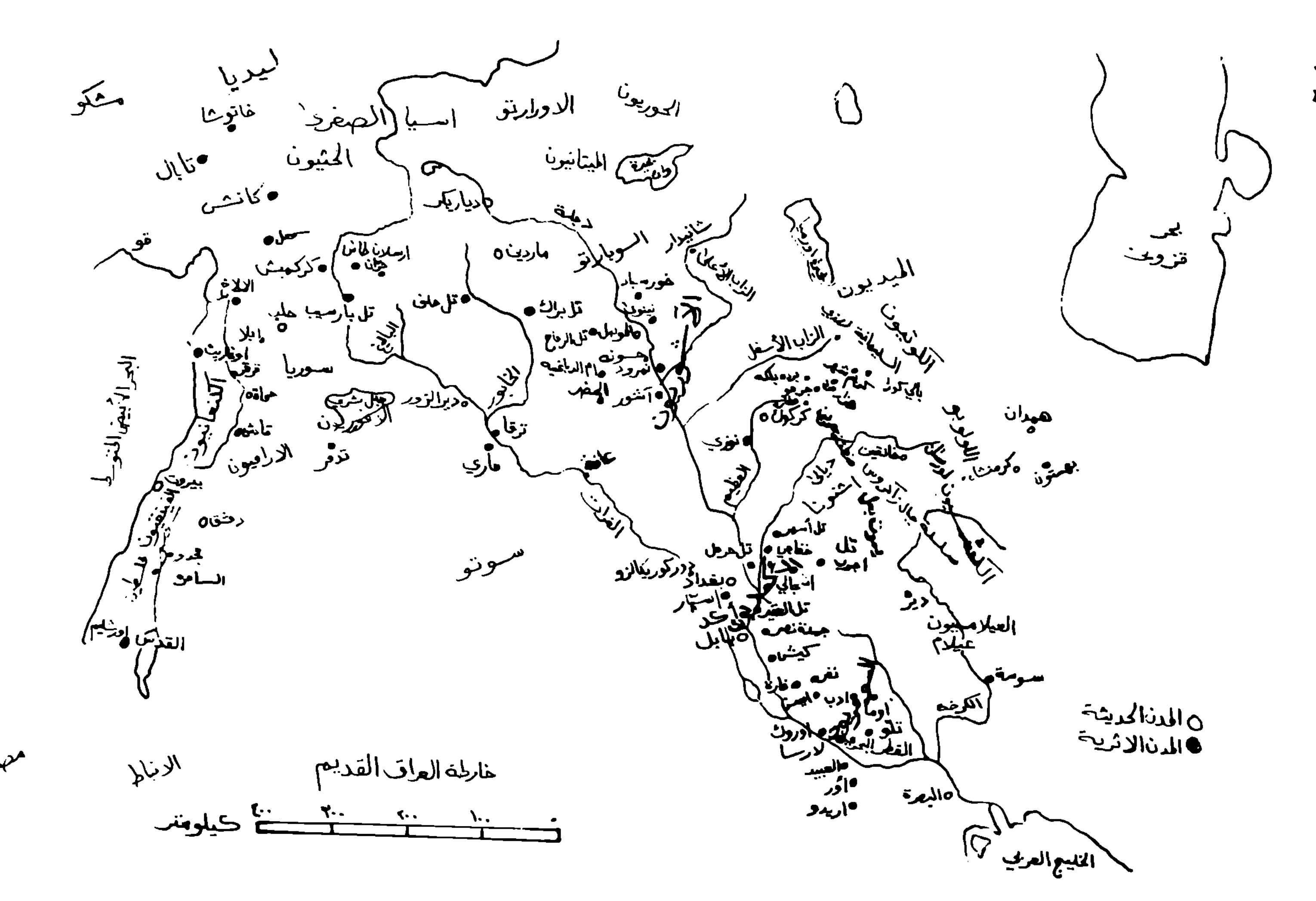
يمكن الاعتماد على مجلة سومر التي تعد مجلة علمية تصدرها دائرة الاثار والتراث سنوياً وتضم بحوثاً متخصصة في مختلف النشاطات التاريخية والاثارية الخاصة بالحضارة العراقية القديمة والوطن العربي القديم .

المراجع الاجنبية

1. Roux, J., *Ancient Iraq*, Penguin Books, London, 1964.
2. Saggs, H. W. F., *The Greatness that was Babylon*, Sidgwick and Jackson, London, 1966.
3. Oppenheim, Leo., *Ancient Mesopotamia*, Chicago, 1964.
4. *Cambridge Ancient History*, new ed. 1963, 1971.
5. Moscati. S., *Ancient Semitic Civilization*, London, 1957.
6. Kramer, S. N., *The Sumerians*, Chicago, 1963.
7. Contenau, G., *Everyday life in Assyria and Babylonia*, New York, 1966.
8. Olmstead. A. T., *History of Assiria* , Chicago, 1923.
9. Jacobsen, T., *The Sumerian king-list.*, Chicago, 1964.

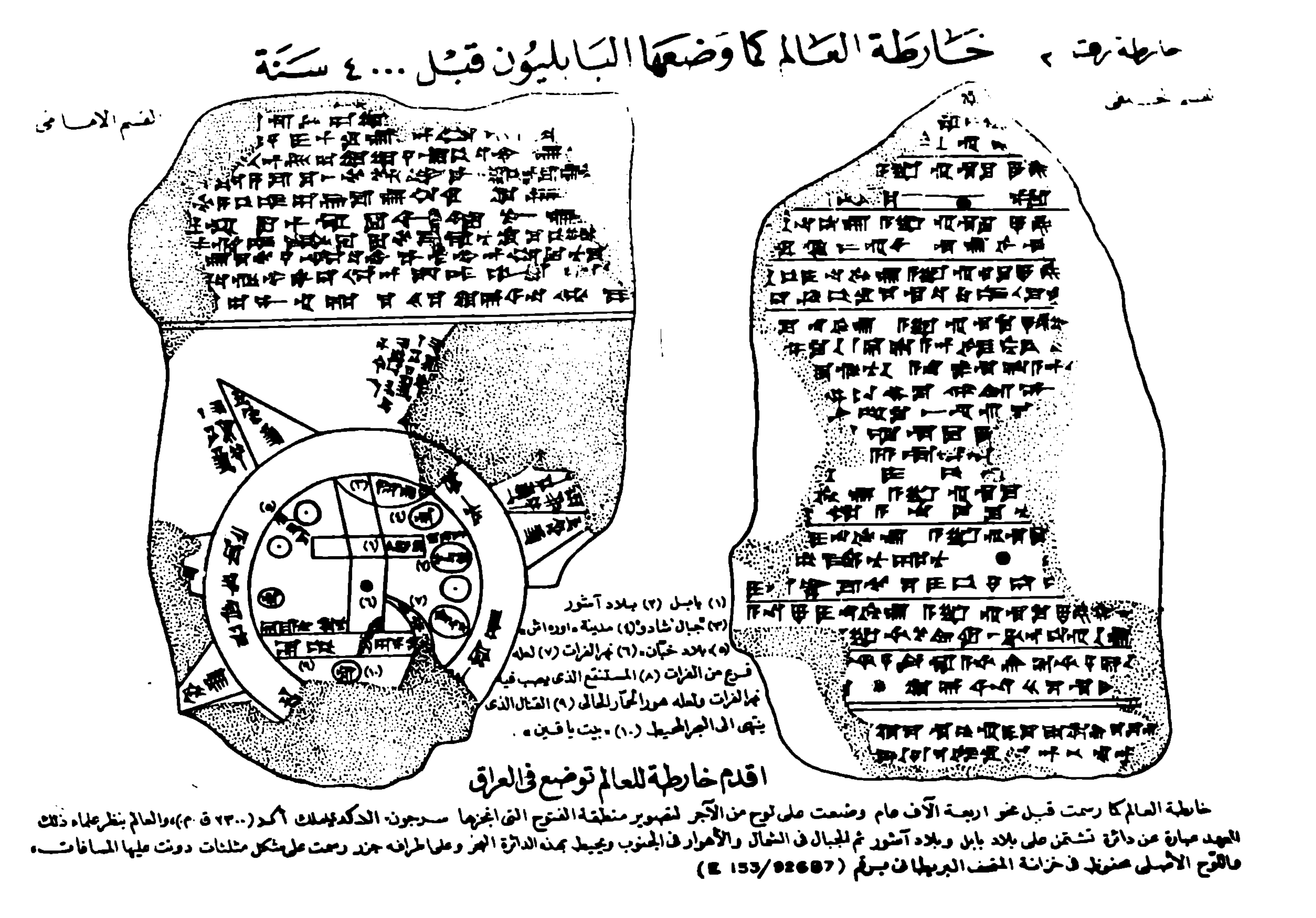


الخرائط والصوَر



خارطة العراق القديم
كيلومتر
١٠٠
٢٠٠
٣٠٠
٤٠٠
المدن الحديثة
المدن الاثرية
ليديا
مشكو
فاتوشا
اسيا الصغرى
الاورارتو
الحوريون
تابال
الحثيون
الميتانيون
كانش
ديار بكر
دجلة
قو
كركميش
ماردين
السوبارتو
شانيدار
الميديون
تل براك
تل حلف
خورسباد
نينوى
الزاب الأسفل
الزاب الأعلى
حلب
سوريا
تل الرماح
نمرود
آشور
الحضر
السليمانية
كركوك
ديرالزور
الخابور
نوزي
تدمر
ترقا
ماري
عانة
الآراميون
البحر الأبيض المتوسط
بيروت
دمشق
الفرات
سوتو
العظيم
ديالى
اشنونا
تل اسمر
خفاجي
اجرب
ايشجالي
بغداد
تل حرمل
ابو حبة
كيش
بابل
جمدة نصر
نفر
فارة
ادب
تلو
اوروك
لارسا
العبيد
اور
اريدو
البصرة
الخليج العربي
الكرخة
سوسة
عيلام
العيلاميون
همدان
كرمنشاه
بهستون
القدس
اورشليم
السامرة
الانباط
مصر
بحر قزوين

خارطة رقم ٢ خارطة العالم كما وضعها البابليون قبل ٤٠٠٠ سنة



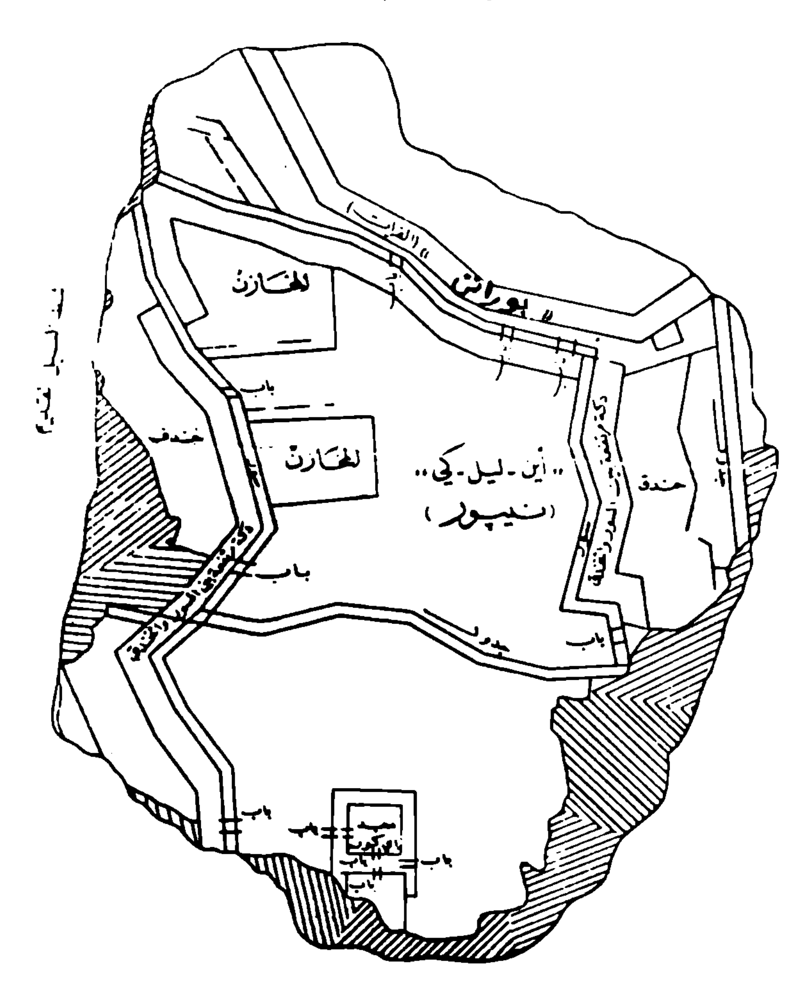
اقدم خارطة للعالم توضع في العراق

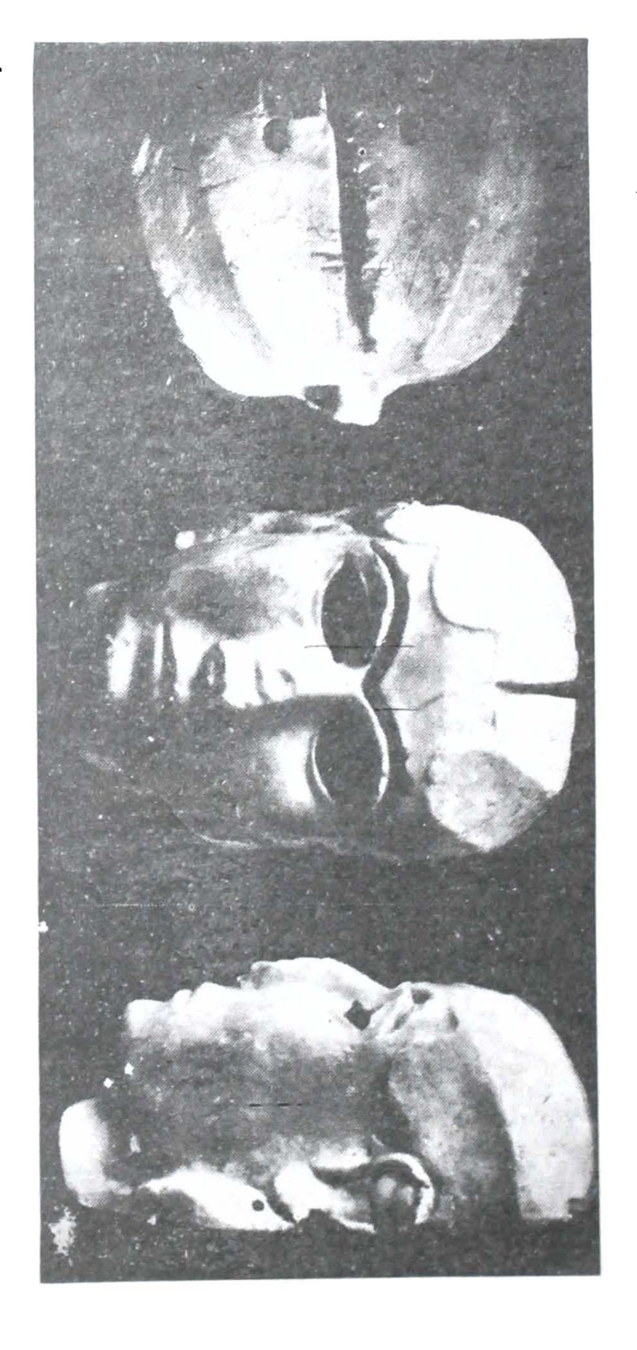
خارطة العالم كما رسمت قبل نحو اربعة آلاف عام وضعت على لوح من الآجر لتصوير منطقة الفتوح التي انجزها سرجون الاكدي ملك أكد (٢٣٠٠ ق.م)، والعالم بنظر علماء ذلك العهد عبارة عن دائرة تشتمل على بلاد بابل وبلاد آشور ثم الجبال في الشمال والأهوار في الجنوب ويحيط بهذه الدائرة البحر وعلى اطرافه جزر رسمت على شكل مثلثات دونت عليها المسافات. واللوح الأصلي محفوظ في خزانة المتحف البريطاني برقم (E 153/92687)

اقدم خارطة من خرائط المدن من العهد البابلي القديم

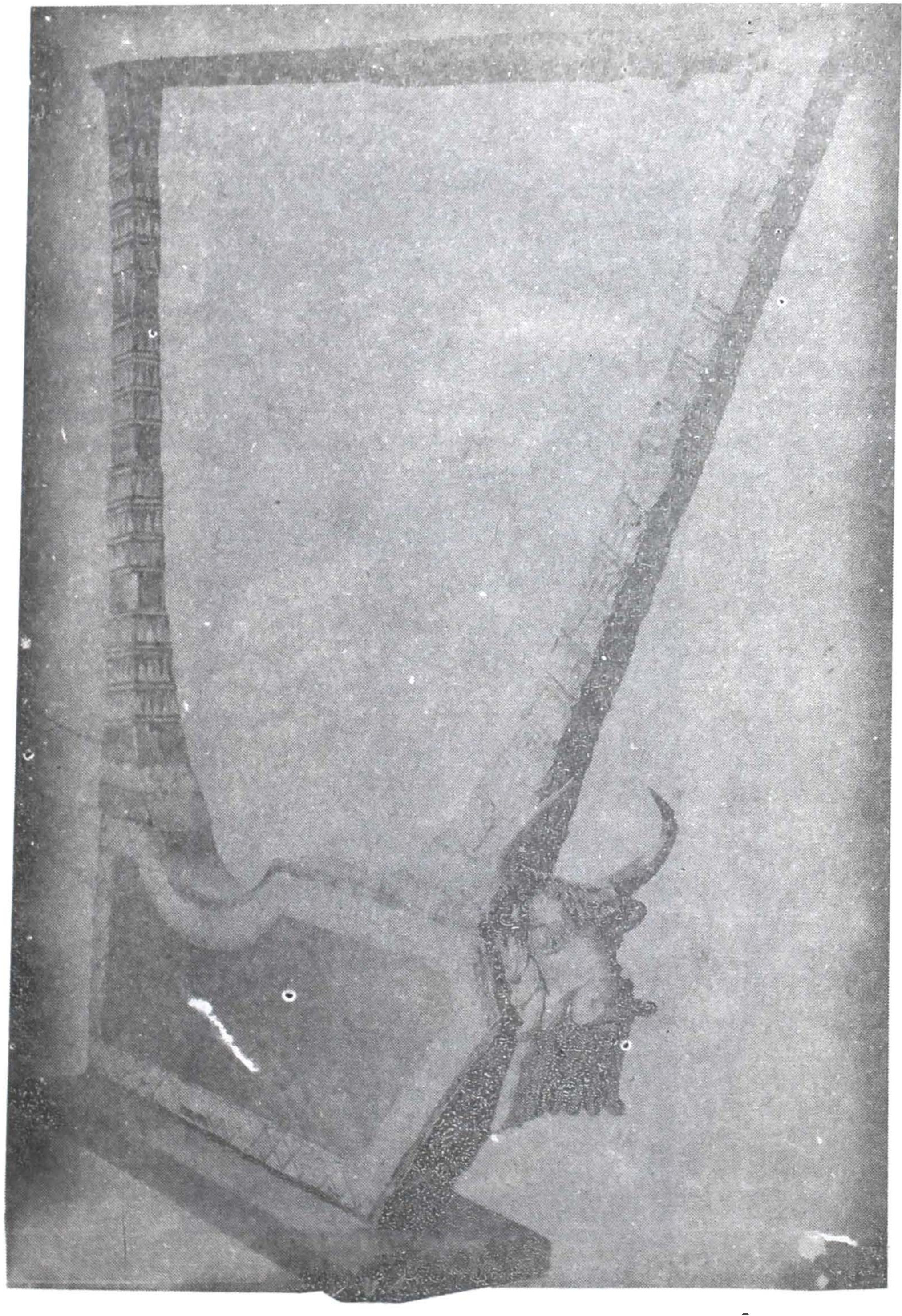
خارطة مدينة نفر السومرية توضع في النصف الاول من الالف الثاني قبل الميلاد

عثر على هذه الخارطة في تلول نُفَّر الآثارية المعروفة باسم "نيبور" (NIPPUR) والواقعة على مسافة حوالي سبعة كيلومترات الى الشمال الغربي من مدينة عفك، وهي التلول التي ترجع آثارها الى العهد السومري البابلي القديم. والخارطة موضوعة البحث مرسومة على قطعة من اللوح الطيني وهي تصور القسم الشرقي من مدينة نُفَّر القديمة، ويقع هذا القسم على ساحل شط النيل القديم الذي يشطر المدينة الى شطرين متساويين تقريباً وتبلغ مساحة هذا القسم حوالي مائة دونم عراقي. وقد كتب في وسط الخارطة اسم "اين-ليل-كي" اي نُفَّر (نيبور). وأهم ملحقات هذا القسم من المدينة المعبد المسمى "ايكور". ويدور حول هذا المعبد سور غير منتظم فيه عدة ابواب، ويحف السور من الخارج دكات مرتفعة ثم خندق عميق يدور حول السور والدكات ويخترق السور من وسطه جدول يمتد من جهته اليسرى الى جهته اليمنى، ويحاذي السور في الزاوية اليسرى منه بنايات تشير الكتابة فيها الى انها خاصة بالمخازن. وفي اعلى الخارطة نهر واسع يمتد بمحاذاة السور من الخارج سمي "بورانن" اي الفرات، ويتفرع من هذا النهر جدول يسير بمحاذاة السور من جهته اليمنى. وقد اتخذت هذه الخارطة دليلاً للحفريات فكانت النتائج مطابقة لما رسم بها.





رأس أمرأة سومرية بالحجم الطبيعي من الوركاء (الألف الثالث قبل الميلاد)



قيثارة موسيقية ذات (١١) وتراً مطعمة بالصدف والذهب ويزين مقدمتها رأس عجل ملتح من الذهب وجدت في اور تعود لمنتصف الالف الثالث قبل الميلاد .



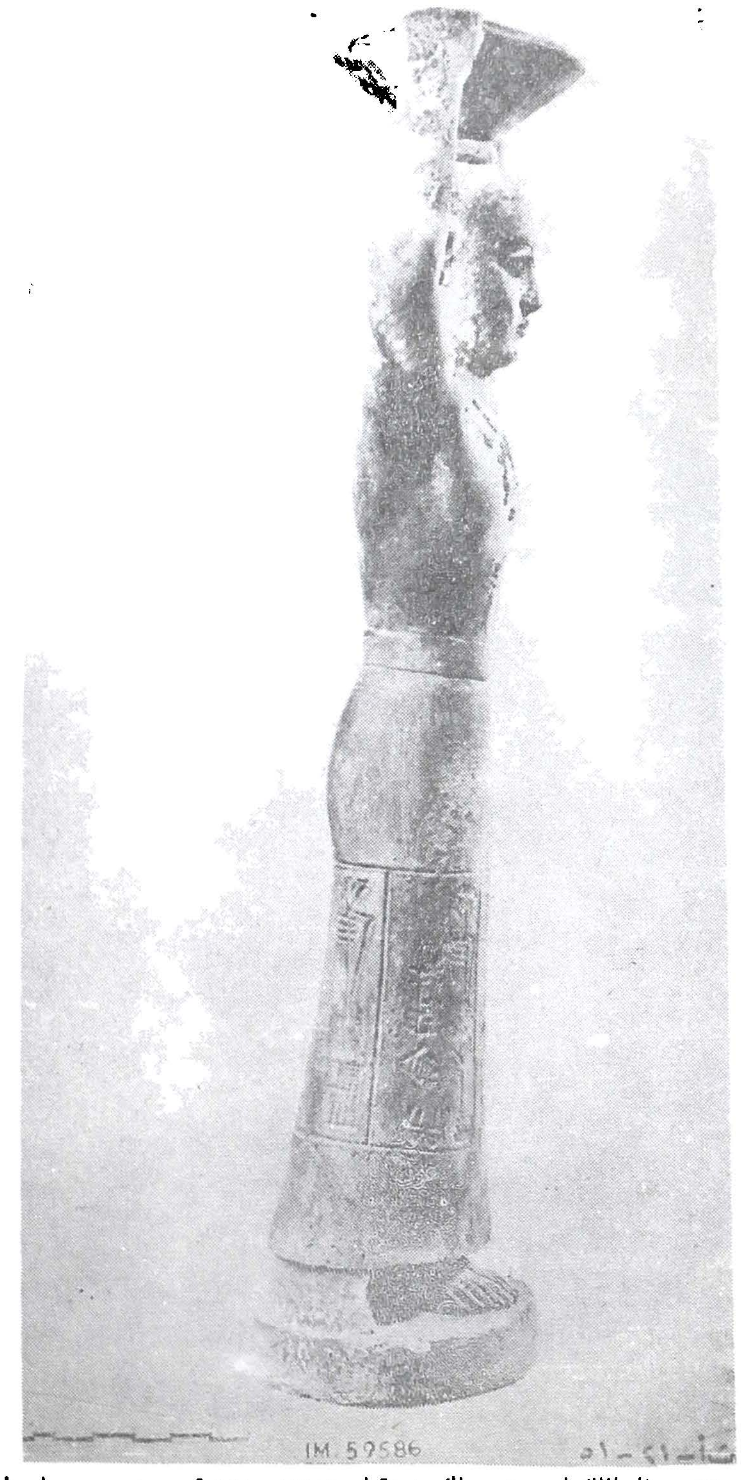
رأس من البرونز يمثل الملك سرجون الاكدي او حفيده نرام ـ سين عثر عليه في نينوى .



تمثال برونزي غير كامل يمثل الملك نرام ـ سين (٢٢٥٤ ـ ٢٢١٨ ق . م .) عثر عليه في باسطكي قرب دهوك



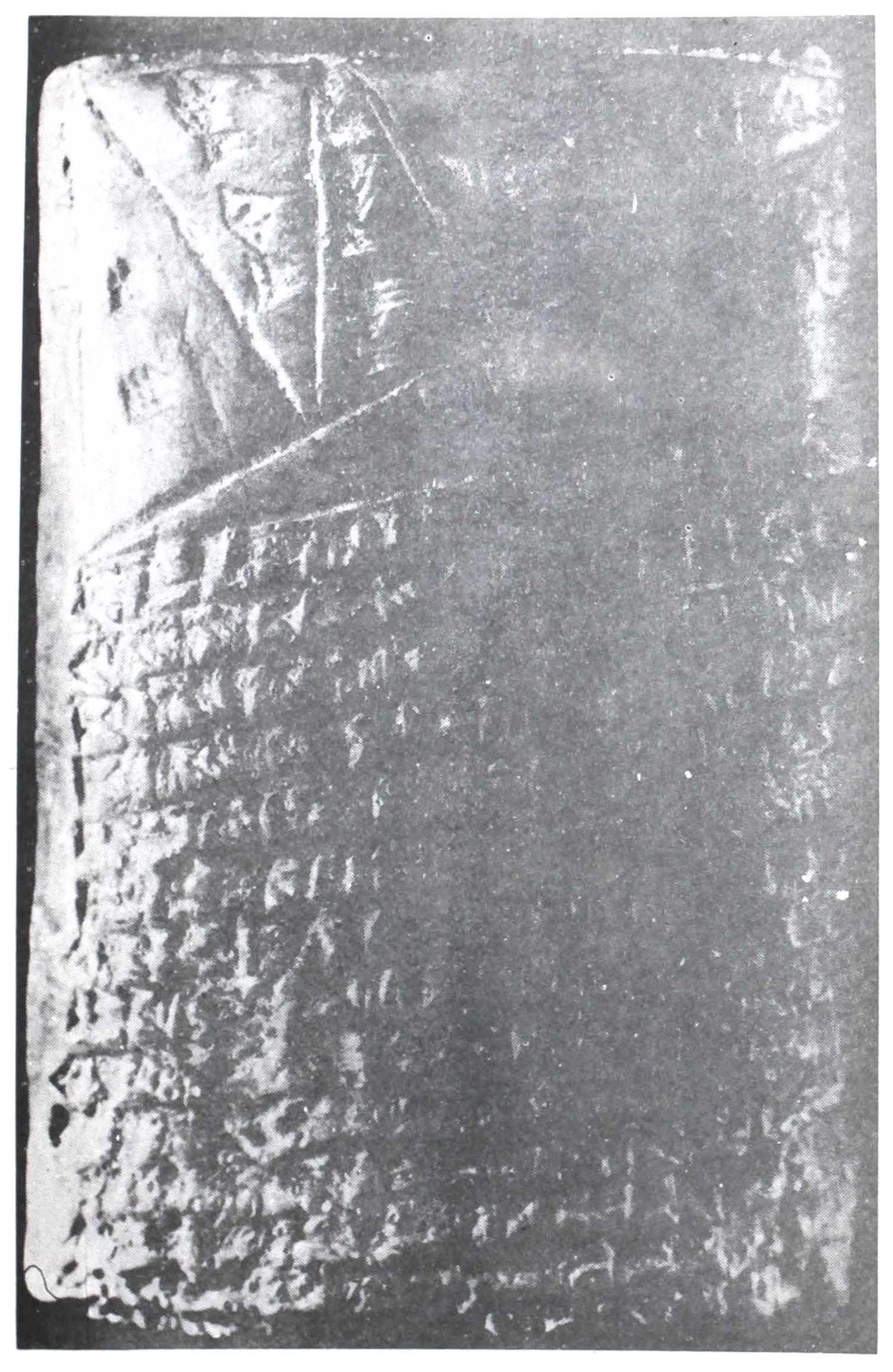
تمثال من حجر الديوريت الاسود يمثل كوديا حاكم مدينة لكش (٢١٤٠ ـ ٢١٢٢ ق . م .) ويحمل كتابة مسمارية تشير الى بناء معبد الاله ننكرسو .



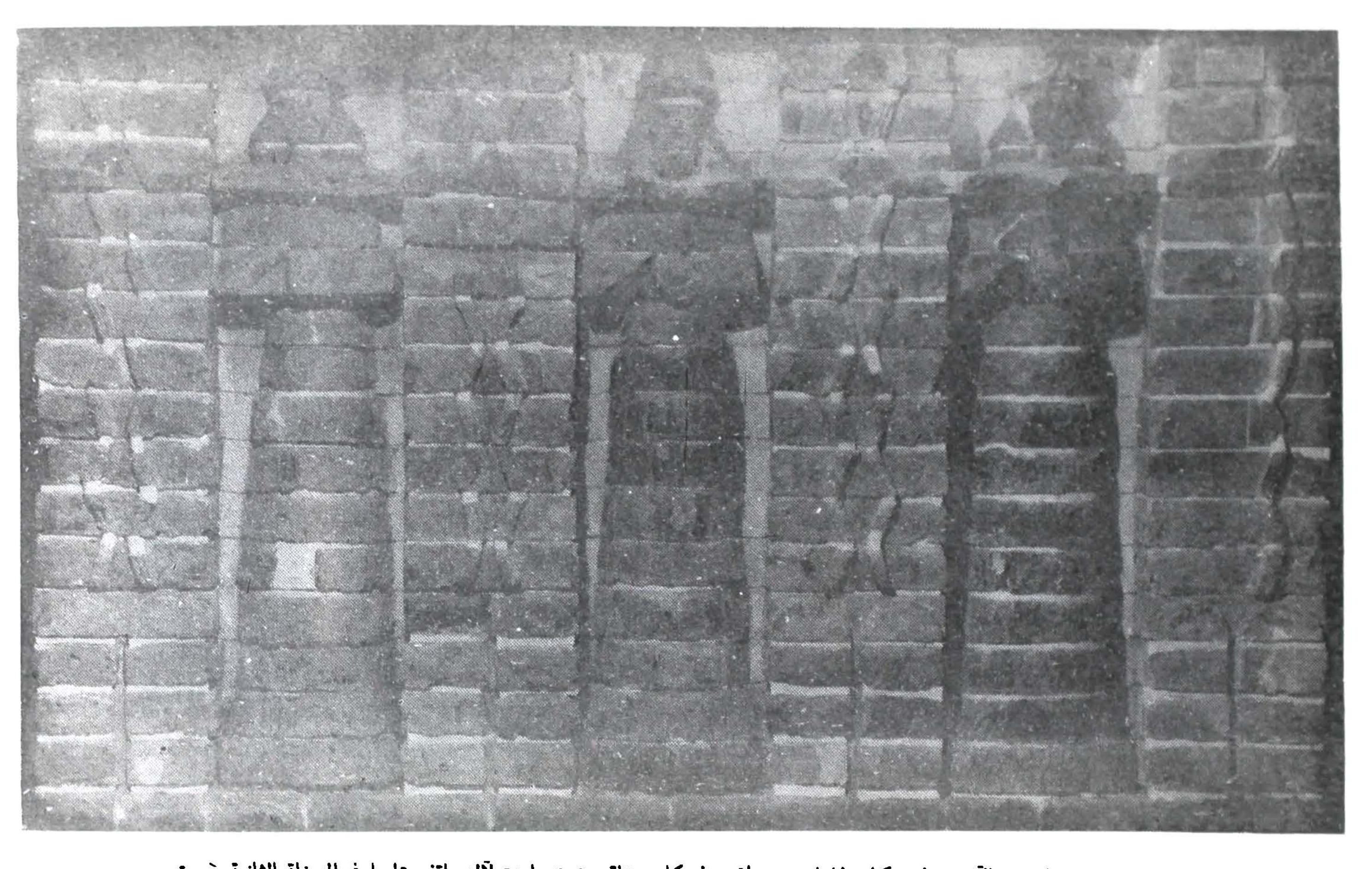
تمثال أسس برونزي يمثل الملك اور ـ نمو ملك مدينة اور (٢١١٣ ـ ٢٠٩٥ ق.م .) وهو يحمل على رأسه سلة الطين ليشارك في بناء المعبد في اور .



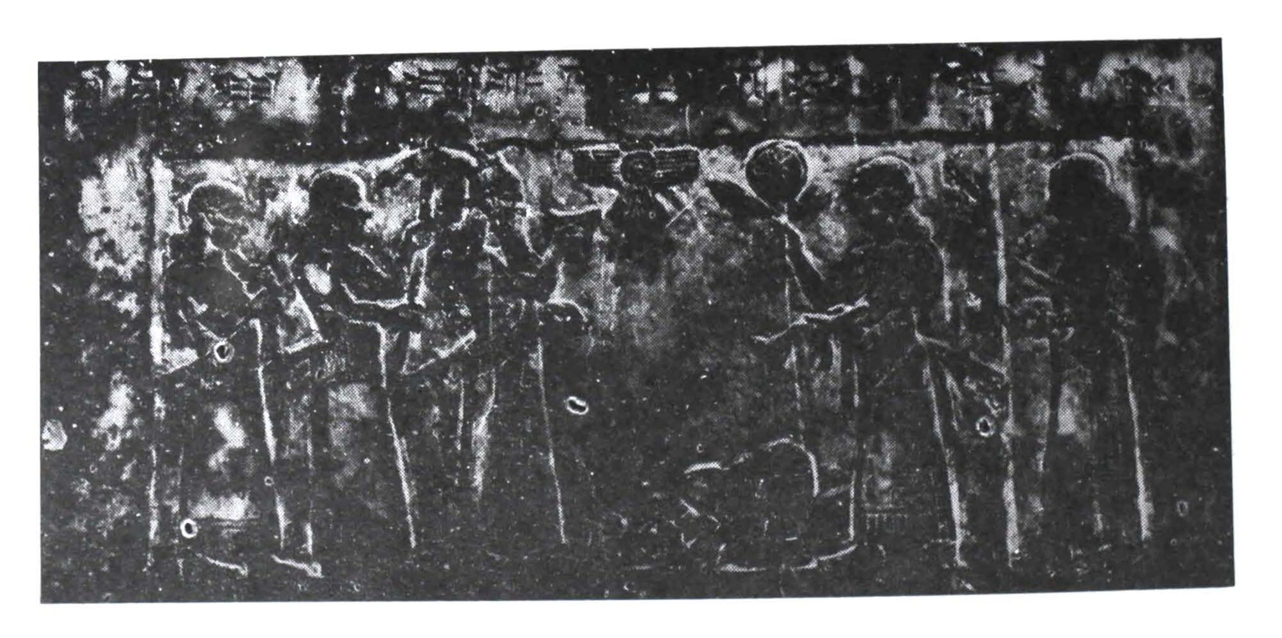
مسلة حمرابي من حجر الديوريت الأسود ويظهر في جزئها العلوي الاله شمش والملك حمورابي ونقشت في اسفلها القوانين .



رقيم طيني رياضي يتضمن نظرية هندسية ـ جبرية خاصة بتشابه المثلث القائم الزاوية على غرار نظرية اقليدس عثر عليه في تل حرمل (يعود لبداية الالف الثاني قبل الميلاد)

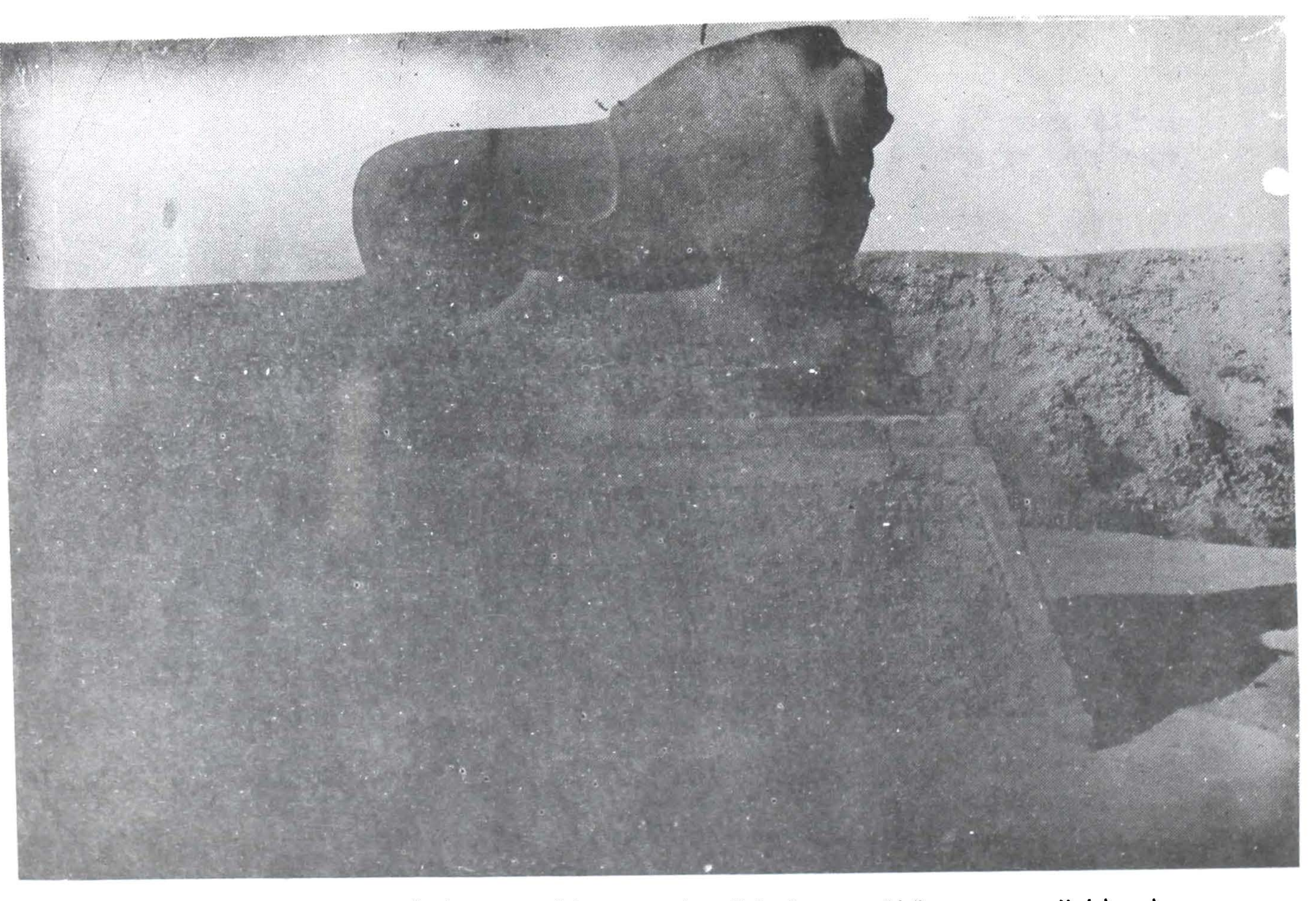


جدار من الآجر على شكل طلعات ودخلات في كل دخلة صوَرة بارزة لآله واقف تليها في الدخلة الثانية صورة الهة . وهو احد اقسام الواجهة الامامية لمعبد (اي ـ اننا) في الوركاء . من فترة السيطرة الكشية على العراق (منتصف الالف الثاني قبل الميلاد) .

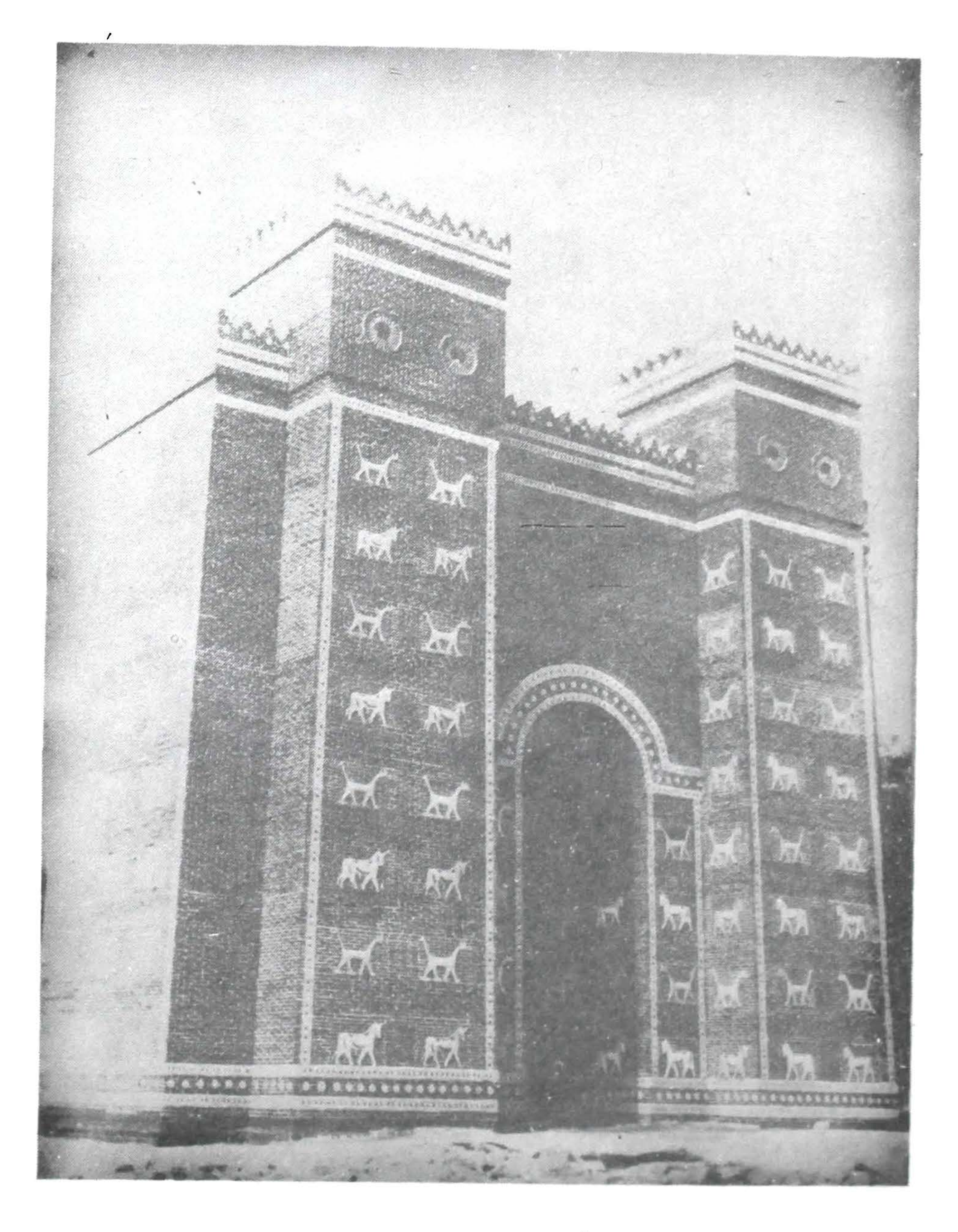


حقل من مسلة الملك الاشوري شلما نصر الثالث . يظهر فيه ياهو ملك اليهود وهو يسجد امام الملك الاشوري . عثر عليه في النمرود (كالح) من القرن التاسع قبل الميلاد .

تمال من الرخام يمثل الثور المجنح برأس أنسان وجد في مدخل قصر سرجون في خرسباد ويعرف بالاكدية لاماسو (أي الآله الحارس)



اسد بابل المنحوت من حجر البازلت . عثر عليه في القصر الجنوبي في بابل والعائد للملك الكلدي نبوخذ نصر
(٦٠٤ ــ ٥٦٢ ق . م)



نموذج لبوابة عشتار مزينة بالآجر المزجج من عهد الملك نبوخذ نصر (٦٠٤ ـ ٥٦٢ ق . م .)

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٣٢ لسنة ١٩٩٠



طبع بمطابع التعليم العالي
في الموصل